

NEW YORK TIMES & USA TODAY BESTSELLER

أكثر الكتب مبيعاً على لائحة جريدتي  
USA Today و New York Times  
الكتاب الأكثر مبيعاً على مستوى العالم أجمع

#1 INTERNATIONAL  
BESTSELLER

# الولد الثاني

القصة الكاملة للقصة التي لاقت رواجاً شديداً

ولد اسمه « هو »

ولد مشرد

يبحث عن

الحنان

في كنف أسرة

^ RAYAHEEN ^

دايف بيلزر

www.mlazna.com-RAYAHEEN

NEW YORK TIMES & USA TODAY BESTSELLER

أكثر الكتب مبيعاً على لائحة جريدتي  
USA Today و New York Times  
الكتاب الأكثر مبيعاً على مستوى العالم أجمع

#1 INTERNATIONAL  
BESTSELLER

# The Lost Boy

The inspiring sequel to the bestseller  
*A Boy Called "It"*

[www.mlazna.com](http://www.mlazna.com)

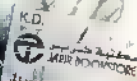
**^ RAYAHEEN ^**

A Foster  
Child's  
Search for  
the  
*Love*  
of a  
Family

ISBN 9953-29-512-3



9 789953 295121



**PELZER**

[www.mlazna.com-RAYAHEEN](http://www.mlazna.com-RAYAHEEN)

تكثر الكتب مبيعاً على لائحة جريدتي USA Today و NewYork Times  
الكتاب الأكثر مبيعاً على مستوى العالم أجمع

# الولد المفقود

## The Lost Boy

تأليف  
دايف فلزر

ترجمة  
مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم  
Arab Scientific Publishers



يضم هذا الكتاب ترجمة الأصل الانكليزي

### The Lost Boy

حقوق الترجمة العربية مخصص بها قانونياً من الناشر

Health Communications, Inc.

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم

Copyright © Dave Pelzer

All rights published by arrangement with the original publisher,  
Health Communications, Inc.

Arabic Copyright © 2002 by Arab Scientific Publishers

# المحتويات

7	الفصل الأول - الهروب
35	الفصل الثاني - ملك اسمه الأنسة غولد
57	الفصل الثالث - المحاكمة
71	الفصل الرابع - بداية جديدة
97	الفصل الخامس - إيمان بلا هدف
131	الفصل السادس - النحدي
163	الفصل السابع - حب أمي
185	الفصل الثامن - غريب
213	الفصل التاسع - بداية جديدة
235	الفصل العاشر - الانفصال
251	الخاتمة

الطبعة الأولى

1422 هـ - 2002 م

ISBN 9953-29-512-3

جميع الحقوق محفوظة للنائب



الدار العربية للعلوم  
Arab Scientific Publishers

عين الشامة، شارع ساقية الجوز، منطقة الروم  
هاتف: 786233 - 860138 - 785107 - (961-1)  
فاكس: 786230 - (961-1) ص.ب. 43-5574 بيروت - لبنان  
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb  
الموقع على شبكة الانترنت: http://www.asp.com.lb

---

الفصل

---

**1**

---

**الهروب**

شَء 1970، مدينة دالي، كاليفورنيا- أنا وحيد. أشعر بالجوع وأرتعش في الظلام. أجلس على متن يدي في أسفل السلم للكاراج. يميل رأسي إلى الخلف. فقدت يداي الحزن قبل ساعات عدة. وبدأت عضلات عنقي وكتفي بالخفقان. لكن ما من شيء جديد في ذلك- فقد تعلمت التقلب على الأكم.

أنا سجين أسي.

عمري تسع سنوات، وأعيش على هذا النحو منذ سنوات. يتكرر الشيء نفسه كل يوم. أستيقظ من النوم على سرير نقال قديم في الكاراج، وأنجز الأعمال الروتينية الصباحية. وإذا كنت محظوظاً، أتناول بقليلاً حبوب الفطور التي تركها إخوتي. أركض إلى المدرسة، أصرق الطعام، أعود إلى "المنزل" وأجبر على التقوي في المرحاض لأثبت أنني لم أقترف جريمة سرفه الطعام.

ألتقي للضرب أو أمارس لعبة أخرى من "العابها". أنجز واجبات بعد الظهر، ثم أجلس في أسفل السلم إلى أن يُطلب مني إنجاز الأعمال المسائية. وإذا أنهيت كل واجباتي في الوقت المحدد، ولم أرتكب أية "جرائم"، قد أحصل على كمرة طعام.

ينتهي يومي حين تسمح لي أسي بالنوم على السرير النقال، حيث يلتف جسمي حول نفسه في محاولة بئسه لاحتباس حرارة جسمي.

والواقع أن المتعة الوحيدة في حياتي هي النوم. إنه الوقت الوحيد الذي أستطيع خلاله الهروب من حياتي. أحب أن أحلم.

تكون عطلات نهاية الأسبوع أكثر سوءاً. لا مدرسة يعني لا طعام والمزيد من الوقت في "المنزّل". وكل ما أستطيع فعله هو محاولة تخيل نفسي بعيداً عن المنزل - في مكان ما، في أي مكان. فطوال سنوات عدة، كنت المنيوز في "العائلة". ولذا أني واجهت المشاكل على الدوام و"استحققت" العقاب دوماً. في البداية، كنت أظن أني ولد سيء. ثم اعتقدت أن أمي مريضة لأنها كانت تنصرف بطريقة مختلفة فقط عند وجود إخوتي خارج المنزل والذي في العمل. لكنني عرفت طبيعة أمي نوعاً ما وكانت لي علاقة خاصة معها. أدركت أيضاً أني كنت لسبب ما الهدف الوحيد أمام أمي لتصبّ عليه غضبها غير المبرر وسلوكها المنحرف.

أنا لا أملك منزلاً. أنا فرد من عائلة لا أحد. وأعرف في قرارة نفسي أني لا أستحق الآن، ولن أستحق أبداً في المستقبل، أي حب أو انتباه أو حتى الاعتراف بوجودي ككائن حي. أنا ولد اسمه "هو". أنا وحيد.

تبدأ المعركة في أعلى السلم. وبما أنها الساعة الرابعة بعد الظهر، أعرف أني والذي ثمان. يبدأ الصراخ. أسمع الشتمان في البداية، ومن ثم الصراخ. أعدّ الثواني قبل أن يتحول الموضوع نحوي - لأن هذه هي الحال على الدوام. بات صوت أمي يجعلني أرتعش من الداخل. "ما الذي تعنيه؟" تصرخ في وجه أبي، متيقن. "تظن أني أعامل الولد بطريقة سيئة؟ هل تظن ذلك؟". يتخذ صوتها

نبرة جليدية باردة. أخفيها وهي توشّر بإصبعها نحو وجه والدي. "أنت... أصغ إلي... أنت... لا تملك أية فكرة عنه. إذا كنت تظن أني أعامله بهذا السوء... يستطيع إذا... العيش في مكان آخر".

أستطيع تخيل أبي - الذي بعد كل هذه السنوات ما زال يحاول نوعاً ما الدفاع عني - وهو يحرك الشراب في كأسه ويجعل مكعبات الثلج تتلاطم. "إمدأي الآن"، يقول لها. "كل ما أحاول قوله هو... حسناً... ما من ولد يستحق مثل هذه المعاملة. يا إلهي يا روبرتا، أنت تعاملين... الكلاب أفضل من... الولد".

يصل النفاس إلى نرونة في الصراخ. تضع أمي كأسها على رف المطبخ. لقد تجاوز أبي حدوده. لا أحد يستطيع إخبار أمي بما يجدر بها القيام به. أعرف أني سأدفع ثمن غضبها. أدرك أنها مجرد مسألة وقت قبل أن تأمرني للصعود إلى الأعلى. أحضرت نفسي. استسحب يدي ببطء شديد من تحت مؤخرتي، ولكن ليس كثيراً - لأنني أعرف أنها تتحقق من ذلك في بعض الأحيان. أعرف أني لا أستطيع أبداً تغيير أية عضلة من دون إندھا.

أشعر أني حقير جداً في داخلي. أتمنى فقط لو أني أستطيع...

من دون إندھا، تفتح أمي الباب المؤدي إلى الكراج السفلي. "أنت!، تصرخ بأعلى صوتها. "إصعد إلى هنا! الآن!".

صعدت السلم بالمرح البصر. انتظرت لحظة ثم فتحت الباب بخجل. اقتربت من أمي من دون إصدار أي صوت وانتظرت إحدى "لعابها".

إنها لعبة العنوان، حيث يجدر بي الوقوف مباشرة أمامها على

مسافة ثلاثة أقدام، ولصق يديّ بجانبتي، وحنى رأسي إلى الأسفل في زاوية من 45 درجة، والنظر مباشرة إلى قدميها. وعند صدور أول أمر، يجدر بي النظر فوق صدرها، وإلما تحت عينيها. وعند صدور الأمر الثاني، علىّ النظر مباشرة إلى عينيها، ولكن من دون التحدث أو التنفّس أو تحريك عضلة واحدة إلاّ إذا كنت لي أمني بذلك. لعب هذه اللعبة مع أمني منذ كنت في العيادة من عمري، وبالث يوم مجرد روتين في حياتي.

فجأة، تقترب مني أمني ونمسل بأذني اليمنى، أجهل عن غير قصد. تستعمل أمني يدها الطليقة لتعاقب حركتي بصفة قوية على وجهي. تصبح يدها غير واضحة إلى أن ترتطم بوجهي. لا أستطيع الرؤية جيداً من دون نظاراتي. وبما أنه لا مدرسة اليوم، لا أمك الإذن لاستعمالها. تحترق بشرتي نتيجة الصلعة من يدها. "من طلب منك التحرك؟"، صرخت أمني في وجهي. أبقى عينيّ مفتوحتين، محذفتين ببغية على المسجدة، تتحقق أمني من ردة فعلي قبل أن تشدّ أذني مجدداً فيما تقوّنني إلى الباب الأمامي.

"ليرم"، صرخت عالياً، "انظر إليّ". لكنني خدعتها. نظرت من زاوية عيني إلى والدي. كان يبتلع جرعة أخرى من كاسه. أصبح كثفاه مژهلين بعد أن كانا عريضين في ما مضى. فعله كابطاني في سان فرانسيسكو، وسنوات الشرب، والعلاقة المتوترة مع أمني ألقت كلها بثقلها عليه. كان والدي في ما مضى بطلي العظيم ومعروفاً بجهوده للشجاعة في إنقاذ الأولاد من الأبنية المحترقة، لكنه أصبح اليوم رجلاً مهزوماً. ما هو يبتلع جرعة أخرى قبل أن

تبدأ أمني. "تظن والدك هنا أنني أعاملك بشكل سيء. حسناً، هل هذا صحيح؟ هل أفعل ذلك؟"

نرتعش شفتاي. كنت غير واثق لوهلة ما إذا كان يجدر بي الإجابة. لا بد أن أمني تعرف ذلك وتستمتع ربما باللعبة أكثر فأكثر. وفي كلا الحالتين، أنا مدان. أشعر أنني حشرة على وشك الانسحاق. يفتتح فمي الجاف. أشعر بشفتي وهما يتبددان عن بعضهما. أبدأ بالتمنّة.

لكن قبل أن ألفظ كلمة واحدة، تشدّ أمني مجدداً أذني اليمنى. أشعر وكأن أذني كانت في حريق. "أطلق فمك ليها الوقح! لم يطلب أحد منك التكلّم! هل طلب أحد ذلك؟"، تصرخ أمني.

تبحث عيناها عن والدي. وبعد بضعة لحظات، شعر على الأرجح بحاجتي. "رورفا"، قال لها، "ليست هذه طريقة لعاملة الولد".

لشدّ جسمي مجدداً لتشّد أمني مرة أخرى على أذني، لكنها تستمرّ في الشدّ هذه المرة بحيث تجبرني الوقوف على رورس أصابع كعمي. يتحول وجه أمني إلى الأحمر الداكن. تظن إذا أنني أعامله بطريقة سيئة؟ أنا... وفيما هي تؤثر بسبابتها نحو صدرها، تتابع أمني قائلة: "أنا لا احتاج إليه، سيّفن. إذا كنت تظن أنني أعامله بطريقة سيئة... حسناً، يستطيع الخروج من منزلي".

لشدّ ساقي وأحاول أن أصبح أطول قليلاً. أبدأ بشدّ أعلى جسمي بحيث أكون مستعداً حين تضربني أمني. فجأة، تفلت أذني وتفتّح الباب الأمامي. "أخرج من هنا"، صرخت بأعلى صوتها. "أخرج من



منزلي! أنا لا أحبك! أنا لا أريتك! لم أحبك يوماً! أخرج من منزلي بحق الجحيم".

أصبحت مثل قطعة جليد. لمست أكيداً من هذه اللعنة. بدأ دماغي بدراسة كل الخيارات الممكنة بشأن النوايا الحقيقية لأمي. للبقاء على قيد الحياة، يجدر بي التفكير مسبقاً. يقف أبي أمامي. "لا"، صرخ عالياً. "هذا يكفي. توقف، روبرتا. أوقف كل هذا. دعني الولد وشأنه".

تتوجه أُمي نحوني ولحواكبي. "لا؟" تقول أُمي بمخزية واضحة. "كم مرة قلت لي ذلك عن الولد؟ الولد فعل هذا، والولد فعل ذلك، والولد والولد والولد. كم مرة، ستيفن؟". تصل إلينا، تلامس نوازع والدي كما لو أنها تدافع عنه، وكأن حياتهما كانت أفضل كثيراً لو لم يكن معهما - لو لم يكن موجوداً أصلاً.

يصرخ دماغي داخل رأسي، يا إلهي. الآن أعرف! من دون تفكير، يبعدها والدي عنه. "لا"، قال بصوت منخفض. "هذا غير صحيح"، أضاف وهو يمسك بيده. عرفتك من صوته الخافت أن والدي فقد قوته. بدأ وكأنه على وشك البكاء. نظر إليّ وهز رأسه قبل النظر إلى أُمي. "لن سيعيش؟ من سيعيش به...؟" "ستيفن، ألا تستوعب؟ ألا تفهم؟ لا أريد التفكير في ما قد يحدث له. لا أفكر أبداً في الولد".

فجأة، يفتح الباب الأمامي. تنبسم أُمي وهي تمسك بمقبض الباب. "حسناً، لا بأس. سأترك الأمر للولد". تحني إلى الأمام، بحيث نصبح بعيدة بضعة إنشات فقط عن وجهي. تفرح رائحة

كريمة من نفس أُمي. تبدو عيناها مثل الجليد البارد ومليئتين بالحدق. أبتني أستطيع الابتعاد. أبتني أعود إلى الكاراج. تقول أُمي بصوت بطيء وخشن: "إذا كنت تظن أنني أعاملك بهذا السوء، يمكنك الرحيل".

أغتر فجأة موثقي وألقي نظرة على أُمي. لكنه يفوت نظرتي لأنه كان يوشف كئساً أخرى. أصيب عكسي بالتشوش. لا أفهم سبب لعبها الجديدة. أترك فجأة أنها ليست لعبة. احتجت إلى بضعة ثوانٍ حتى أفهم أن هذه فرصتي - فرصتي للفرار. أريد الهرب بعيداً منذ سنوات، لكن خوفاً غير منظور منعتني من فعل ذلك. لكنني أقول لنفسني إن هذا سهل جداً. أريد بقوة تحريك ساقي، لكنهما بقيتا يابسيتين.

"حسناً". صرخت أُمي في أذني. "إنه خيارك". بدأ لي الوقت متوقفاً. وفيما أحرق في العبادة، أسمع أُمي وهي تبدأ بالهسهسة. "لن يغادر. لن يغادر الولد أبداً. لا يملك الجراءة لفعل ذلك".

شعرت أن داخل جسمي بدأ بالارتعاش. أغلقت عيني لوهلة، وتمنيت نفسي بعيداً. شاهدت نفسي في تفكيري وأنا أخرج من الباب. أبتسمت في داخلي. أردت الرحيل بقوة. وكلما تخيلت نفسي أمشي عبر الباب، ازداد شعوري بنفء كبير يفغر روحي. فجأة، شعرت أن جسمي يتحرك. فتحت عيني. نظرت إلى الأسفل نحو حذائي البالي. خرجت قدامي عبر الباب. أوه يا إلهي، قلت لنفسي. لا أصدق أنني أفعل ذلك! ومن دون أي خوف، قررت ألا أتوقف. "إليك"، قالت أُمي بصوت منتصر. "لقد فعلها الولد. إنه قراره. أنا لم أجبره. تذكر ذلك يا ستيفن. أريدك أن تعلم أنني لم أجبره".

خرجت من الباب الأمامي، ولنا واثق تماماً من أن أمي ستصل إليّ وتعيدني إلى الداخل، أحسست بشعري وهو ينتصب في الجهة الخلفية لعنقي، أسرعت في خطواتي. وبعد الخروج من الباب، انعطفت نحو اليمين ونزلت الدرجات الحمراء، سمعت من الخلف أصوات أمي ولبي وهما يمدان أنفسهما نحو الخارج، 'روبرفا'، قال لبي بصوت خافت، "هذا خطأ".

"لا"، أجابته بصوت منخفض. "وتذكر أن هذا كان قراره. بالإضافة إلى ذلك، سيعود حتماً".

كنت متحمساً جداً لدرجة أنني تعذرت بدمعي أثناء نزولي السلم. أمسكت بالدرابزون لتثبيت نفسي. وصلت إلى الممشى، وناضلت لضبط تنفسي. انعطفت إلى اليمين وخرجت إلى الشارع إلى أن أصبحت متأكداً من أحد أن يرثني من المنزل، وبدأت بعدها بالركض. وصلت إلى نصف الشارع قبل أن أتوقف، ليرهة فقط، للنظر إلى المنزل.

وضعت يدي على ركبتي وبدأت ألهث. حاولت مذ أنفني لأسمع صوت سيارة أمي. لقد بدا لي أن أمي تركتني ألتفت بسهولة كبيرة. وأعترف أنها ستبطني بعد لحظات قليلة. بعد التقاط نفسي، أسرعت مجدداً في خطواتي. وصلت إلى أعلى جادة كروستلين وحلقت في ذلك المنزل الأخضر الصغير. لكن لا توجد أية سيارة خارجة من الكراج. ما من أحد يتبعني. لا صراخ أو شتم أو ضرب. لمست جالماً في أسفل سلم الكراج، ولا تعرض للضرب على ركبتي ببعضاً المكسمة، ولمست محتجراً في الحمام مع مزيج الأمونيا والكلوروكس.

استمرت بسرعة عند سماع هدير سيارة، ولزحت بيدي.

رغم أنني كنت أرتمي سروالاً بالياً، وقميصاً رقيقاً ومزقاً وطوبل الأكماد، وأحذية رياضية مهترئة، شعرت بسماعة في داخلي. شعرت بالنفء. قلت لنفسي إنني لن أعود أبداً. بعد سنوات من العيش في الخوف، وتحمل الصفعات المؤلمة وأكل فضلات النفايات، أعرف الآن أنني سأعيش نوعاً ما.

لا أملك أي أصدقاء، ولا أي مكان للاختباء، ولا شيء للالتكباب عليه. لكنني أعرف تماماً إلى أين أنا ذاهب- إلى النهر. قبل عدة سنوات، حين كنت فرداً من العائلة، كنا نتوجه في كل عطلة صيف إلى النهر الروسي في غيرنيل. وكانت أفضل أيام حياتي تلك التي نقضيها وأنا نتعلم السباحة في شاطئ جونسون، ولتتحلق على المنزلق الكبير، وأختبئ في الثوب عند مغيب الشمس، ولعب مع إخوتي عند جذع الشجرة الكبيرة قرب كوينا. ولتقسم كلما تذكرت رائحة الأشجار الخشبية الحمراء العملاقة وجمال النهر الأخضر الداكن.

لست أكيداً من موقع غيرنيل، لكنني أعرف أنها موجودة إلى شمال جسر البوابة الذهبية. أنا واثق من أنني أحتاج إلى عدة أيام حتى أصل إلى هناك، لكنني لا أبه بذلك. فحين أصل إلى هناك، أستطيع البقاء على قيد الحياة من خلال سرقة أرغفة الخبز الفرنسي وشرائح السلامي من المتجر المحلي، والنوم على شاطئ جونسون أثناء الاستماع إلى أصوات السيارات وهي تعبر جسر باركر الدائم الاخضرار الذي يقود إلى المدينة. كانت غيرنيل المكان الوحيد

الذي شعرت فيه يوماً بالأمان. فمنذ كنت في الحضانة، عرفت أنه المكان الذي أريد العيش فيه. وحين أصل إلى هناك، أعرف أنني سأعيش في غير نفيل لبقية حياتي.

بدأت المشي نزولاً إلى جادة البوابة الشرقية حين تغفل الهواء البارد في كل جسمي. كانت الشمس قد غابت وبدأت ضفادع المساء بالخروج من المحيط المجاور. وضعت يدي تحت إبطي وثابتت السير في الشارع. بدأت أسناني تصطك. لقد بدأ حماس الهروب الكبير بالزوال تدريجياً. رحت أفكر أنني أسي تكون ربما محقة. فرغم أنها كانت تضربني وتصرخ في وجهي، كان الكاراج على الأقل أكثر دفئاً من هنا. بالإضافة إلى ذلك، قلت لنفسي، أنا أكتب وأسرق الطعام. ربما أستحق العذاب. توقفت لبرهة للتفكير مجدداً في خطتي. فإذا عدت الآن، مباشرة الآن، سوف تصرخ في وجهي وتضربني - لكنني معتاد على ذلك. وإذا كنت محظوظاً، قد تطعمني غداً من بقايا العشاء. وأستطيع من ثم سرقة الطعام من المدرسة في اليوم التالي. ما عليّ فعله هو العودة إلى المنزل. ابتسمت لنفسي. لقد نَحَمَلْتُ الأسوأ من أُمِّي قَبْلًا.

توقفت في منتصف الطريق. لا تبدو فكرة العودة إلى المنزل سيئة. بالإضافة إلى ذلك، قلت لنفسي إنني لن أعتز أبداً على البهر في أية حال. استدرت. كانت محقة.

تخيلت نفسي وأنا أجلس في أسفل السلم، أرنجف من الخوف، وأخاف من كل صوت أسمعه من الأعلى. أعذ الثواني وأخشى بداية الإعلانات التجارية. أنتظر حينها صوت الأرض وهي تتشقق في

الأعلى حين تنهض أُمِّي عن الأريكة وتدخل إلى المطبخ لتحضر لنفسها كأساً ثم تتأدبني لأصعد إليها - حيث تبدأ بضربي إلى أن أصبح عاجزاً عن الصمود. وقد أعجز عن الزحف بعيداً. أنا أكره الإعلانات التجارية.

أعاني صوت جندج مجاور يحفأ أجلخته إلى الحقيقة. حاولت العثور على الحشرة وتوقفت لبرهة حين ظننت أنني أصبحت قريباً. إلا أن الصوت توقف. بقيت جامداً تماماً. إذا التفتت الجندج، قد ألقاه في جيبتي وأجعله ربما حيواني المنزل. سمعت صوت الجندج مرة أخرى. وفيما كنت أنحني للوصول إليه، سمعت هدير سيارة أُمِّي خلفي. انخبت وراء سيارة مجاورة لحظة وصلت إلي مصابيح السيارة. نزلت السيارة إلى أسفل الشارع. اخترق الصوت القوي لمكابيح سيارة أُمِّي لأنني. إنها تبحث عني. بدأت أفسس. أغضضت عيني بقوة حين توجهت المصابيح الأمامية نحوي. انتظرت سماع صوت سيارة أُمِّي وهي تتوقف بسرعة، يليه خروجها من السيارة ومن ثم دفعي داخلها. رحت أهد الثواني. فتحت عيني ببطء، وبرمت رأسي إلى اليسار لأشاهد المصابيح الخلفية مضادة قبل صدور صوت المكابح. انتهى الأمر! لقد عثرت علي! شعرت بالارتياح بطريقة ما. فانا لن أصل أبداً إلى النهر. هيا، هيا، قلت لنفسي. هيا، إقعل ذلك.

لكن السيارة تجاوزتني.

لا أصدق ذلك! قفزت من وراء السيارة وحدقت في سيارة لامعة تضئ مكابحها كل بضعة ثوانٍ. شعرت فجأة بالدوار. انفضت

معنني. وارتفع فيض من المسائل إلى حنجرتي، لتحنيث فوق عشب  
أحدهم وحاولت التقيؤ. وبعد بضعة ثوانٍ من الغثيان الجاف بسبب  
معنني الفارغة، حدثت في النجوم. شاهدت بفعاً من السماء الصافية  
عبر الضباب الكثيف، لمعت النجوم الفضية البراقة فوقي، حاولت  
تذكر كم مضى من الوقت على خروجي على هذا النحو. أخذت نفساً  
عميقاً بضعة مرات متتالية.

١٢، صرخت، "إن أعود! لن أعود أبداً". استدرت ومشيت إلى  
أسفل الشارع، شعلاً نحو جسر البولية الذهبية. وبعد بضعة ثوانٍ،  
مررت أمام السيارة التي باتت متوقفة الآن في ممشى أحد المنازل.  
شاهدت ثنائياً يقف في أعلى السلم ويلقي ترحيب المضيف، خرج  
صوت الضحك والموسيقى من الباب المفتوح. تساءلت عن طريقة  
استقبال الضيف في منزل. وفيما كنت أمشي أمام المنزل، شَمَّ أنفي  
رائحة طعام وامتلكتني فكرة سرقة شيء لأكله. إنها ليلة السبت،  
ويعني ذلك أنني لم أكل أي شيء منذ صباح الجمعة في المدرسة.  
الطعام! قلت لنفسي. على النحو على بعض الطعام.

توجهت بعد قليل إلى الكنيسة القديمة. أرسلتني أمي مع شفيقي،  
رون وستان، إلى الصوف الدينية بعد الظهر على مدى بضعة  
أسابيع. ولم أدخل إلى الكنيسة منذ كنت في السابعة من عمري.  
فتحت الباب برفق، شعرت فوراً بحرارة تُخزق ثقب مروالي  
وتعصبي الرقيق. أغلقت الباب وراءه بأكبر هدوء ممكن. شاهدت  
الكاهن وهو يأخذ بعض الكتب عن المقاعد الخشبية. اختبأت وراء  
الباب، على أمل ألا يرايني، لكن الكاهن شق طريقه نحو المقاعد

الخلفية في اتجاهي. أريت البقاء بكل جوارحي، لكنني... أغلقت  
عيني وحاولت امتصاص الحرارة لحظة، قبل أن تصل يدي مجدداً  
إلى الباب.

وحين أصبحت خارجاً في الشارع، حيث شاهدت صفاً من  
المتاجر، توقفت أمام متجر للكعك المقلي. في الصباح الباكر لأحد  
الأيام، قبل عدة سنوات، توقفت والذي لبشترتي بعض الكعك المقلي  
قبل أن يأخذ العائلة إلى النهر الرومي. كان ذلك وقتاً سحرياً بالنسبة  
إلي. حدثت عبر الزجاج ونظرت من ثم إلى شخصيات الرسوم  
المتحركة المرسومة على الجدار التي تصور مختلف مراحل إعداد  
الكعك المقلي.

استدار رأسي نتيجة رائحة البيترزا الآتية من اليمين. مررت أمام  
بضعة متاجر إضافية إلى أن وصلت أمام مطعم بيتزا. سال اللعاب  
من فمي. ومن دون تفكير، فتحت الباب ودخلت إلى الجهة الخلفية  
للغرفة بانبيهار. احتاجت عيناوي إلى بعض الوقت لتعديل الرؤية.  
استطعت التعرف إلى طاولة بلبار، وسمعت أصوات لكواب البيرة  
وفي ترتطم ببعضها بالإضافة إلى الضحكات العالية. شعرت  
بالنظرات تحتك في من الأعلى وتوقفت عند الزاوية البعيدة للبار.  
تحركت عيناوي بسرعة بحثاً عن طعام باقي. لم أعر على أي شيء،  
فتوجهت إلى طاولة البليار، حيث انتهى رجلان لثومهما من اللعب.  
عثرت على ربع دولار على الطاولة فخطيته بسرعة بأصابعي.  
نظرت من حولي قبل سحب الربع إلى حافة الطاولة وإمساكه بيدي.  
كانت النقود ساخنة. عدت مجدداً إلى البار بطريقة اعتيادية. لكن

صوتاً قوياً انفجر فوقى، حاولت تجاهل الصوت. قام أحدهم بإمساك  
كتفي الأيسر من الخلف، شددت بسرعة أعلى جسمي في انتظار  
وصول الصفعة على وجهي أو معدتي. "هاي، أيها الولد. ماذا تفعل  
هنا؟"

استترت نحو الوجه، لكنني رفضت النظر إلى الأعلى.

"قلت لك ماذا تفعل هنا؟"، سألني الصوت مجدداً.

نظرت إلى الأعلى نحو رجل يرتدي منزرراً أبيض مغطى  
بصلصة البييتزا الحمراء. وضع يده على وركيه في انتظار  
الجواب. حاولت الإجابة، لكنني بدلت أتمت. "أوه... لا شيء...  
سيدي".

وضع الرجل يده على كتفي وقادني إلى الجهة الخلفية للبار. ثم  
توقف وانحنى صوبى. "هاي، أيها الولد، عليك منحي الربع".

هزرت رأسي للفعل لا. وقبل أن أخبره كنية، قال الرجل: "هاي،  
أيها الرجل، رأيته تفعل ذلك. أعطه لي الآن. فهذان الشبان هناك  
يحتاجان إليه للعب البليارد. أطيقت أصابعي بقوة. يمكن لهذا الربع أن  
يشترى لي بعض الطعام، أو ربما قطعة بيتزا. انشمر الرجل في  
التحديق إلي. فتحت أصابعي ببطء وأفلت الربع في يد الرجل. رمى  
الربع إلى رجلين كانا يمسكان قضيبتين. "شكراً مارك"، قال له  
أحدهما.

"هاي، يارجل، لا مشكلة". حاولت الابتعاد بحثاً عن الباب  
الأمامي، حين أمسكتني مارك. "ماذا تفعل هنا؟ لماذا سرقت ذلك  
الربع؟".

انزويث إلى داخلي وحقت في الأرض.

"هاي، يارجل"، رفع مارك صوته، "لقد طرحت عليك سؤالاً".

"لنا لم لسرق أي شيء. أنا... ظننت فقط أن... أعني، شاهدت  
الربع فقط...".

"أولاً، شاهدتك تسرق الربع. وثانياً، يحتاج إليه الشبان للعب  
البليارد. بالإضافة إلى ذلك، ماذا كنت ستفعل بالربع على أية حال؟"

شعرت بنوبة من الغضب تعتريني. "الطعام"، قلت له. "كل ما  
أريته هو شراء قطعة من البييتزا! حسناً؟"

"قطعة من البييتزا؟" قال مارك ضاحكاً. "من أين أنت يارجل...  
من المربع؟"

حاولت التفكير في جواب. شعرت بنفسى محبوباً في الداخل.  
أفرغت رنتي من الهواء وهزرت كتفي.

"هاي، إهدأ يا رجل. هيا، أيسحب كرسيًا"، قال لي مارك بصوت  
ناعم. "جيري، أعطني كولا". نظر مارك إلي. حاولت سحب ذراعتي  
داخل أكمامي لإخفاء الرضوض والجروح. حاولت الابتعاد عنه.  
"هاي، هل أنت على ما يرام أيها الولد؟"، سألني مارك.

هزرت رأسي من جانب إلى آخر. لا! قلت لنفسى. لست على ما  
يرام. لا شيء على ما يرام. أريد أن أخبره، لكن...

"إليك، أيسرب"، قال مارك فيما أعطاني كأس كولا. أمسكت  
بالكوب الأحمر البلاستيكي بيدي معاً، وبدأت في مصّ الفضة الورقية  
إلى حين اختفاء الصوت.

‘هاي، يا ولد، سألتني مارك، ‘ما هو اسمك؟ هل لديك منزل؟ أين تعيش؟’.

مُعرت بخجل شديد. أعرف أنني لا أستطيع الإجابة. تصرفت كأنني لم أسمع.

هزّ مارك رأسه علامة الموافقة. ‘لا تتحرك’، قال لي فيما يمسك كوبي. ومن خلف الباب، شاهدته يملأ الكوب مجدداً فيما يمسك الهاتف. تعدد حبل الهاتف حتى أقصى حدوده بحيث تمكن مارك من إعطائي كوب كولا آخر. وبعد أن أفل الخطة عاد مارك للجلوس. ‘هلا أخبريتني ما هي المشكلة؟’

‘أنا وأمي لا نتفق’، تمتعت على أمل ألا يسمعي أحد. ‘قد... طلبت مني الرحيل’.

‘ألا تظن أنها قلقة عليك؟’، سألتني.

‘حسناً! هل تمزح؟’ صرخت بصوت عال. أوه، قلت لنفسي. دع فمك مغلقاً. نقرت بإصبعي على الباب محاولاً الابتعاد عن مارك. نظرت خلسة إلى الرجلين اللذين يلعبان البليارد وبغية الرجال قريبهم، وكانوا يضحكون ويأكلون ويستمتعون بأوقاتهم.

تمليت لو أنني شخص حقيقي.

مُعرت فجأة بالدوار مجدداً. وفيما كنت أنزلق عن الكرسي، التفت نحو مارك وقلت له: ‘علي الذهاب’.

‘إلى أين تذهب؟’

‘أوه، علي الذهاب سيدي’.

‘هل طلبت منك أمك الرحيل فعلاً؟’

من دون النظر إليه، هزرت رأسي للقول نعم.

ابتسم مارك. ‘أراهن أنها قلقة فعلاً عليك. ما رأيك؟ سأقول لك شيئاً. أعطني رقمها وسوف أتصل بها. تتفقا؟’

شعرت بدمي يتدفق داخلي. الباب، قلت لنفسي. اذهب إلى الباب واركنص. تمايل رأسي من جهة إلى أخرى بحثاً عن مخرج.

‘تعال الآن’، قال مارك وهو يرفع حاجبيه. ‘لا يمكنك الرحيل الآن. سوف أصنع لك بيتزا...’.

أرتفع رأسي نحوه. ‘حقاً؟’ صرخت عالياً. ‘كنتي... لا أمك أي...’

‘هاي، يا رجل. لا تقلق بشأن ذلك. انظروني هنا فقط. نهض مارك وتوجه نحو الأمام. ابتسم إلي من فتحة المطبخ. بدأ اللعب يسيل في فمي. أستطيع تخيل نفسي وأنا أكل وجبة ساخنة- ليس من علية في الثغابات أو قطعة خبز قديمة، وإنما وجبة حقيقية.

مرت دقائق عدة. جلست منتصباً في انتظار رؤية مارك مجدداً.

شاهدت في الباب الأمامي رجل شرطة يرتدي بزة كطية ويدخل إلى المحل. لم أفكر في أي شيء إلى أن توجه مارك نحو الشرطي.

تحدث الرجلان لبضعة لحظات، ثم هزّ مارك رأسه ووجه إصبعه نحو. استدرت بسرعة بحثاً عن باب في الجهة الخلفية للغرفة. لا شيء.

استدرت مجدداً نحو مارك. لقد اختفى، وكذلك الشرطي. استدرت من جانب إلى آخر فيما أحرق بعيني بحثاً عن الرجلين. لقد اختفى. إنه إنذار كاذب. بدأ خفقان قلبي يتباطأ. عنت للتفكير مجدداً.

ابتسمت.

"اعزوني أيها الشاب الصغير". رفعت رأسي لأجد شرطياً يتبسم لي. "أظن أنه عليك المجيء معي".

لا قلت لنفسي. أرفض التحرك. غاصت أطراف أصابعي في أسفل الكرسي. حاولت العثور على مارك. لا أصدق أنه اتصل بالشرطة. بدا لي هائلاً جداً. لقد أعطاني كولا ووعدني ببعض الطعام. لماذا فعل ذلك؟ بقدر ما أصبحت أكره مارك الآن، أكره نفسي أكثر. عرفت أنه كان يجدر بي متابعة المشي في الشارع. لم يكن يجدر بي أبداً الدخول إلى محل البيززا. عرفت أنه كان يجبر بي الخروج من البلدة بأسرع وقت ممكن. كم كنت غيباً!

علمت أنني أصبحت تائهاً. شعرت باستنزاف كل القوى الباقية لدي. أردت العثور على فتحة للتقوقع داخلها والنوم. انزلت عن كرسي البار. سار الشرطي خلفي. "لا تقلق"، قال لي. "سوف تكون على ما يرام". بالكاد سمعت ما قاله. كل ما استطعت التفكير به هو أنها تنتظرني في مكان ما هناك. سوف أعود إلى المنزل. أعود إلى أمي. قللني الشرطي إلى الباب الأمامي. "شكراً لك على الاتصال"، قال الشرطي لمارك.

حدثت في الأرض. كنت غاضباً جداً. رفضت النظر إلى مارك. تمنيت لو أنني غير منظور.

"هاي، أيها الولد"، ابتسم مارك فيما وضع علبة بيضاء رقيقة بين يدي. "قلت لك إنني سأعطيك بيززا".

خفق قلبي. ابتسمت له. بدأت أهز رأسي للقول لا. أعرف أنني لا أستحقها. دفعت العلبة مجدداً إلى مارك. شعرت للحظة أنه لا يوجد

أي شيء آخر في عالمي. نظرت إلى قلبه. علمت أنه يفهم. أخذت العلبة. نظرت أكثر في عينيه وقلت له: "شكراً سيدي". مرر مارك يده في شعري، فيما التهمت أنا الرائحة الصادرة من العلبة.

"هذا هو اتفاقنا. وكن قوياً أيها الولد... سوف تكون على ما يرام"، قال مارك فيما كنت أشق طريقتي خارج الباب ممسكاً بجلنثي. نجحت علبة البيززا في تسخين يدي. كان الضباب الرمادي يغطي الشارع في الخارج حيث ركنت سيارة الشرطة وسط الطريق. أمسكت العلبة قرب صدري. شعرت بالبيززا وهي تنزلق إلى أسفل العلبة فيما فتح الشرطي الباب الأمامي لسيارته حتى أدخل. استطعت سماع الصوت الخافت لجهاز التدفئة في لوحة القيادة. حركت أصابع قدمي حتى أشعر بالدفء. راقبت الشرطي وهو يتجه نحو كرسي السائق. دخل إلى السيارة ثم رفع مذباعاً. أجاب صوت أنثوي ناعم على اتصاله. استشرت للنظر مجدداً إلى حانة البيززا. كان مارك يرتجف مع مجموعة من الرجال فيما هم واقفين خارجاً. وقبها ابتعدت سيارة الشرطة ببطء. رفع مارك يده في إشارة السلام، ثم لوح الوداع. ابتسم الآخرون، الواحد تلو الآخر، فيما انضموا إليه.

شعرت بالضييق في حلجرتي. استطعت تذوق الملح فيما انهمرت اللامع على وجهي. عرفت بطريقة ما أنني سأشتاق إلى مارك. حدثت في حذائي وحركت أصابع قدمي. كان أحدها خارجاً من فتحة.

"إذاً، قال الشرطي. "أول مرة في سيارة شرطة؟"

"نعم سيدي، أجبته. "وأنا... أود... أعني لني أوجه مشكلة، سيدي؟"

ابتسم الشرطي. "لا نحن فقط خائفون. لقد تأخر الوقت وكنت شاب صغير وسوف تبقى خارجاً لوحك. ما هو اسمك؟"

نظرت إلى إصبع قلمي الوسط.

"هيا بك. لا ضير في أن تخبرني ما اسمك."

نظمت حنجرتي. لا أريد التحدث إلى الشرطي. لا أريد التحدث إلى أي شخص. أعرف أنه كلما قُتحت فمي، أصبح أقرب إلى مخالب أمي الشريرة. لكني كنت لنفسى ما الذي أستطيع فعله؟ أعرف أن كل القرص التي أتيت لي للقرار إلى النهر تيندت الآن. لا أبيه بذلك. طالما على العودة إليها. بعد بضعة ثوانٍ، أجبني الشرطي: "داه... داه... دافيد، سيدي. اسمي دافيد."

ضحك الشرطي. ابتسمت بدوري. قال لي إني صبي جميل. كم عمر؟

"تسعة، سيدي."

"تسعة؟ صغير جداً، ليس كذلك؟"

يدلنا لتحدث. لا أصدق كم كان الشرطي مهتماً بي. شعرت في الحقيقة أنه يحبني. ركن السيارة أمام مركز الشرطة وقادني عبر سلم إلى الأسفل نحو غرفة فارغة فيها طاولة في الوسط. جلستنا قرب الطاولة، وقال لي الشرطي: "هاي، دافيد، فلنأكل هذه البيتزا قبل أن تبرد."

تحرك رأسي صعوداً وتزولاً. فتحت العلب. اتحيت إلى الأسفل وتفتحت الرائحة. "إيّا دافيد، سألتني الشرطي، "أين تعيش؟"

أصبحت بالجمود. انزلت الطبقة العلوية للبيتزا عن مكانها. استدرت. كنت أمل أن يفسي نوعاً ما سبب اقتيادي إلى هنا.

"هيا يدافيد. لنا مهمتك بك فعلاً. تسمرت عيناه على عيني. لا

أستطيع الهروب. أعدت قطعة البيتزا خاصتي بهدوء إلى العلب.

تمدد الشرطي للمس يدي. جلست على نحو لا إرادي. وقبل أن يحاول

الشرطي مجدداً، حملته على الإزعاج. كنت أصرخ داخل رأسي. ألا

تقيم؟ أمي لا تريدني، لا تحبني، لا تكثر بي! حسناً؟ إذا... هلا

نركبتي وشأني. أستطيع الاعتماد على نفسي. واضح؟

أبعد الشرطي كرسيه عن الطاولة قبل أن يقول بصوت ناعم:

"دافيد، أنا هنا لمساعدتك. عليك معرفة ذلك، وسوف أبقى هنا طالما

تحتاج إلى ذلك." انحنى إلى الأمام ورفع فمّي بأصابعه. انهمرت

الدموع من عيني. كان أنفي جارياً. أعرف الآن أنه لا مجال للفرار.

لا أملك الجرأة للظفر إلى الشرطي في عيني.

"جادة كريستالين، سيدي، قلت له في صوت خافت.

"جادة كريستالين؟"، سألتني الشرطي.

"نعم سيدي... 40 جادة كريستالين"

"دافيد، لقد فعلت الصواب. مهما كانت المشكلة، أنا متأكد من أننا

سنحلها."

أطلعته على رقم الهاتف فاخترت الشرطي للحظات. وحين عاد،

مجم على البيتزا مجدداً.



أمسكت بقطعة البيتزا نفسها. إنها باردة وفطيرة. أردت الأكل، لكن عقلي بعيد ملايين الأميال. عاد الشرطي وطعأني بابسامة. "ميكون كل شيء على ما يرام".

حسناً قلت لنفسى. إن الوقت الوحيد الذي شعرت فيه بالأمان والحماية هو حين كنت ولداً صغيراً. كان عمري خمس سنوات في ذلك اليوم حين انتظرتني العائلة فيما كنت أنساب على التلة الصغيرة في آخر يوم دراسي لي في الحضانة. ما زلت أنكر وجه أمي يتألق حياً فيما كانت تصرخ: "هيا حبيبي. هيا دافيد". فتحت لي الباب بعد أن عانقتني بقوة. ثم أغلقت الباب قبل أن ينطلق أبي. التقصد: الظهر. في ذلك الصيف، علمتني أمي كيفية الطفو على ظهري. كنت خائفاً لكن أمي بقيت معي حتى تعلمت كيفية فعل ذلك لوحدي. كنت فخوراً جداً حين أثبتت لأمي أنني ولد كبير، أستحق انتباهها ومديحها. كان ذلك الصيف أفضل مرحلة في حياتي. لكن فيما أجلس الآن أمام الشرطي، أعرف أن الأمور لن تعود أبداً إلى ما كانت عليه. لقد أصبحت أوقاتى الحلوة مجرد نكريات.

نظر الشرطي إلى الأعلى. أدبرت كعفتي فوجئت والذي مرتدياً إحدى قمصانه اللطيفة للحمراء يقف خلفي. أوما شرطي آخر إلى الشرطي الجالس قربي. "سيد بيلزر"، سأل الشرطي الجالس قربي. أوما والذي برأسه إيجاباً. اخذني الرجلان في مكتب. أغلق الشرطي الباب. تمنيت لو أنني أستطيع سماع ما يقولانه. أنا ولتق أن الحديث يدور على وعن مشاكلنا الدائمة مع أمي. شعرت بارتياح لأنها لم تأت. لكني أعرف بطريقة ما أنها لا تتجرا أبداً وتكشف

نفسها أمام السلطة. أعرف أنها تستخدم والدي دوماً للأشياء القذرة. إنها تسيطر على والدي - تماماً مثلما تحاول السيطرة على الجميع. وفوق كل ذلك، أعرف أنها ملزمة بإخفاء السر. يجب ألا يعرف أحد أبداً بعلاقتنا السرية. لكني أعرف أنها تخطئ. إنها تقعد السيطرة. أحاول أن أفهم معنى ذلك. وإذا أدركت الصمود، بجدر بي التفكير مسبقاً.

بعد عدة دقائق، فتح باب الغرفة. خرج والدي من الغرفة، وصالح الشرطي. اقترب الشرطي مني ولحنى صويي قللاً: "دافيد، كان مجرد سوء تفاهم بسيط أخبرني والدك الآن أنك غضبت حين لم تسمح لك أمك بالركوب على دراجتك. لكنك لا تحتاج إلى الهرب من المنزل لعمل هذا الشيء. لذا، إذهب الآن إلى المنزل مع والدك، وسوف نسوي الأمور مع والدك. يقول والدك هنا إنها قلقة جداً عليك". ثم غيّر نبرة صوته فيما وجهه بإصبعه نحوي. "ولا تضع أمك في مثل هذا الموقف مجدداً. أمل أن تكون تعلمت درسك. قد يكون أمراً مخيفاً، ليس كذلك؟"، سأل الشرطي فيما يشير إلى خارج المبنى.

وقفت أمام الشرطي غير مصدق. لا أستطيع تصديق ما أسمع. الركوب على دراجتي؟ أنا لا أملك أية دراجة ولم أركب على واحدة قبلاً. أريد الدوران لمعرفة ما إذا كان يحدث إلى ولد آخر غيري. نظر إليّ والذي من الخلف. كانت عيناه فارغتين. أدركت أنها مجرد قصة أخرى من قصص أمي.

"ودافيد"، أضاف الشرطي، "عامل أمك باحترام وجمال. لا تعرف كم أنت محظوظ". أصبح عقلي مشوشاً. كل ما أستطيع

سماعه داخل رأسي هو: "كم أنت محظوظ... كم أنت محظوظ..."  
مراراً وتكراراً، ارتجفت حين أطلق والذي باب السيارة من جهة  
السائق، تنفس بعمق قبل أن ينحني صوبى، "يا إلهي، دافيد"، بدأ  
الفول فيما كان يدير مفتاح السيارة ويونس على دواسه الوقود.  
"بماذا تفكر بحق الجحيم؟ هل لديك أية فكرة عما فعلته؟ هل تعلم  
بماذا شعرت أمك؟"

استدار رأسي نحو أبي. شعرت هي؟ ماذا عني أنا؟ ألا يهتم أحد  
بي؟ لكن... قلت لنفسى... ربما انهارت، فذ تكون فعلاً مهتمة بي،  
يحتمل أنها أدركت فداحة ما ارتكبته؟ تخيلت أمي للحظة وهي تنبكي  
بين ذراعيّ والذي، تتعامل عن مكاني، وما إذا كنت حياً أو لا.  
تخيلت من ثم أمي وهي تركض فيما الدموع في عينيها وتطوقني  
بحضان، وتغمرنى بالقبلات، والدموع تنهمر على وجهها. أستطيع  
تقريباً سماع أمي تقول الكلمتين الأكثر أهمية التي أثنق إلى  
سماعهما. وسوف اكون مستعداً لقول الكلمات الثلاث الأكثر أهمية:  
"أنا أحبك أيضاً".

"دافيد"، أمك والذي بذراعي. قفزت من مكاني وارتطم رأسي  
بأعلى السيارة، "هل لديك أية فكرة عما كانت تفعله أمك؟ لا أستطيع  
الاستمتاع بلحظة هدوء في هذا المنزل، صدقني أن الأمور كانت  
مجرد جحيم منذ أن غادرت. ألا تستطيع البقاء بهدأى عن المشاكل؟  
ألا تستطيع المحاولة لجعلها سعيدة؟ أليق بعيداً عن طريقها ونفذ ما  
تريد. هل تستطيع فعل ذلك؟ هل تستطيع فعل ذلك لي؟ موافق؟"  
صرخ والذي ورفع صوته عالياً جداً بحيث ارتعش جلدي.

أومات برأسي إيجابياً ببطء. لا أتجرأ على إصدار أي صوت  
لأنى أبكي في داخلي. أعرف أنني مخطئ. إنها غلطتي، كما هي  
الحال على الدوام. استدرت نحو والذي فيما كنت أهرز رأسي صعوداً  
ونزولاً. انحنى والذي ليربت على رأسي.  
"حسناً"، قال لي بصوت خافت، "حسناً، هذا هو نمري. فلنعد الآن  
إلى المنزل".

وفما كان والذي يفود العيارة صعوداً في الشارع نفسه الذي  
نزلقته قبل بضعة ساعات، جلست في طرف السيارة بحيث يتكئ  
وزن جسمي على الباب. شعرت أنني حيوان مسجون يريد شق  
طريقه عبر الزجاج. وكلما اقتربنا من المنزل، ازداد شعوري  
بالارتجاف في داخلي. أريد الذهاب إلى الحمام. المنزل، قلت  
لنفسى. حنكت في يديّ، ترتجف أصابعي من الخوف. أعرف أنني  
سأعود بعد لحظات قليلة إلى حيث بدأ كل شيء. وفي الإجمال، لم  
يتغير أي شيء، ولن يتغير أي شيء. أتمنى لو كنت شخصاً، أي  
أحد غير أنا، أتمنى لو كان لي حياة وعائلة ومنزل.

أدخل والذي السيارة إلى الكراج. التفت إليّ قبل فتح الباب.  
"حسناً، ها قد وصلنا"، قال لي بابضامة رائقة. "نحن في المنزل".  
نظرت إليه على أمل أن يشعر بخوفي وألمي الداخلي. المنزل؟  
قلت لنفسى.

أنا لا أمك أي منزل.

---

## الفصل

### 2

---

ملاك اسمه

الآنسة غولد

[www.mlazna.com](http://www.mlazna.com)

^ RAYAHEEN ^

في 5 آذار 1973، تلقيت الإجابة التي انتظرناها طويلاً في صلاتي. لقد أنقذت. تدخل أساتنتي وبفئة الموظفين في مدرسة توماس إديسون الابتدائية وأبلغوا الشرطة.

حدث كل شيء بسرعة البرق. بكيت من كل قلبي حين قلت الوداع النهائية لأساتنتي. أدركت بطريقة ما أنني لن أراهم أبداً مجدداً. ومن خلال الدموع في عيونهم، أدركت أنهم فهموا حقيقتي - الحديقة الفعلية. لماذا كنت مختلفاً عن بقية الأولاد، لماذا كانت رائحتي كريهة ونيابي بالية، لماذا كنت أصعد إلى سلالت المهملات بحثاً عن لقمة طعام.

وقبل المغادرة، انحنى أساذي السيد زيغلر ليقول لي وداعاً. صافح بدي وطلب مني أن أكون ولداً صالحاً. ثم همس في أذني أنه سيطلع صفي على حقيقتي. وكانت عبارة السيد زيغلر نعلي العالم بالنسبة إلي. أدركت كثيراً أن يحبني الآخرون، وأن أكون مقبولاً في صفي ومدرستي - من الجميع.

توجب على الشرطي دفعي برفق عبر باب المدرسة. "هيا بنا يا دافيد، علبنا الذهاب". مسحت أنفي قبل الخروج من الباب. تسارعت ملايين الأفكار إلى رأسي، وكلها أفكار سيئة. خشيت من العواقب حين نكتشف أسي الأمر. فما من أحد صافح مثل هذه الأم قبلاً.

وحين علمت بالأمر، أدركت أن هناك الكثير لتدفعه.

فيما أخذني الشرطي إلى سيارته، سمعت أصوات كل تلاميذ المدرسة وهم يلعبون في الملعب أثناء قرصة الغداء. وفيما ركبنا في السيارة، استدرت في مقعدي لألقي نظرة على ملعب المدرسة للمرة الأخيرة. غادرت مدرسة توماس إديسون الابتدائية من دون أن يكون لي صديق واحد. لكن أستي الوحيد هو التي لم أتمكن من وداع أستاذتي في اللغة الانكليزية، السيدة وودورث، لأنها كانت مريضة ذلك اليوم. فحين كنت سجين أسي، كانت السيدة وودورث تساعدني على الفرار من وحدتي من خلال استعمال الكتب، من دون أن تدري هي ذلك. فقد أمضيت مئات الساعات في القلالم أقرأ كتب المغامرات. وقد خفف ذلك نوعاً ما من ألمي.

بعد ملاء بعض الاستمارات في مركز الشرطة، اتصل الشرطي بأمي ليعلمها بأنني لن أعود إلى المعتزل بعد ظهر اليوم وأنها تستطيع الاتصال بسلطة الأحداث المحلية إذا كان لديها أية أسئلة. جلست مثل الصنم، أشعر بالرعب والإثارة فيما الشرطي يتحدث على الهاتف. تخيلت ما يمكن أن يجري في رأس أسي. فيما كان الشرطي يتحدث بصوت جاف على الهاتف، استطعت مشاهدة قطرات العرق تتقطر جبينه. وبعد إغلاق سماعة الهاتف، تساءلت للحظة ما إذا كان عاني التجربة نفسها بعد التحدث إلى أسي. بدا لي أن الشرطي مصرّ جداً على مغادرتنا المركز على الفور. لكنني لم أساعده البتة بمضايقاتي المتكررة إذ كنت أقفز صعوداً ونزولاً وأقول: "ماذا قالت؟ ماذا قالت؟" رفض الشرطي الإجابة. بدا لي أنه أصبح يتنفس بسهولة

أكبر ما إن غادرتنا حدود المدينة. ثم انحنيت إلي وقال: "داقيد، أنت حرة. لن تؤذيك أمك أبداً بعد اليوم".

لم أفهم تماماً أهمية عبارته. تميّنت أن يأخذني إلى نوع من السجن، مع بقية الأولاد السيئين - تماماً مثلما برمجتني أسي طوال سنوات. قررت منذ زمن بعيد أنني أفضل العيش في السجن على أن أعيش دقيقة واحدة إضافية معها. استدرت بعيداً عن الشمس. انهمرت دموع واحدة على وجهي.

أتذكر أنني كنت أمسح دموعي على الجوانم وأنزوي في داخلي. لكنني رفضت هذه المرة مسح الدمعة. شعرت الدمعة وهي تصل إلى شفتي، وتذوقت الملح، وتركت الدمعة تجف على بشرتي فيما أشعة الشمس تسطع عبر الزجاج الأمامي. أردت التذكر أن تلك الدمعة ليست دموع خوفاً أو غضباً أو أسي، وإنما دموع فرح وحريّة. أدركت في تلك اللحظة أن كل شيء في حياتي سيكون جديداً.

أخذني الشرطي إلى المستشفى المحلي. تم اصطحابي على القور إلى غرفة المعالجة. بنت الممرضة مصدومة حين شاهدت مظهري. غسلت كل جسمي بأكثر لطف ممكن، من الرأس وحتى أخمص القدمين، باستعمال استنجة طرية قبل أن يقمصني الطبيب. لم أستطع النظر إليها. شعرت بخجل شديد فيما أنا جالس على أعلى الطاولة المغطاة الباردة، مرتدياً ثيابي الداخلية الوسخة المليئة بالثوب. وحين غسلت الممرضة وجهي، استدرت وأبقيت جفني مغلقين بإحكام فدر الإمكان. حين انفتحت، نظرت إلى الغرفة الصفراء اللون المليئة بشخصيات ستوبي. نظرت إلي مختلف أنحاء جسمي. كانت

نراعي وساقاي مزيجاً من الأصفر والبني. فالداوثر الداكنة للرضوض الأرجوانية اختفت فوق الدوائر الجديدة للرضوض الزرقاء- إذ كنت أتعرض للضرب والصق على أرض المطبخ. وحين جاء الطبيب إلى الغرفة، بدا مهتماً جداً ببديّ وئراعي. كانت أصابعي جافة وخشنة وحمرء نتيجة مرور سنوات على استعمال مزيج من مواد التنظيف الكيميائية لإتمام الواجبات المنزلية. وخز الطبيب أطراف أصابعي وسألني إذا كنت أشعر بالضغط. هزرت رأسي سلباً. مضى وقت لم أتمكن فيه من الإحساس بأطراف أصابعي. هز رأسه، زاعماً أنه لا داعي للقلق، ولذلك لم أفكر أكثر في الأمر.

بعد ذلك، قادني الشرطي بلطف إلى مجموعة من الردهات فيما نحن نشق طريقنا من غرفة إلى أخرى للخضوع للكثير من الفحوصات، والتحليل، واختبارات الدم، وصور الأشعة. وجدت نفسي أتحرك في متاهة. شعرت أنني أراقب حياة شخص آخر غير عيبي. أصبحت خائفاً جداً لدرجة أنني سألت، ومن ثم توسلت، الشرطي للتحقق من كل زاوية والدخول إلى كل غرفة قبل أن أفعل أنا ذلك. عرفت أن أمي ستكون قابعة في مكان ما، جاهزة للاتقضاص علي. رفض الشرطي في البداية. وحين أصبحت خائفاً جداً لدرجة أنني لم أستطع التنفس أو التحرك، أدعنى الشرطي لطباتي. أدركت في قرارة نفسي أن الأمور تحدث بسرعة كبيرة- كان من السهل عليّ القرار من أمي.

بعد ساعات عدة، عدنا إلى الممرضة نغمها التي تولت تنظيفي.

انحنيت صوبي لتقول شيئاً. انتظرت. حدثت في عيني، ثم أدارت وجهها بعد بضعة لحظات. استطعت سماعها وهي تقدم. سار الطبيب خلفي، وربّت على كتفي وأعطاني كيساً محتوياً على مرهم يدي. علمتي من ثم كيفية إبقاء ذراعيّ نظيفين قدر الإمكان وقلت له إن الألوان قد فات لحمايتهما. نظرت إلى الشرطي، ومن ثم إلى ذراعي. لم أفهم. بالنسبة إليّ، بدت ذراعيّ مثلما هما على الدوام- لونهما أحمر داكن مع القليل من الجلد. كنت أشعر ببعض الحكاك في كلا الذراعين، لكن هذا طبيعي بالنسبة إليّ. وقيل أن نهم بالمعاصرة، أنا والشرطي، جاء الطبيب وقال للشرطي: تأكد من حصول دافيد على الكثير من الطعام. وتأكد من حصوله على الكثير من الوقت تحت أشعة الشمس. ثم اقترب الطبيب منه أكثر وسأله: "أين هي؟ لن ترسله مجدداً إلى...؟"

نظر الشرطي مباشرة إلى عينيّ الطبيب "لا داعي للقلق أيها الطبيب. لقد أتممت أمام الولد. لن تؤذيه أمه أبداً بعد اليوم". منذ تلك اللحظة، أدركت أنني أصبحت في أمان. وقفت قرب الشرطي وأردت معانقة ساقه، لكنني أدركت أنه لا يجدر بي فعل ذلك. لمعت عياني قرحاً. أصبح الشرطي يطلي.

بعد بضعة دقائق على مغادرتنا المستشفى، أبطأ سرعة سيارته فيما كان يفود عبر الهضاب في الطرقات الضيقة. اقتربت "من النافذة وحككت بذهول في الهضاب البنية المتحدرة والأشجار الطويلة. بعد لحظات قليلة، أوقف الشرطي السيارة. "حسناً، دافيد، ها قد وصلنا". حدثت جيداً في أجمل منزل رآته عياني. شرح لي الشرطي أنني

ساعات هنا لبعض الوقت وسيكون هذا منزل الزبنة الجديد. لم أسمع قبلاً بمنزل الزبنة، لكنني عرفت أنني سأحب المنزل. بدا لي مثل كوخ خشبي عملاق فيه الكثير من النوافذ المفتوحة. لاحظت أنه يوجد خلف المنزل فناء عملاق، حيث تعلو أصوات الصراخ والضحك.

قالت المرأة العجوز التي كانت تدير منزل الزبنة المؤقت إنها تدعى "العمة ماري؛ وأنت عليّ التحية عند باب المطبخ. شكرت الشرطي بأقوى مصافحة ممكنة. شعرت بالأسى لأنه عمل ساعات إضافية بسببي، ركع وقال لي بصوت عميق: "دافيد، إن الأولاد أمثالك جعلوني أفكر في أن أصبح شرطياً. من دون تفكير، أمسكت بعنقه. في هذه اللحظة، شعرت أن زراعتي في النار. لكنني لم أبه. "تذكراً لك سدي".

"هاي، أيها الولد، لا مشكلة في ذلك، أجباني. ثم سار في ذلك الممشى المتعرج وحياتي من سيارته قبل الانطلاق بعيداً. لم أعرف حتى اسمه.

بعد أن أظعمتي العمة ماري عشاء لذياً من شرائح سمك موسى، عرقتني إلى الأولاد السبعة الآخرين الذين لم يعودوا يعبثون مع أظهم، لسبب أو لآخر. حدثت في وجه كل واحد منهم. كانت بعض العيون مجوفة، وبعضها مليء بالقلق، والبعض الآخر مليء بالارتباك. لم أكن أعلم أن هناك أولاداً آخرين غير مرغوب في وجودهم أيضاً. فقد شعرت طوال سنوات أنني وحيد. تصرفات في البداية في خجل، لكن بعد طرح بقية الأولاد بعض الأسئلة عليّ، اختفى خجلي. "ماذا أنت هذا؟"، سألوني. "ماذا حدث لك؟"

أخبرت رأسي قبل الإجابة بأن أسي لا تحبني لأنني كنت يوماً أواجه المشاكل. شعرت بالخزي. ثم أكن أرغب في إطلاعهم على السر الموجود ببلي وبين أسي. لكن هذا الأمر لا يهمهم لأنني مجرد وجه آخر في الزحام. ثم قبولي على الفور بينهم، شعرت بفورة من الطاقة تنبثق من داخلي. ومنذ تلك اللحظة، أصبحت ولداً وحشياً. ركضت في كل أرجاء المنزل كما لو كان مروالي مستعلاً. رحلت أمزج وأضحك وأصرخ بفرح، مطلقاً سنوات العزلة والصمت.

خرجت عن السيطرة. ركضت من غرفة إلى غرفة، وقفزت فوق كل فراش في المنزل. قفزت غالباً جداً بحيث ارتطم رأسي مراراً وتكراراً بالسقف. لم أتوقف إلا حين شاهدت النجوم. لم أهتم. صنف لي بقية الأولاد بأنبيهم. لم تكن ضحكاتهم باردة، مثل الملاحظات الساخرة التي كنت ألتقها في المعرسة، وإنما مفعمة بالسرور والرضى.

انتهى مرحي فجأة حين دخلت مسرعاً إلى غرفة الجلوس، لدرجة أنني أوشكت على كسر المصباح. أمسكت العمة ماري زراعتي على نحو لا إرادي. وكانت على وشك توبيخي حين نظرت إليّ. غطيت وجهي وبدأت ركبتي ترتجفان. كانت العمة ماري امرأة عجوز صارمة، نصرت على موقفها، لكنها لا تصرخ أبداً. في ذلك الممساء، انتهى نشاطي المفرط بسرعة كبيرة تملأ مثل يخرج الهواء من البالون. أفنكت العمة ماري قبضتها وركعت قربي لتسألني: "ماذا فعلت لك؟"

"لنا أسف"، تمتعت بصوت منخفض. كنت لا أزال غير واثق من

توايما العمة ماري. عدت إلى موقفي الوفاقي. "كنت ولداً سيئاً واستحييت ما ظننته".

في وقت لاحق من ذلك المساء، جاءت العمة ماري إلى مربري. بدأت أبكي وأخبرتها أنني أخاف من أن تأتي أُمِّي وتأخذني بعيداً. طمأنتني أنني في أمان وقيت معي حتى شعرت بالأمان. حدثت في المسقف الخشبي الداكن. نكرني بالكوخ القديم في غيرنغيل. خذت إلى النوم وأنا أعرف أن أُمِّي موجودة هناك، في مكان ما، تنتظرتني. بقيت لوحدي في أحلامي ووجدت نفسي أقف في نهاية ممر طويل ومظلم. ظهر خيال شخص في الطرف المقابل. تحول ذلك الوجه إلى أُمِّي. بدأت تسير تحوي. وتسبب ما بقيت جامداً في مكاني. لم أستطع الحركة، لا بل إني لم أحاول. وكلما اقتربت أُمِّي مني، رأيت بوضوح أكبر وجهها الأحمر المليء بالكراهية. كانت أُمِّي تحمل سكيناً لامعاً فوقها، ومستعدة لطعني به. استمرت وركضت في الممر السرمدي. ركضت بكل ما لي من قوة وبأكبر سرعة ممكنة، بحثاً عن ضوء. ركضت إلى الأبد. كان الممر يلتف ويتعطف كلما بحثت عن مخرج. استطعت الإحساس بالنفس الكريه لأُمِّي على عتقي وسماع صوتها يردد أنه لا مجال للقرار وأنها لن تدعني أبداً أقُلت.

استنقت من حلمي. كان وجهي وصدري مغطين بعرق بارد وديق. لم أعرف ما إذا كنت لا أزال أحلم، فغطيت وجهي. وحين بدأ نفسي يهدأ، نظرت من حولي بخوف شديد. ما زلت في غرفة النوم. ما زلت أرئدي البيجاما التي أعطتني إياها العمة ماري. تحسست

نفسي بحثاً عن أية جروح. إنه حلم، قلت لنفسي. حلم سيء، هذا كل ما في الأمر. حاولت السيطرة على نفسي لكنني لم أستطع التخلص من المشهد. ما زالت كلمات أُمِّي ترن في أذني. لن أدعك تغلب أبداً.

قفزت عن السرير واندفعت مذعوراً في الظلمة لارتداء ملابس. عدت إلى رأس السرير ووضعت ركبتي بالقرب من صدري. لم أستطع العودة إلى النوم. فند كانت تعيش أُمِّي في ذلك المكان- أي في أحلامي. شعرت أن إيعادي كان خطأ كبيراً، وأدركت أنني سأعود إليها سريعاً. في تلك الليلة، والليالي التي تلت، كنت أجلس على ركبتي، فيما الجميع نائمون، وأتأرجح إلى الأمام والخلف وأتمتع لنفسي. كنت أصدق غير الناقذة وأستمع إلى الأشجار وهي تتمايل مع تسمم الليل. قلت لنفسي إنني لن أشاهد ذلك الكابوس أبداً مرة ثانية.

كان لقايتي الأول مع وكالة خدمة حماية الأولاد عبر ملاك اسمه الأنسة غولد. فطعها الطويل والأشقر اللامع ووجهها المشرق تطابقاً فعلاً مع اسمها. "مرحباً"، قالت مبتسمة. "أنا مساعدتك الاجتماعية". هكذا، بدأت الجلسات الطويلة والمتتالية التي توجب عليّ خلالها شرح أمور لم أفهمها تماماً. وفي بداية جلستنا الأولى، جلست في زاوية الأريكة فيما جاسدت الأنسة غولد في الطرف الآخر. ومن دون معرفتي، راحت تقترب مني شيئاً فشيئاً إلى أن أصبحت قريبة كفاية مني لتمسك لي يدي. كنت خائفاً جداً في البداية للسماح لها بلمسي. فأنا لا أستحق لطفها. لكن الأنسة غولد تشبثت



بيدي، ولاطفت راحة يدي، وأكدت لي أنها هنا لمساعدتي. في ذلك اليوم، بقيت معي لأكثر من خمس ساعات.

كانت الزيارات الأخرى طويلة أيضاً. في بعض الأحيان، كنت أكرسي التحدث معاً أفضى إلى لحظات طويلة من الصمت. وفي أحيان أخرى، من دون سبب ظاهري ومن دون أن أفهم السبب، كنت أفجر في اليكاه. لم تهتم الأنسة غولد بذلك. كانت تضميني ببساطة وتؤرجحني، وتهمس في أذني أن كل شيء سيكون على ما يرام. في بعض الأحيان، كنا تستلقي على طرف الأريكة فيما أنا أتحدث عن أمور لا علاقة لها أبداً بماضيني السيء. في تلك الأوقات، كنت ألعب بالخصلات الذهبية لشعر الأنسة غولد. كنت أنام بين قراعيها وأتفحص عطرها الجميل. بدأت أتق سرباً في الأنسة غولد.

أصبحت صديقتي المفضلة بعد المدرسة، حين أشاهد سيارتها، كنت أركض بسرعة لأصل إلى منزل العمة ماري، وأنا واثق من أن الأنسة غولد أتت لرؤيتي. كنا تنهي جلسائنا على الدوام بعناق طويل. كانت من ثم تحبني صوبي وتؤكد لي أنني لا أستحق أبداً المعاملة التي تلقيتها وأن الغلظة لم تكن غلطتي وإعصا غلظة أمي. لقد سمعت كلمات الأنسة غولد قبلاً، لكنني لم أكن واثقاً جداً بعد سنوات من غسل الدماغ. لقد حدث الكثير بسرعة. وذات مرة، سألت الأنسة غولد عن سبب حاجتها لكل تلك المعلومات عني وعن أمي. قالت لي إن المقاطعة ستستخدم هذه المعلومات ضد أمي. "لا، قلت لها. يجب ألا تعرف أبداً أنني أخبرتك بهذا".

أكدت لي الأنسة غولد أنها تفعل الصواب، لكن حين تركتني

وحيداً لأفكر، توصلت إلى نتيجة مختلفة. أذكر أنني واجهت المشاكل على الدوام. لطالما تلقيت العقاب لسبب أو لآخر. وحين كان يتقاتل والداي، كان اسمي يرن دوماً في أذني. هل كانت فعلاً غلظة أمي؟ قلنا أستحق ربما كل ما نلقه خلال الأعوام الماضية. لقد كذبت وسرقت الطعام. وكنت أعرف السبب الذي دفع أمي وأبي إلى عدم العيش معاً. هل سترمي المقاطعة بأمي في السجن؟ ماذا سيحل عندئذ يباخوتي؟ بعد أن غادرت الأنسة غولد في ذلك اليوم، جلست لوحدي على الأريكة. تسارعت الأسئلة إلى عقلي. شعرت بأعصابي تتحول إلى كتلة يالهي! ما الذي فعلته؟

بعد عدة أيام، يعد ظهر يوم الأحد، وقيما كنت خارجاً أتعلم لعبة كرة السلة، سمعت الصوت المألوف لسيارة أمي. شعرت أن قلبي توقف عن الخفقان. أغلقت عيني، وفكرت أنني في أحلام اليقظة. وحين استجاب دماغي، التفتت وركضت إلي داخل منزل العمة ماري لأرتمي في أحضانها. "إنها... أم...". تمتعت.

"نعم، أعرف"، أجابت العمة ماري بهدوء فيما كانت تمسك بي. "سوف تكون على ما يرام".

"لا أنت لا تفهم... سوف تأخذني بعيداً لقد وجعتني"، صرخت. حاولت إفلات نفسي من قبضة العمة ماري بحيث أتمكن من الخروج والعثور على مكان آمن للاختباء.

لكن قبضة العمة ماري بقيت قوية. "لا أريد أن أزعجك"، قالت العمة ماري. "سوف تضع بعض الثياب. أنت ذاهب إلى المحكمة يوم الأربعاء وتردك أمك أن تبذو جيلاً".

"لا، قلت باكياً. سوف تأخذني! سوف تأخذني معها!"

دافيد، أبني ساكتاً. ساكون هنا إذا احتجت إليّ. والآن إهدأ من فضلك أيها الشاب! بذلت العمة ماري كل ما بوسعها لتهدئتي. لكن عيني جحظتا حين شاهدت أمي تسير في الممشى وأولادها الأربعة معها.

جلست قرب العمة ماري. تم تبادل التحيات، وعدت إلى ذاتي القديمة- أي إلى الولد الذي اسمه "هو". تحولت بلمح البصر من صبي حماسي إلى العبد غير المنظور لأمي.

لم تلاحظ أمي وجودي. التفتت بدل ذلك إلى العمة ماري وقالت لها: أخبريني إذا، كيف حال الولد؟

نظرت إلى وجه العمة ماري. بدت مذهولة. اضطربت عيناها للحظة. دافيد؟ أوه، دافيد بخير. شكرًا لك. إنه هنا، تعلمين ذلك، أجابت العمة ماري وهي تمسكني بقوة.

"نعم"، ثألت أمي بصوت جاف. أستطيع رؤية ذلك. شعرت بكره أمي يحترق داخلي. وكيف هو حاله مع بقية الأولاد؟

أملت العمة ماري رأسها إلى جالِب واحد. "جيد. دافيد مهذب جداً ويساعد كثيراً في المنزل. إنه يحاول دوماً المساعدة، أجابت وهي تدركه تماماً أن أمي لا تريد التحدث معي مباشرة.

"حسناً... يجدر بك توخي الحذر"، حذرتها أمي. لقد حاول إيذاء بقية الأولاد. فهو لا يتفق كثيراً مع الآخرين. الولد عفيف. إنه يحتاج إلى رعاية خاصة وانضباط قوي. أنت لا تعرفين الولد."

شعرت بعضلات ذراع العمة ماري تتحول إلى كتلة صلبة.

لنحتت إلى الأمام، ومنحت أمي أفضل إقباساتها- تلك الإقباسة التي تحب العمة ماري صقع أمي بها. دافيد شاب مهذب. قد يكون دافيد صعب المراس... لكن هذا متوقع نظراً لما عاناه دافيد!"

أدركت فجأة ما يحدث. كانت أمي تحاول السيطرة على العمة ماري، لكن أمي تكسر معركتها. أحتيت كفتي إلى الأمام وتظرت إلى أمي على نحو خجول فيما رحت أهدق في السجادة. لكن في الداخل، أصبحت أذتاني مثل رادار يلتقط كل العبارات والحروف. أخيراً، قلت لنفسي، نجح أحدهم في وضع أمي في مكانها الصحيح. نعم!

كلما سمعت نبذة العمة ماري تتغير تجاه أمي، ازداد إشراق وجهي. كنت أستمع في ذلك. رفعت رأسي قليلاً إلى الأعلى. نظرت مباشرة إلى عيني أمي. أستمعت في داخلي. حسناً، ليس هذا جميلاً. إنه بشأن الوقت، قلت لنفسي. وفيما كنت أصغي إليهما، بدأ رأسي يتمايل من اليسار إلى اليمين، مراراً وتكراراً، كإنني أشاهد مباراة في كرة المضرب. حاولت العمة ماري مجدداً دفع أمي للاعتراف بي. حثيت رأسي أمام أمي كما لو أنني لواقق علناً مع العمة ماري.

بدأت أشعر بثقة كبيرة. لنا شخص. أنا إنسان، قلت لنفسي. أحسست أن أتحاء جميعي بدأت سترخي. لم أعد متعوراً أيداً. وأخيراً، أصبح كل شيء على ما يرام- إلى أن سمعت الهاتف يرن. استدأر رأسي إلى اليمين فيما كان هاتف المطبخ يرن. أحصيت الترات، على أمل أن يأتي أحدهم ويرفع السماعة. أصبحت متوتراً

بعد الورنة الثانية عشرة. استدارت العمة ماري نحو المطبخ. أمكنت بذراعها. هيا، قلت لنفسى، الرقم خطأ، أقل الخط، لكن الهاتف استمر في الرنين - 16، 17، 18 مرة. أقل! أقل! شعرت أن العمة ماري تنحني إلى الأمام لتنهض. أبقيت يدي على ذراعها، محاولاً إجبارها على البقاء، وحين وقعت، تبعيتها. تشبثت يدي اليمى بذراعها الأيسر. توقفت في منتصف الطريق وأفلتت يدي، الإصبع ثلث الآخر. "دافيد، أرجوك، إنه الهاتف فقط بحق السماء، لا تكن فظاً. عد الآن إلى هناك." وقفت جامداً. نظرت إلى عيني العمة ماري لبرهة. فهمت العمة ماري. أومات برأسها، "حسناً"، قالت بصوت منخفض. "هيا، يمكنك البقاء معي."

تنفست الصعداء فيما تبعك قدميها إلى المطبخ. فجأة، شعرت أن ذراعي اليسرى ترتد إلى الخلف. فقدت توازني تقريباً. ناضلت بقوة لاسترداد توازني. أغلقت عيني وعضضت شفتي. بدأت ساقاي ترتجفان. كانت أمي على مسافة إثبات متي. جعلتني نفسها الثقيل والكثير أرتعش. طغى اللون الأحمر الداكن على وجه أمي. عرفت أن عينيها تتقدان شراً من وراء نظارتها، حاولت البحث عن مخلصي، لكن العمة ماري دخلت إلى المطبخ.

حدثت في السجادة، وتمتد أن تبعد عني، ضغطت أمي بقوة على ذراعي، "انظر إليّ!". أصبت بالجمود. أردت الصراخ، لكن صوتي أصبح أكرساً فجأة. نبئت عينيها الشريرتين في عيني، أغلقت عيني حين شعرت أن رأس أمي يميل أكثر نحو وجهي. أصبح صوت أمي الرتيب شديراً فجأة. "ولد حقير، أليس كذلك؟"

حسناً، لا تبدو طوبلاً جداً الآن، أليس كذلك؟ ماذا جرى؟ هل تركتك العمة ماري؟ قالت بصوت ساخر. ثم جعلتني أمي قريباً جداً من وجهها بحيث استطعت شم نفسها والشعور بقطرات لعابها تتساقط على وجهي. أصبح صوت أمي بارداً جداً. "هل تعرف ما الذي فعلته بحق الجحيم؟ هل تركك؟ الأمثلة التي طرحوها علي؟ هل ترك الإحراج الذي كلفته لهذه العائلة؟" سألت أمي فيما بسطت يدها اليسرى فوق إخواني الجالسين قريبا.

بدأت ركناتي ترتجفان. أردت الذهاب إلى الحمام والتبول. ابتسمت أمي وكشفت عن أسنانها الصفراء الداكنة، "يظنون أنني حاولت إيذاءك، لماذا أفعل ذلك؟"

حاولت الالتفات نحو المطبخ، وبالكاد سمعت صوت العمة ماري علي الهاتف.

"أيتها الولد"، قالت أمي. "إفهم ذلك جيداً. لا أهتم بما يقولونه! لا أهتم بما يفعلونه، لم تنته من ذلك بعد! سوف أعيدك! هل سمعني؟ سوف أعيدك!"

حين سمعت العمة ماري تطلق الساعة، أفلتت أمي يدي ودفعتني بعيداً. جلست في الكرسي العريض وشاهدت مخلصتي ندخل إلى غرفة الجلوس وتجلس قربي. "أنا آمنة بشأن ذلك"، قالت العمة ماري.

أخفضت أمي عينيها ولونحت بيدها. فجأة، أصبحت مهيبية. "ماذا؟ الهاتف؟ لا مشكلة علي... أعني، علينا الذهاب في أية حال". نظرت خلسة إلى إخواني. كانت عيونهم جامدة، حدثت فيهم.

ونسألت عن رأيهم في: ويستثناء كيف، الذي ما زال يذب على الأربعة، يدا أن الثلاثة الباقيين أرادوا كلفني خارجاً والبصق علي، أعرف إليهم يكرهونني، وشعرت أنني أستحق ذلك لأنني كشفت سر العائلة.

حاولت تخيل معنى العيش بالنسبة إليهم مع أمي في الوقت الحاضر. صليت كي يسامحتني إخوتي نوعاً ما. شعرت أنني شاذ عن القانون. صأبت أيضاً حتى لا تكون عدوى الكراهية انتقلت إليهم. شعرت بالأمس تجاههم، إذ توجب عليهم العيش في جحيم حقيقي.

بعد جولة أخرى من المزاحات والتحذيرات النهائية من أمي إلى العمه ماري، رحلت العائلة. وحين سمعت صوت عجلات سيارة أمي تكوس على الصخور أثناء إعتادها، بقيت ملتصقة بالكروسي. جلست في غرفة الجلوس طيلة فترة بعد الظهر، وأنا أتأرجح على الكروسي وأكرر إنذار أمي مراراً وتكراراً: سوف أعينك. سوف أعينك.

في ذلك المساء، لم أستطع الأكل. تقلبت كثيراً في السرير إلى أن جلست أخيراً ممسكاً بركبتي. كانت أمي محقة. عرفت في قرارة نفسي أنها ستعطيني. حذقت خارج نافذة غرفتي. استطعت سماع صوت الرياح وهي تنفخ أعلى الأشجار فتحمله الأغصان ببعضها البعض. بدأ صدري يضيق. رحلت أبكي. عرفت في تلك اللحظة أنه لا مجال لي للفرار.

في اليوم التالي، لم أستطع التركيز في المدرسة. تجولت في ملعب المدرسة مثل الميت. وفي فترة لاحقة من بعد الظهر، التقيت بالآنسة غولد في منزل العمه ماري. دافيد، سوف نذهب إلى

المحكمة بعد يومين. أريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة لتوضيح قضيتنا. موافق عزيزي؟ سألتني فيما الابتسامة تملو وجهها.

ركضت الكلام وجلست في طرف الأريكة. لم أستطع النظر إلى الآنسة غولد. تمتعت بصوت منخفض: "لا أعتقد أنه يجدر بي قول أي شيء".

تعرضت الآنسة غولد لصدمة كبيرة. بدأت تتكلم، لكنني رفعت يدي وقاطعتها. أنكرت من ثم قدر ما أستطيع من الحقائق، زاعماً أنني كذبت بشأن كل شيء. لقد سببت كل مشاكل المنزل. قلت لها إنني وقعت عن السلم، وارتطمت بمقابض الأبواب، وضربت نفسي، وطعنت نفسي. ثم بكيت أمام الآنسة غولد قائلاً إن أمي كانت امرأة جميلة ولطيفة، تدير الستان المثالي، والمزول المثالي، وللعائلة المثالية، وإنني أتوق للاستحواذ على انتباهها بسبب إخوتي. كل المشاكل هي غلطتي.

عجزت الآنسة غولد عن الكلام. جاءت بسرعة إلى حيث أجلس. حاولت مرات عدة الإمساك بيدي. لكنني أيعدت أصابعها الجميلة. شعرت بلحباط كبير لدرجة أنها بدأت تبكي. وبعد ساعات عدة ومحاولات عدة، نظرت إلي الآنسة غولد فيما خطوط الدموع الجافة ويقع الكحل الأسود غطت وجهها. دافيد، حبيبي، شهقت. أنا لا أفهم. لماذا لا تتحدث معي؟ أرجوك حبيبي.

حاولت من ثم تبديل الأسلوب. "ألا تدرك مدى أهمية هذه القضية بالنسبة إلي؟ ألا تعرف أنني لا أتحب في مكتبي إلا عن ولد صغير وجميل له الشجاعة الكفافية لإخباري سر؟"

تظرت إلى الأنسة غولد وأجبتها ببرودة: "لا أظن أنني لريد قول أي شيء".

انحنيت صوبي الأنسة غولد وحاولت إجباري على النظر في وجهها "دافيد، أرجوك..." توسلتي.

لكنها لم تكن موجودة بالنسبة إليّ. أدركت أن مساعدتي الاجتماعية يئذل كل ما بوسعها لمساعدتي، لكنني كتبت أخشى تهديد أمي أكثر من أقوال الأنسة غولد. فمنذ أن قالت في أمي "سأعيدك"، أدركت أن كل شيء في عالمي الجديد ضاع.

تحدثت الأنسة غولد لنفسك بيدي. لكنني سحبت أصابعي بعيداً وأدريت لها ظهري. "دافيد جايمس بيلزرا"، صرخت بصوت عالٍ. "هل لديك أية فكرة عما نقوله؟ هل نفهم ما نقوم به؟ من الأفضل لك أن تجرب فضلك بأمانة! سوف يتوجب عليك اتخاذ قرار حاسم عما قريب، ومن الأفضل أن تكون مستعداً له!"

جلست الأنسة غولد مجدداً على الأريكة، وأقحمتني بين ركبتيها وطرف الأريكة. "دافيد، عليك أن تفهم أن هناك بعض المحطات القليلة المهمة في حياة الشخص، بحيث أن القرارات والخيارات التي تتخذها الآن قد تؤثر عليك لبغية حياتك. أنا أستطيع مساعدتك، لكن فقط إذا سمحت لي بذلك هل تفهم؟"

استدرت بعيداً عنها. فجأة، نهضت الأنسة غولد بقوة عن الأريكة. أصبح وجهها أحمر اللون وبدأت يداها ترتجفان. حاولت حبس مشاعري، لكن نوبة من الغضب انبثقت فجأة مني. "لا"، صرخت. "ألا تفهمين؟ ألا تستوعبين؟ سوف تأخذني مجدداً سوف

تفوز. إنها تفوز دوماً ما من أحد قادر على وقف أمي. لا أنت ولا أي شخص آخر. سوف تأخذني مجدداً".

أصبح وجهها خالياً من أي تعبير. "أوه، يا إلهي"، قالت الأنسة غولد متعجبة فيما كانت تنحني للإمساك بي. "هل هذا ما قالته لك؟ دافيد، حبيبي..." امتدت ذراعها لتطويقني.

"لا"، صرخت. "هلا تركتني وشأني؟ فقط... إذهبي... بعيداً!" وفتت الأنسة غولد فوقني لبضعة لحظات، ثم استدارت وخرجت من الغرفة. وبعد بضعة لحظات، استطعت سماع صوت باب المطبخ وهو يغلق بقوة. هرعته إلى المطبخ من دون تفكير، لكنني وفتت جامداً وراء الباب. شاهدت عبر الزجاج الأنسة غولد وهي تنزل في الممشى الملحدر. أفلتت الأوراق من قبضتها وحاولت التقاط بعضها في الهواء. "اللجنة"، صرخت بقوة. تناثرت الأوراق فيما كانت تحاول ياتسة جمعها في كومة واحدة. وما إن نهضت عن الأرض حتى سقطت مجدداً وجرحت ركبتيها اليمنى. استطعت مشاهدة الأسى على وجهها فيما كانت تضع يدها فوق قسمها. حاولت الأنسة غولد مجدداً الوقوف، وإنما هذه المرة بحرر أكبر، فيما كانت تنجح نحو السيارة. أغلقت باب السيارة بقوة وأحتت رأسها فوق عجلة القيادة. وفيما وفتت وراء الباب الزجاجي، استطعت سماع الأنسة غولد -سلاكي- وهي تكي من دون أية سيطرة. وبعد بضعة دقائق، أدارت سيارتها وانطلقت بسرعة.

وفتت وراء الباب الزجاجي في المطبخ وبكيت في داخلي. عرفت أنني لن أسامح نفسي أبداً، لكن الكذب على الأنسة غولد كان

## الفصل

### 3

## الحاكمة

الأسهل بين الحلين. وقفت لوحدي، مرتبكاً، وراء الباب الزجاجي. شعرت أنني وفرت الحماية لأمي من خلال الكذب والتي فعلت الشيء الصحيح. أدركت أن أمي ستميدني إليها ولا يستطيع أحد منعها. لكن حين تذكرت مدى لطافة الأنسة غولد في كل شيء، أدركت فجأة الموقف الرهيب الذي وضعتها فيه. لم أقصد أبداً أن أؤذي أحداً، خصوصاً الأنسة غولد. أصبحت كالصنم فيما أنا واقف وراء الباب الزجاجي. تمنيت فقط لو أنني أستطيع الزحف تحت صخرة والاختباء للكبد.

بعد يومين، أخذتني الأنسة غولد إلى محكمة المفاطعة. بدأت الرحلة في صمت تام، جلست عند الطرف الأقصى للمقعد بمحاذاة الباب، ورحت أحتق في المشاهد الطبيعية. توجهنا شمالاً على الطريق السريع رقم 280 بمحاذاة قناة المياه، تلك القناة التي اعتادت العائلة على المرور قربها أثناء توجهنا إلى متنزه النصب التذكاري قبل أعوام. وأخيراً، كسرت الأنسة غولد الجليد، وشرحت بصوت لطيف أن القاضي سيقدر اليوم ما إذا كنت سأصبح "تابعاً دائماً للمحكمة" أو سأعود إلى وصاية أمي. لم أفهم جيداً معنى "التابع للمحكمة"، لكنني أدركت ما تعنيه العودة إلى وصاية أمي. ارتعشت عند سماع الجزء الأخير من عبارة الأنسة غولد. نظرت إليها وتساءلت ما إذا كنت سأعود مع الأنسة غولد بعد المحاكمة أو سأجلس في سيارة أمي. سألت الأنسة غولد ما إذا كانت هناك إمكانية بأن تعيدني أمي معها اليوم. مدت الأنسة غولد يدها لتمسك بيدي وأومأت برأسها إيجاباً. انحنى رأسي إلى الأمام. لم أكن أملك الطاقة للمفاوضة أكثر. لم أستطع النوم منذ لقائنا الأخير. وكلما اقتربت الأنسة غولد من المحكمة، شعرت أنني أفقت أكثر فأكثر من زمام أمانها لأعود إلى مخالف أمي.

تحولت يداي إلى قبضة محكمة. بدأ الآن العد العكسي.

أحسست بملاطفة ناعمة على يدي اليسرى. ارتفعت ذراعي لحماية وجهي. لكنني احتجت إلى برهة لأدرك أنني في أحلام اليقظة. أخذت نفساً عميقاً وحاولت تهدئة نفسي. "دافيد"، بدأت الأنسة غولد، "اصغ إلي جيداً. إنها يوم لتي نتحدث إليك وليس الأنسة غولد، مساعدتك الاجتماعية هل تفهم؟"

تحدثت بعمق. أدركت أننا أصبحنا على بعد أميال فقط من المحكمة. نعم، سينتي. أفهم."

"دافيد، ما فعلته أمك معك كان خطأ، خطأ كبيراً. فما من ولد يستحق مثل هذه المعاملة. إنها مريضة". كان صوت يام ناعماً وهادئاً. بدت على وشك البكاء. "هل تذكر بعد ظهر يوم الاثنين حين قلت لك إنه سيتوجب عليك يوماً ما اتخاذ قرار؟ حسناً، هذا هو ذلك اليوم. والقرار الذي تتكده اليوم سيؤثر في بقية حياتك. وحذلك تستطيع تقرير مصيرك. لقد بدلت كل ما بوسعي. وقد بذل الجميع كل ما بوسعهم - أساتذتك، ممرضة المدرسة، العمة ماري، الجميع. لقد حان الآن دورك."

"دافيد، لقد شاهدت فيك الكثير. أنت شاب شجاع جداً. فلا يستطيع عدد كبير من الأولاد إخبار أسرارهم. سوف تنسى كل هذه التجربة يوماً ما. توقفت الأنسة غولد لبرهة. "دافيد، أنت شاب شجاع جداً."

"حسناً، لا أشعر أنني شجاع جداً بالأنسة غولد. أشعر... أنني... خائف."

"دافيد"، لبسمنت يام. "لمت خائفاً ولا تنس ذلك!"

"إذا كانت مريضة"، سألتها، "ماذا إذاً عن بقية إخوتي؟ هل ستساعدتهم أيضاً؟ ماذا لو أُلحقت الأذى بأحدهم؟"

"حسناً، ينحصر الآن كل اهتمامي فيك أنت. لا أم لك أية معلومة مقادها أن أمك تلحق الأذى بإخوتك. علينا الانطلاق من مكان ما. لذا، فلنعالج كل خطوة على حدة. موفق؟ ودافيد...". أطلقت الأنسة غولد السيارة. لقد وصلنا إلى للمحكمة.

"معماسيدتي؟"

"أريدك أن تعلم أنني أحبك."

تنظرت في أعماق عيني الأنسة غولد. كانتا نقيتين جداً. "أنا أحبك فعلاً"، قالت وهي تلاطف جانب وجهي.

رحلت أبكي واحتيت رأسي. رفعت الأنسة غولد ذقني بأصابعها. ضغطت برأسي على يدها. بكيت لأنني أدركت أنني سأكون حب يام بعد دقائق معدودة.

بعد بضعة دقائق، دخلنا إلى قاعة الانتظار في محكمة المقاطعة، وأسست الأنسة غولد يدي. كانت أمي والأولاد ينتظرون على أحد المقاعد. أومأت الأنسة غولد برأسها إلى أمي لثناء مرورنا أمامها. نظرت خلسة إليها. كانت أمي ترتدي فستاناً جميلاً وصفت شعرها. كان رون يضع جبيرة على ساقه.

لم يدرك أحد حضوري، لكنني أحسست بكرة أمي. جلست أنا والأنسة غولد في انتظار دورنا. كان الانتظار لا يحتمل. وضعت رأسي تحت ذراعي اليمنى وتمنيت للأنسة غولد طالباً منها فلماً وورقة. باشرت في كتابة ملاحظة صغيرة.



إلى أمي،

أنا أسف جداً. لم أكن أبداً الوصول إلى هذا. لم أقصد إفساء  
المرء. لم أقصد إيذاء العائلة. هلا سامحتني؟

ابنك، دايفيد

أسف جداً للمشاكل التي سببتها لك... أردت إخبارها الحقيقة-  
الحقيقة القلبية- لكنني لم أملك الشجاعة. فقد تجت قلة النوم في  
استنزاف كل قوتي الداخلية. ابسست لي الأمسة غولد لطمانتي،  
كاشفة عن أسنانها البيضاء اللؤلؤية فجأة، ملأت رأسي راحة خفيفة  
وإنما مألوفة. أغلقت عيني وأخذت نفساً عميقاً...

وقبل أن أدرك الأمر، بدأ كاتب المحكمة بتلاوة رقم وذكر اسمي.  
وعند ذكر اسمي، رفعت رأسي نحو القاضي الذي عدل نظارته  
وألقى نظرة خاطفة علي. نعم، أوه... قضية بيلزر. نعم. افترض  
أن معمل المقاطعة موجود؟، سأل القاضي.

تحتجت الأمسة غولد وغمزتي. "ها قد بدأت. من لي التوفيق".  
أوما القاضي إلى الأمسة غولد. توصيات؟

"شكراً لك أيها القاضي. بما أن المحكمة مدركة تماماً للفضية من  
خلال التقارير المسببة لفحوصات طبيب الأطفال، والمقابلات مع  
الأستاذة السابقين للقاصر، والمقابلات الأخرى وتقارير، توصي  
المقاطعة بأن يصبح دايفيد بيلزر تابعاً دائماً للمحكمة".

حدثت في الأمسة غولد. بالكاد كنت أسمع صوتها. كنت أعلم أنها  
هي التي تتحدث، لكن صوتها كان أجشاً. نظرت بسرعة إلى  
تورتها. كانت ركبتيها ترتجفان. أغلقت عيني. أوه، بالهي، قلت  
نفسى. وحين فُتحت عيني، كانت الأمسة غولد قد عادت إلى مقعدها  
وغطت يديها المرتعشتين.

"سيدة بيلزر؟ هل من شيء تودين ذكره؟"، سأل القاضي.

قرأت الأمسة غولد الملاحظة وأومات برأسها، فمحتني الإنز  
لأسلم الملاحظة إلى أمي، توجهت نحو أمي، وأصبحت مجدداً ولداً  
اسمه هو- فقد التصفت بداي يجائبي وانحنى رأسي نحو الأرض.  
انتظرت أمي حتى تقول شيئاً ما، أو تصرخ في وجهي، أو تصغني  
بأصابعها أو أي شيء. لكنها لم تلاحظ وجودي. رفعت رأسي إلى  
الأعلى، وناملت جسمها بعيني، ثم رفعت يدي ممسكاً بالملاحظة.  
انزعجت أمي الورقة، قرأتها، ثم مزقتها إلى قسمين. أحنيت رأسي  
قبل العودة إلى الأمسة غولد التي وضعت ذراعها حول كتفي.

بعد دقائق عدة، دخلت أنا والأمسة غولد وأمي وإخوتي الأربعة  
إلى المحكمة. جلست وراء طاولة داكنة، وحتقت ملياً في الرجل  
الواقف أمامي الذي كان يرتدي قستاناً أسود. "لا تكف"، همست في  
أذني الأمسة غولد. قد يطرح عليك القاضي بعض الأسئلة. من المهم  
جداً أن تخبره الحقيقة، قالت وهي تشدد على الجزء الأخير من  
عبارتها.

أدركت تماماً أنه سيتم تقرير مصيري النهائي خلال الدقائق  
القليلة التالية. مددت يدي ونفرت بعصبية على يد الأمسة غولد. "أنا

التفتت كل الرؤوس إلى اليمين وتوقفت عند أمي. في البداية، ظننت أن أمي لم تسمع القاضي. فقد كانت تحديق ببساطة في مقدمه فيما وجهها خالٍ من أي تعبير. وبعد لحظات، أدركت ما كانت أمي تتعلمه. كانت تحاول حمل القاضي على الإذعان.

"أوه... سيدة بيلزر؟ هل ترغبين في قول أي شيء يتعلق بيلنك، دافيد؟"

"ليس لدي شيء لأقوله"، قالت أمي بنبرة باردة.

فرك القاضي جبينه ثم هز رأسه. "حسناً، شكراً لك سيدة بيلزر."

التفت القاضي من ثم إلى الأنسة غولد. "فيها فضية مربكة وغير اعتيادية. لقد قرأت ملياً كل البيانات، وشعرت بالارتباك نتيجة..."

فقدت الإحساس بالوقت حين بدأ القاضي يتحدث على نحو غير مترابط. وجدت نفسي أنقبض من الداخل. عرفت أن المحاكمة ستنتهي في غضون دقائق وسأعود مجدداً إلى أمي. اختلست النظر إلى اليمين لمشاهدة أمي. كان وجه أمي بارداً وجامداً. أغلقت عيني، وتخللت نفسي مجدداً في أسفل السلم، جالسا على متن يدي، جاتعاً مثل حيوان على وشك الموت. لم أعرف ما إذا كان يجدر بي العودة إلى تلك الحياة مجدداً. أردت فقط أن أكون بعيداً عن الألم والذل.

"دافيد؟"، هممت في أنفي الأنسة غولد فيما راحت تلكرني.

"دافيد، بيلنك القاضي أن تنهض."

جمعت أفكاري بوضوح. لقد غفوت مجدداً. "ماذا؟ لا أعلم..."

أمسكت الأنسة غولد برفقي. "هيا دافيد. القاضي ينتظر."

حدقت في القاضي الذي أوماً إلي بضرورة الوقوف. شعرت كأن نفاجة غلفت في حنجرتي. وفيما دقعت الكرسي إلى الخلف، أمسكت الأنسة غولد بيدي اليسرى. كل شيء على ما يرام. ما عليك سوى إختيار القاضي بالحقيقة."

"حسناً، أيها الشاب"، بدأ القاضي. "الخلاصة هي التالية: إذا رغبت المحكمة في ذلك وإذا وجدت أن العيش في منزلك غير مرغوب... يمكن أن تصبح تابعاً دائماً للمحكمة، أو يمكنك العودة والعيش مع أمك في منزلك."

توسعت عيناي. لم أصدق أن اللحظة الحاسمة أنت أخيراً. التفت جميع من في الغرفة الصغيرة تحوي. ثمة سيدة مميزة بشعرها الأبيض الرمادي أوقفت أصابعها فوق آلة كتابة غريبة المظهر. فكلمنا كل واحد شخص ما، كانت هذه السيدة تضغط على المفاتيح الشبيهة بأبواب الضغط. ليتعت بصعوبة وشبكت يدي. شعرت من جهة اليمين بأن رادار الحقد عند أمي بات قيد التشغيل.

حاولت النظر إلى القاضي. ليتعت بصعوبة مرة أخرى قبل أن أباشر في تلاوة عباراتي المكررة عن كذبة كذبي وتضييبي كل المشاكل في المنزل وعدم إساءة أمي إلى أبداً. ومن زاوية عيني لليمين، استطعت مشاهدة عيني أمي وهما شاخصتين قبي.

تجمعت الوقت. أغلقت عيني وتخللت نفسي علناً إلى المنزل مع أمي، حيث تبدأ بضربي وأجبر على العيش في أسفل السلم، منتظراً المجموعة الثانية من الإعلانات، متمنياً لو أنني أستطيع للقرار يوماً ما لأصبح ولداً عادياً يسمح له التخلص من الخوف واللعب خافجاً...

من دون معرفة الأنسة غولد، التفتت إليها وتشتت مجدداً، فجأة،  
لحظني عطر الأنسة غولد، إنه للعطر نفسه الذي استعملته حين  
عانقتني أو أمسكتني حين جامنا عند طرف الأريكة. شاهدت نفسي  
للعب بشعرها.

فجأة تبدل عظمي وشاهدت نفسي ألعب خارجاً، أضحك مع بقية  
الأولاد، ألعب كرة السلة، وأبحث عن رفاقي في لعبة الصخب،  
وأركض بسرعة فائقة في منزل العمة ماري، وفي نهاية النهار، يتم  
سحبي إلى الداخل بعد الانتهاء من صيد الأفاعي أو اللعب قرب  
الجدول، فتحت عيني وألقيت نظرة خاطفة على يدي، ليستأ  
محمرتين، بالفعل، اكتسب جلدي اسمراراً خفيفاً.

شعرت برادار أمي يخترقني، شعرت لي انحني إلى اليمين، فيما  
للخوف يعزبني. تشتت عطر الأنسة غولد مرة أخرى.

حبست أنفاسي لبرهة، وقيل أن تخفتي شجاعتني، صرخت عالياً:  
"لستم سيدي! أريد العيش معكم! أنا أسف! أنا أسف جداً! لم أقصد  
الإقصاء! لم أقصد تسبب أية مشكلة!"

لزدلات قوة رادار الحقد عند أمي. حاولت البقاء ثابتاً، لكن  
ركبتني بدلتاً ترتجفان.

"بدأ، فليكن ذلك!"، أعلن القاضي بسرعة. "توصي هذه المحكمة  
بأن يصبح الناصر دافيد جابهس بيلزر ناهباً للمحكمة ويبقى كذلك  
حتى عيد ميلاده الثامن عشر. أغلقت هذه القضية!"، قال القاضي  
بسرعة، فيما هو يطرق على قطعة خشبية.

شعرت لي مشلول. لم أكن وثقاً مما جرى. جاءت إلي الأنسة

غولد وعانقتني بقوة لدرجة أنني أحسست أنها ستسحق ضلوعي. لم  
أستطع سوى مقاومة غابة من الخصل الشقراء، وفقدت في بكتل  
من شعر الأنسة غولد. وبعد لحظات قليلة، استعادت الأنسة غولد  
هتوها. مسحت دموعي وأنفي الجاري، نظرت إلى مفعد القاضي.  
ليتم القاضي إلي. رديت له الأبتسامة. وبرهة قصيرة، أحسست أنه  
عمرني بعينه.

شعرت أن رادار الحقد عند أمي اضطرب ثم انطفأ. أمسكت  
الأنسة غولد بكتفي. "دافيد! أنا فخورة جداً بك!". وقيل أن تتمكن من  
قول أي شيء آخر، همست قائلًا: "لنا أسف جداً. لم أقصد للكنز  
عليك في ذلك اليوم. أنا أسف لأني جعلتك تكيين. هلا سامحتني؟  
أريد فقط أن..."

رفعت الأنسة غولد شعري عن عيني. شمس! كل شيء على ما  
يرام. فهمت ما كنت تقوم به. لكن أمك تريد الآن...  
"لا، صرخت، سوف تأخذني بعيداً!"

"تريد فقط أن تقول لك وداعاً، أكدت لي الأنسة غولد

فيما كنا تنق طريقنا، أنا والأنسة غولد، خارج المحكمة، شاهدت  
أمي تبكي أيضاً. دفعتني الأنسة غولد برفق إلى الأمام. ترددت إلى  
أن تأكدت من أن الأنسة غولد ستبقى قريبة مني. وكلما تقربت أكثر  
من أمي، ازداد بكائي. ثمة جزء مني لم يكن يرغب في ترك أمي.  
فتحت لي أمي ذراعها. ركضت إليها. عانقتني أمي كما لو كنت  
طفلاً. كانت مشاعرنا صادقة.

ألتفتني أمي وأمسكت ببدي واسطبحتني إلى سيارتها. لم أشعر

بأي خوف. ملأت لامي السيارة بثياب جديدة والكثير من الألعاب. كنت مذهولاً. فتحت فمي على الملأ فيما نابت لامي ملء ذراعي.

خللني صوتي فيما كنت أقول الوداع لإخوتي الذين هزوا رؤوسهم استجابة لي. شعرت لني خلل، وظننت أنهم يكرهونني لأنني أفشيت سر العائلة.

"سوف أفتذك"، قالت لامي باكبة.

وقبل أن أفكر، أجبتها: "سأفتذكك لنا أيضاً".

صحيح لني كنت سعيداً بقرار القاضي، لكن الحزن غمرني. شعرت لني ممزق بين حريتي وانفصالي عن لامي والعائلة. كانت الأمور جيدة للرجة لا تصدق - حريتي، الثياب الجديدة، الألعاب. لكن الشيء الوحيد الذي بقي عالماً في ذهني هو دفء عناق لامي.

"أنا أسف جداً لكل شيء"، قلت لها. "أنا فعلاً أسف. لم أقصد إفساء السر".

"ليست.."، بدأت لامي. تغيرت عيادها. "لا بأس". أصبح صوت لامي جامداً. "الآن، أصغ إلي. لديك فرصة جديدة. إنها بداية جديدة لك. أريدك أن تكون ولداً جيداً".

"سأفعل"، قلت لها فيما كنت أمسح دموعي.

"لا"، قالت بصوت بارد. "أنا أعني ذلك! يجب ألا تكون نكط ولداً جيداً، وإنما ولداً أفضل!".

نظرت إلى عينيها المنتفختين. شعرت أن لامي تريد الأفضل لي. أدركت أنه قبل دخول لامي إلى المحكمة، كانت تعرف النتيجة مسبقاً. سأكون جيداً. سأبذل ما بوسعي. قلت لها فيما كنت أسوي كتفي

متملماً كنت أفعل في الدور السفلي قبل أعوام. "سأجعلك فخورة بي. سأبذل ما بوسعي لجعلك فخورة".

"هذا ليس مهماً"، قالت لامي. وقبل أن تذهب بعيداً، عانقتني للمرة الأخيرة. "عش حياة سعيدة".

مسحت المخاط الجاري من لفتي. لم أنظر إلى الخلف. فكرت في آخر عبارة قالتها لامي. عش حياة سعيدة. شعرت لني تتخلى عني وكنت لنيهاً قبل أن أصل إلى الأتمة غولد لني ساعدتني على وضع ممتلكاتي الجديدة في سيارتها. وقفنا معاً فيما ابتعدت لامي في السيارة. لوحت للجميع، لكن لامي هي الوحيدة التي رنت لي للتحية. كانت نافلتها مرفوعة لكني راقت شفني لامي فيما كانت تكرر: "عش حياة سعيدة".

"ما رأيك في البوظة؟"، سألت الأتمة غولد، كاسرة التوتر.

وقفت منتصباً وابتسمت. "نعم سيدتي".

أمسكت بام يدي برفق، ولفت أصابعها الطويلة حول أصابعي وأخذتني إلى الكافيتريا. تجولنا ببطء أمام الميارات الأخرى وبعض الأشجار المنتشرة. تنشفت عبير الأشجار، ثم توقفت لأحنق في الشمس. وقفت جامداً لبرهة، أتمل محيطي. هب نسيم ناعم في شعري. لكنني لم أرنش. كان العشب براقاً ولونه أخضر مائل إلى الأصفر. أدركت أن عالمي بات مختلفاً الآن.

توقفت الأتمة غولد للنظر إلى الشمس أيضاً. "أدافيد، هل ستكون على ما يرام؟"

"نعم"، ابتسمت. "أريد فقط ألا أنسى اليوم الأول في يفة حياتي!"

---

## الفصل

### 4

---

[www.mlazna.com](http://www.mlazna.com)

بداية جديدة

^ RAYAHEEN ^

بعد انتهاء مفاعيل المحاكمة، أصبحت لاميال.  
أدركت تماماً أن أمي لن تستطيع إيذائي جسدياً. لكنني ما زلت  
أحسّ بشعور غريب يقول لي إن أمي موجودة هناك في مكان ما،  
متأهبة مثل الأفعى، تنتظر الانقضاض والانتقام.

لكن جزءاً آخر مني أدرك أنني لن أشاهد أمي أو إخوتي أبداً بعد  
اليوم. شعرت بالارتباك، وأحسست أنني لا أستحق للعيش معهم،  
وأنني عديم الجدوى، وأن أمي رمتني بعيداً. حاولت بذل ما بوسعي  
لأخبر نفسي أنني بدأت مرحلة جديدة في حياتي بفضل الخدمات  
الاجتماعية للمقاطعة ونظام المحكمة. حاولت ما بوسعي لعزل  
ماضي، ودفن تجاربي المريرة في أعماق قلبي. تخيلت نفسي وأنا  
أرسي كل ماضي.

اعتدلت بسرعة على الروتين في منزل العمة ماري، وكذلك على  
مدرستي الجديدة. ورغم أنني كنت عفويًا وحرًا في منزل العمة  
ماري، بقيت مفتقدًا إلى الحيوية ومعروفًا بخجلي بين رفاقي في  
الصف. بدا لي صعباً عقد الصداقات. كنت أجفل بشدة، خصوصاً  
حين يسألني الأولاد لماذا لا أعيش مع أهلي. وحين كان بصر بعض  
رفاقي، كنت أتمتم وأبتعد. لم أستطع النظر في عيونهم.

وفي أحبان أخرى، كنت أقول بمرح: "أنا ولد ربيب!". كنت

فخوراً لكوني فرد من عائلتي الجديدة. بدأت أكرر هذا القول إلى أن جاء إلي يوماً أحد الأولاد الأرباب الأكبر مناً في المدرسة وحذرتني من إخبار الآخرين بحقيقتي لأن "...الكثير من الأشخاص لا يحبون نوعنا".

توعدنا؟ ما الذي تقصده؟، سألته. نحن لم نرتكب أي خطأ.

"لا تقلق يا أخي الصغير. سوف تعرف قريباً ما يكفي. حافظ على هدوئك وابق فمك مغلقاً". أطعت الأمر وأدركت أنني أعيش الآن في عالم آخر من التحيز.

أنشاء الفرصة، راقبت بقية الأولاد وهم يضحكون أثناء لعب كرة البد، فيما بقيت لوحدي أتجول حول المدرسة. مهما بذلت من جهد، ما زال عقلي يشكرني بمدرستي الأخرى في مدينة دالي. تنكرت السيد زينلر ورسومه المتحركة التي كان يرسمها على أوراقي، وكذلك الاختبارات اللغوية للسيدة وودورث، والركض إلى المكتبة حيث كانت الأنسة هويل تسمع أغنية "حديقة الأخطبوط" لفريق البيتلز على مسجلتها.

لقد فنت كل اهتمام في مدرستي الجديدة. لم أعد أسنوعب المواضيع مثلما كنت أفعل قبل بضعة أسابيع. كنت أجلس وراء المقعد الفولاذي الرمادي، أحرص على أوراقي، وأعدّ الدقائق التي تفصلني عن انتهاء اليوم الدراسي. فما كان يوماً ملاذي أصبح اليوم سجناً بحول بيبي وبين اللعب في منزل التربية. لقد تشتت انتباهي وتحول خطي، الذي كان في ما مضى مرتباً وأنيباً، إلى خرشة حفيفية.

وفي منزل العمة ماري، جعلني حسّي الكبير للدعاية واحتياجي للبريء شعبياً بين الأولاد الأرباب الأكبر سنّاً. وحين كان يؤذن لبعضهم بمغادرة منزل العمة ماري خلال بعد الظهر، كان يسمح لي بمراقبتهم. كانوا يمرقون ألواح الحلوى في بعض الأحيان من المتاجر المحلية. وبما أنني لفيت القبول التام واعتدت على سرقة الطعام طوال أعوام، حذوت حذوهم على الفور. فإذا سرق أحدهم لوحين من السكاكر، كنت أسرق أربعة. بدا لي الأمر سهلاً جداً للرجة أنني أصبحت أسطورة بين المجموعة في رحلات بعد الظهر. كنت مدركاً تماماً أنني ارتكب خطأ. أدركت أيضاً أن الأولاد الأكبر سنّاً كانوا يستغلونني، لكنني لم أهتم لذلك. فبعد سنوات من العزلة، أصبحت مقبلاً أخيراً ضمن مجموعة.

كانت سرقتي تطلّل منزل التربية أيضاً. فقد كنت أنتظر حتى يصبح الجميع خارجاً، فأتسلل إلى المطبخ وأسرق شرائح الخبز لأخبئها تحت وسادتي. وفي أواخر الليل، كنت أجلس على سريري وألتهم كعزي، تماماً مثلما تلتهم الفأرة قطعة جبنة. وبعد ظهر يوم أحد، شمت من الخبز وقررت سرقة قطع الجاتوه من الثلاثة. وفي ساعات الصباح الأولى، استيقظت لأجد جبناً من النمل يتوجه إلى مقعدي سريري. توجهت بأكثر سرعة وهدوء ممكنين إلى الحمام، ورميت الحلوى في المرحاض مع النمل. في اليوم التالي، فيما كانت العمة ماري نحضر لنا الغداء للمدرسة، اكتشفت اختفاء الحلوى واتهمت نيريزا، إحدى الأولاد الأرباب.

ورغم أن نيريزا لقبت عقاباً فاسياً واحتجزت في غرفتها بعد

ظهر تلك اليوم، بغيت صامناً، فأنا لم أسرق من منزل العمة ماري لمجرد الإثارة، وإنما للحصول على مخزون من الطعام في حال شعرت بالجوع.

لم تحتج العمة ماري إلى وقت طويل حتى نكتشف أنني للشخص المسؤول عن اختفاء الطعام. ومنذ ذلك الحين، باتت للعمة ماري تراثيني جيداً في كل أرجاء منزلها وتبذل ما بوسعها للحد من مقامراتي بعد الظهور. شعرت بالخجل في البداية لأنني خنت ثقتهما ولطافتها، لكنني من جهة أخرى لم أهتم كثيراً في رأي العمة ماري تجاهي فهمي الوحيد كان فيولي التام بين بقية الأولاد الأرباب.

لنتهى الترحيب بي في منزل العمة ماري قبل حلول الأسبوع الأول من شهر تموز، إذ جرى نقلني إلى أول منزل تربية دائم بالنسبة إلي. وكما حدث في السابق، حين اصطحبني الشرطي إلى منزل العمة ماري للمرة الأولى، لم أستطع الانتظار حتى أشاهد المنزل الجديد. التقت أُمي الجديدة بالنربية، نيليان كاتتزي، التحبة علي وعلى الأنسة غولاند عند الباب. وفيما كنت أتبع السيدة كاتتزي والأنسة غولاند على السلم العريض المؤدي إلى غرفة الجلوس، كنت أملك جيداً بكيس بني يحوي على كل ممتلكاتي الخاصة. حرصت في الليلة الفائتة على التأكد من توضيب كيسي وإبقائه بالقرب مني.

فقد عرفت من تجاربي أنه إذا تركت أي شيء خلفي، لن أراه مجدداً. أصبت بصدمة كبيرة حين شاهدت للمرة الأولى الأولاد الأرباب ينحولون إلى وحوش مسعورة كلما غادر ولد منزل العمة ماري. فيعد ثوبان على رحيل الولد، ينقض الآخرون على غرفته،

فيحتفون تحت السرير، وفي الخزائن وداخل الأدراج - وفي كل مكان - بحثاً عن الثياب والألعاب وكل الأشياء الغنية. وكانت الجائزة الكبرى تتجلى في العثور على مال نقدي. اكتشفت بسرعة أن حاجة السارقين إلى الأغراض غير مهمة أبداً. فامتلاك شيء ما، مهما كان، يعني مغايضته بأشياء أخرى - مثل الأعمال المنزلية، حلوى آخر التلبل أو تبادل المال. وكالمادة، تكيفت بسرعة مع هذا الوضع وكنت ألتزم إلى العصابة كلما غادر ولد المنزل. تعلمت أنه بدل اصطحاب الولد إلى السيارة وتمني الحظ الجيد له، بجدر بي قول الوداع في منزل العمة ماري... ومن ثم البقاء قرب غرفة الولد المغادر بحيث أتمكن من الدخول إليها قبل بقية الأولاد. لكن علامة للاحترام، كنا نلتزم جميعاً بعدم الدخول إلى الغرفة فيل رحيل الولد. تعلمت أيضاً أن الصفقات تتم عادة في الليلة التي تسبق، ويكون رفيق الغرفة أول الحاصلين على الغنائم. لذا، قررت أنا أيضاً التخلي عن بعض الفصان والألعاب.

وفيما بدأت أتحبل بغية الأولاد الأرباب وهم ينقضون على غرفتي القديمة، سمعت السيدة كاتتزي تسألني: "حسناً، دلقد، ما رأيك؟"

كنت لا أزال أملك بكيسي، فحركت رأسي صعوداً ونزولاً قبل أن أجيب: "إنه منزل جميل جداً ياسيتي".

لوحت السيدة كاتتزي بإصبعها أمام وجهي. "علينا الآن حسم هذا الموضوع. الجميع هنا ينادونني "نيليان" أو "ماما". يمكنك مناداتي "ماما".



أومات براسي مرة أخرى، وإنما هذه المرة لكلا المرأتين. لم أشعر بالارتياح في مناداة السيدة كاتتزي، وهي سيدة التقية قبل بضعة لحظات، بماذا.

فيما كانت المرأتان تتحدثان مع بعضهما لبضعة دقائق، انحنت ليليان صوب الأنسة غولد لتسوعب كل كلمة وتهز برأسها من جانب إلى آخر. "لا اتصال؟ أبدأ؟" سألت.

"صحيح، كررت الأنسة غولد. "لا يجدر بدافيد إجراء أي اتصال مع أمه أو إخوته إلا إذا قامت السيدة بيلزر بالمبارحة".  
والوالد؟" سألت ليليان.

"لا مشكلة. إنه يملك رقم هاتفك ويفترض أن يتصل بك قريباً. لم يشارك والد دافيد في الدعوى القضائية لكنني أطلعه على وضع دافيد".

انحنت السيدة كاتتزي أكثر صوب الأنسة غولد. "هل من شيء خاص يجتر بي معرفته؟"

"حسناً، بدأت الأنسة غولد. "لا يزال دافيد في مرحلة التحليل. إنه شديد الانفعال ويتدخل في كل شيء - ولنا أقصد كل شيء. إنه رقيق الأصابع إذا كنت تفهمين ما أقصد".

كنت جالسا على الأريكة وتصرفت كالتي لا ألتبه لهما، لكنني استطعت سماع كل كلمة.

"دافيد"، قالت السيدة كاتتزي، "ماذا لا تنتظرنا في المطبخ وسوف أكون معك بعد بضعة لحظات".

لبعت السيدة كاتتزي إلى المطبخ، فيما لا تزال أمسك بكيسي. جلست أمام الطولونة وشربت كوباً من الماء فيما كانت ليليان تغلق الباب

الفاصل بين الغرفتين. استطعت سماع السيدة كاتتزي وهي تجلس مجدداً، لكن المرأتان بدلتا همسان. راقت أرقام ساعة الراديو وهي تزداد كلما مرت دقيقة. وقيل أن ألتبه للأمر، لفتح الباب الفاصل.

لبصمت لي الأنسة غولد قبل أن نعانقتي. "أظن أنك ستحب العيش هنا فعلاً"، قالت لي. "هناك ملعب عام في الجوار، وسيكون لديك الكثير من الأولاد الأرباب لتلعب معهم. سوف أتخفق من وضعك بأسرع وقت ممكن، لذلك تصرف كما يجب".

عانت الأنسة غولد مرة أخرى بسرعة، وظننت أنني ماراها بعد أيام قليلة، فلوحت لها الوداع من نافذة أعلى السلم. وقيل أن تتطلق الأنسة غولد في الشارع، لوحت لي للمرة الأخيرة ثم وجهت لي قبلة. حطقت في النافذة من دون أعرف ما الذي يجدر بي فعله.

"حسناً، سألت السيدة كاتتزي، "هل ترغب في مشاهدة غرفتي؟" أشرقت عياني فيما أمسكت بيدي. "نعم سيدتي".

"تذكر ما قلته لك"، قالت ليليان بنبرة تحذير.  
أومات براسي. "أنا أسف، أنسى الأشياء في بعض الأحيان".

أخضعتي السيدة كاتتزي إلى أول غرفة في التردده. وبعد وضع ثيابي جانباً، جلست بقربها على السرير المزدوج. "أريد أن أشرح لك بعض الأشياء - أي قواعد المنزل. يجدر بك إبقاء غرفتك نظيفة والمساعدة في إتمام الواجبات المنزلية. لا تدخل إلى غرفة شخص آخر من دون إذنه أولاً. لا يسمح بالكذب أو السرقة في هذا المنزل. إذا أردت الذهاب إلى مكان ما، عليك سؤالي أولاً وإخباري إلى أين ستذهب ومدة غيابك.."

تفصديق أني أستطيع الذهاب إلى حيث أشاء؟"، سألتها مذهولاً  
نظراً لتمتعي فجأة بهذا الغدر من الحرية غير المتوقعة.  
"ضمن المعقول، طبعاً"، أجابت ليليان. "هذه المنزل ليس سجنًا.  
وظالمًا أنك تتصرف بمسؤولية، سوف تعامل على هذا التحول. هل  
كلامي واضح؟"

نعم، سيدة كاتزري، قلت لها بصوت ناعم ومتكفئ، علماً أني  
ما زلت أشعر بالإحراج لمذاتهما ماما.

ربكت السيدة كاتزري على ساقي قبل مغادرة الغرفة وإغلاق  
الباب. لتحتيت إلى الخلف على السرير لأشم الرائحة العطرة  
للوصادة. حاولت التركيز على أصوات السيارات التي تجوب الشارع  
بسرعة إلى أن استسلمت أخيراً للنوم. وفيما بدأ عقلي ينام، بدأت  
أشعر بالأمان والطمأنينة في موقعي الجديد.

استيقظت لاحقاً على أصوات آتية من المطبخ. بعد مسح عيني،  
خرجت من غرفة النوم متوجهاً إلى المطبخ.  
"هل هذا هو؟" سألت شاب له شعر أشقر طويل. "هذا ليس ولدًا.  
إنه قزم."

انحنيت ليليان وصقعت العرائق الأشقر الطويل على ذراعه.  
"لاري! إنني إلى كلامك! أروك يادافيد إنخره." وتابعت فيما هي  
تتحلق في لاري. "إنه لاري جوتنور. سوف تتعرف إلى لاري الكبير  
في غضون دقائق."

"هايا بالاري. إنه صغير لكنه ظريف. مرحباً. أنا كوتي. ولا  
أريدك أن تبحث في الأشياء الموجودة في غرفتي. هل فهمت ذلك؟"

وفيما انحنيت كوتي صوبي، استطعت شم عطرها. كانت تملك شحراً  
لامعاً أسود اللون وأهداباً طويلة، وترتدي فستاناً قصيراً. لم أستطع  
تمالك نفسي فيما كنت أنظر إلى ساقها. تراجعت كوتي إلى الخلف  
وأصبح وجهها أحمر اللون. "أمي، إنه منحرف صغير!"  
التفتت إلى السيدة كاتزري. "ما معنى منحرف؟"

ضحكت ليليان. "الشخص الذي لا يجدر به النظر إلى قصائين  
الشابات!"

لم أفهم. أردت أن أعرف معنى ذلك. باشرت في طرح السؤال  
نفسه مجدداً حين فاطعتني السيدة كاتزري. "هذا هو لاري الكبير."  
نظرت إلى الأعلى فشاهدت رجلاً عملاقاً له شعر أسود جعد  
ويضع نظارات محاطة بإطار أسود. كان يملك وجهاً لطيفاً وتعاملاً.  
ابتسم لاري الكبير أثناء مصافحتي. "أمي، قال، "سوف أذهب إلى  
الاستعراض الليلة. هل تمنعين إذا أخذت دايف معي؟"

ابتسمت ليليان. "لا أمانع، لكن إحرص على الاعتناء به."  
نعم، تمت لاري جوتنور. "إحرص جيداً كي لا يخاف أو يشاهد  
شيئاً... قريباً!"

بعد ساعة تقريباً، بدأن أنا ولاري الكبير رحلتنا إلى مسرح السيلما.  
لركبت أنه بريء وخجول. أحببته على الفور. وفيما كنا نجوب الشوارع  
الامتناحية لمدينة دالي، تحدثنا معاً عن أشياء غير مهمة. كنا نعرف  
نوعاً ما كيفية تقاضي سؤال الآخر عن سبب وجوده في عائلة والتربية.  
كان ذلك نوعاً من الشفرة تعلمته أثناء وجودي في منزل العمة ماري.  
وكلمنا اقتراباً من المسرح، أصبح لاري الكبير صديقي أكثر فأكثر.

قال لاري إنه شاهد فيلم "الموت" عشرات المرات،  
ولذلك لم أفهم سبب إصراره على مشاهدته مجدداً. لكن بعد مرور  
10 دقائق فقط على بداية العرض، أصبحت أنا أيضاً بالجمود.  
أصبحت مسعزاً أمام مشاهد العنف والموسيقى السريعة التي رافقت  
اللعيلم. بعد سنوات من عيش مغامرة مظلمة ومخيفة، شاهدتها أخيراً  
على فيلم سينما. فيما كان لاري يحدّق في فتيات البيكني، تعلّمت  
بعضية في مقعدي منتظراً بفارغ الصبر جايمس بوند ليقوم بفراره  
التالي من الموت، متفاداً في الوقت نفسه العالم من الهلاك. بعد  
مشاهدة هذا الفيلم، أصبحت شخصية جايمس بوند عالقة في ذهني،  
تماماً مثلما كان سوبرمان قبل بضعة أعوام.

كان اليوم التالي مميزاً أيضاً. فقد ملأ رودي زوج ليليان،  
السيارتين بالأولاد الأرباب وبجبال من الأطعمة للاحتفال بيوم الرابع  
من تموز في نزعة في الطبيعة في حديقة جونيبيرو سيرا- الحديقة  
نفسها التي ذهبت إليها حين كنت ولداً صغيراً ما زال يعطيني فرداً من  
عائلة أمي. حين وصلنا إلى الحديقة، ساعدت في حمل الأوعية  
والأكواب المليئة بالأغراض، من دون أن أعرف أين أضعها. ماذا  
أفعل بهذه، موجهاً السؤال إلى لا أحد بالضبط.  
"دافيد، ضعها في أي مكان"، أجاب رودي.

لكن الطلوات ملبنة كلها بأغراض من ياقة الأشخاص، قلت منتحداً.  
وقعت ليليان قرب رودي. شبكاً أيديهما. نعم، دافيد، نعم ذلك."  
قالت. "هؤلاء الأشخاص هم عائلتنا."

نظرت إلى الكبار الذين يشربون الصودا والبيرة. كان الأولاد  
يركضون في كل اتجاه أثناء لعبة الاختباء. "واو، كل هؤلاء  
الأشخاص هم أولادك؟"

فجأة، صرخت امرأة حاولت بالتأكيد الاختباء في درعي الواقى  
فيما كانت المرأة تركض ياهتياج شديد نحوي وهي تتنعل حذاء  
خشيباً سميكاً ومضحكاً. "أمي، أبي"، صرخت المرأة حاولت من ثم  
تطويق أقدامها حول ليليان ورودي. حدقت ملياً في وجهها. لم تكن  
تشبه السيد أو السيدة كانتري.

يكت ليليان ومسحت أنفها، ثم أعطت المندبل إلى المرأة وأغلقت  
عينيها لبرهة لتستعيد هدوءها. "دافيد، إنها كاتي: إحدى أولادنا  
بالتربية."

الآن فهمت. يرمت رأسي من جانب إلى آخر، وأنا أجهد عيني  
للتنظر إلى أرتال الأشخاص المتدققين صوب رودي وليليان.

أمي، أبي. لقد حصلت على وظيفة. أنا متزوجة. أنا أذهب إلى  
المدرسة الليلية وهذا هو طفلي الجديد"، أعلنت كاتي فيما كان  
رجل شاب له لحية يضع طفلاً ملقوفاً ببطانية صفراء بين ذراعي  
رودي. "أوه، أمي، أبي، أنا سعيدة جداً لرؤيتكما"، قالت كاتي باكية.

احتشدت مجموعة من الكبار حول آل كانتري. تكففت أرتال من  
الأولاد الذين راخوا يقفزون صعوداً وتزولاً، ساعين إلى لفت  
الانتباه، أثناء تبادل الأطفال والفيلات. يد بضعة دقائق، استأنست  
من المجموعة وتوجهت إلى حافة الهضبة. جلست هناك، أحدق في  
الطائرات التي تقلع من المطار المجاور.

"جميل جداً، أليس كذلك؟"، قال صوت مألوف.

التفتت لأشاهد لاري الكبير.

"إله الشيء نفسه في كل عام، وإنما مع مزيد من الأشخاص.  
أعتقد أنه يمكنك القول إنهما يحبان الأولاد. ما رأيك؟"، سال لاري.  
"ولو! لا شك أنه يوجد مئات الأقارب هنا!" قلت متعجباً. "هل  
جئت قبلاً إلى هنا؟"

"نعم، لسنة الماضية. ماذا عنك أنت؟".

توقفت لبرهة لأتأمل طارة الجامور وهي تدبر جانحها إلى  
الغرب. "حين كنت ولدًا...، قلت قجاة وأنا غير واثق ما إذا كنت  
أريد قول أي شيء. لقد احتفظت بالكثير لمدة طويلة. نظقت  
حجرتي بالتحتنج قبل المتابعة. "كان أهلي- أي أمي وأبي  
الحقيقيان- يصطحبانني دومًا مع إخوتي الصغار إلى هذه الحديقة  
حين كنا أولادًا، قلت مبتهماً. كنا نمضي للتعار بأكمله عند  
الهضبة، ونلعب على الأرجوحة... أغلقت عيني لأشاهد نفسي مع  
رون وستان نلعب كأولاد سعداء. تساءلت عما يفعلانه الآن..."

"لايف! هاي، دافيد! بحق إله يادافيد، تعال إلى هنا، صرغ  
لاري فيما شبك يديه ببعضهما، كما لو أنهما أصبحتا بوقاً للنقح.

"أسف"، أجبت بصورة تلقائية. "أظن... أظن أنني سأقوم ينزهة".

بعد طلب الإذن من ليليان، نزلت إلى أسفل الهضبة للمرصوفة.  
وبعد دقائق معدودة وجدت نفسي واقفاً على المساحة العنابية نفسها  
التي كنت أقف عليها قبل زمن. في ذلك الحين، كنت فرداً من عائلة  
مثالية. أما اليوم فما زلت ولداً يبحث عن ماضيه. توجهت إلى

الأرجوحة وجلست على ولحده سرداء. ركلت للرمل وملأت تعال  
حذائي ببعض منه. بدأ عقلي يشنت تدريجياً.

"هاي، ميدي؟ أتريد اللعب أم ماذا؟" سألني ولد صغير.

نزلت عن الأرجوحة وتوجهت بعيداً. شعرت أن أحضان قارعة.  
وجدت أمامي، تحت ظلال الأشجار، ثنائياً شاباً يجلس على الطاولة  
نفسها التي جلس عليها أبي وأمي قبل أعوام. نهضت المرأة ونادت  
أولادها فيما نضع يديها على ركبتيها- تماماً مثلما كانت تفعل أمي  
حين تتلدى أولادها. التقت أعيننا لبرهة. ابتسمت لي السيدة وأحلت  
رأسها قليلاً. وحين سمعت أصوات الأولاد يركضون من جهة  
الأرجوحة، أغلقت عيني وتمنيت لو أنني أجد الإجابة على سبب عدم  
سير الأمور كما يجب معي ومع أمي.

وثمة سؤالان روادائي على الدوام وهما ما إذا كانت أمي أحيتني  
يوماً ولماذا عاملتني بهذه الطريقة.

في فترة لاحقة من ذلك المساء، أردت التحدث بشدة مع السيدة  
كأنك تري لكني لم أستطع. وفي صباح اليوم التالي، استيقظت متأخراً  
ونخلت إلى المطبخ. "ليست هنا أيها القزم"، قال لاري جونيور.  
"عليك إعطام نفسك".

لم أعرف ما الذي يجدر بي فعله. فلنا لا أعرف كيف أطهو، ولا  
أعرف أين توجد أوعية الحبوب، ولا حتى مكان الحبوب نفسها.

"إذا"، بدأ لاري جونيور، "سمعت أن أمك كانت تضربك بشدة.  
أخبرني، كيف كان ذلك؟ أقصد أن يَطْعَم أحدهم وجهك بالتراب؟"

لم أصدق ما سمعته. فكلما تولجنت مع لاري جونيور، كان يسعى

دوماً إلى إذلاله. كظمت غيظي وحاولت التفكير في شيء لأقوله. لكني لم أعر على إجابة لطيفة. بدلت نوبة الغضب بتور في داخلي.  
"إذاً أخبرني أيها الرجل، كيف كان ذلك؟ أقصد، أنا فضولي.  
فعلاً، كيف يتصرف المرء حين يكون متبؤذاً؟ لماذا لم تقاوم؟ ما هو طبعك؟ هل أنت أحمق؟"

استدريت بعيداً عنه وركضت إلى غرفتي. استطعت سماعه وهو يضحك خلفي بعد أن أغلقت الباب. دفنت رأسي في سريري ورحلت أبكي من دون أن أعرف السبب. بقيت في الغرفة طوال اليوم.  
"سيده كاتتزي، هل أنا أحمق؟" سألتها في اليوم التالي فيما كانت تقودني إلى المتجر الكبير.

"أحمق؟ دافيد، أين سمعت هذا؟"

لم أرغب في الوشاية بلاري جونير. لكنه كان غداً، ولم أحبه في أية حال. كنت لا أزال أشعر بالغضب بسبب ربه ورأي بيبه الأولاد الكبار في. ابتلعت بصعوبة قبل الإجابة على ليليان.  
"لا تكثرث أبداً للاري"، قالت السيدة كاتتزي. "إنه شاب مضطرب جداً. دافيد، لدينا مجموعة كبيرة من...  
نظرت إليها بدهشة.

"... مزيج كبير من الشبان الذين لهم... حاجات مختلفة. ولاري يمر الآن في مرحلة يكون فيها منقضاً. يريد مواجهة الجميع وأي شيء. يتقبله بصدر رحب. إنه يرفض وجونك وحسب. إنمنه بعض الوقت. موافق؟"

"نعم، سيدتي. أنا أفهم، لكن هل أنا أحمق لأنني لم أقول؟ أعني،

هل من الملائم محاربة أمك؟"

أوقفت المبددة كاتتزي المبارء في الموقف أمام منتزه تانغوران. التفتت إلى اليمين وخلعت نظاراتها. "لا، دافيد"، قالت بصوت حازم. "أنت لست أحمقاً لعدم مقاومتك. أنا لا أعرف كل الذي حدث، لكني أعرف أنك لست أحمقاً. نعال الآن معي. املك هنا شيكاً بقيمة 127 دولاراً من المقاطعة لأشتري لك فيها بعض الثياب. و...، ابتسمت ليليان. "أخشى أن لنفغه كله. الدرس الأول: إلى التسوق!"

"حين أمسكت ليليان بيدي، ارتعشت. "واو! 127 دولاراً هذا كثير!"  
"ليس بالنسبة إلى ولد نام. وأنت تكوي النمو، أليس كذلك؟ هذا كل المال الذي أعطونا إياه هذه المنة. إنتظر حتى يصبح لك أولاد، قالت ليليان، فلما فتحت باب المنجر.

بعد مرور ساعتين وحمل ثلاثة أكياس من البضاعة، عندما أنا وليليان إلى المنزل. ابتسمت ابتسامة عريضة أثناء إغلاقي باب غرفتي، ثم بسطت كل ثيابي بأكر ترتب ممكن. رتبتي الفصان حسب ألوانها، ووضعت ثيابي الداخلية وجواربي مباشرة تحتها. جلست عند قدم السرير لبضعة لحظات قبل أن أفتح الأدراج وأعيد ترتيب ثيابي مجدداً. وفي المرة الرابعة، فتحت الأدراج ببطء. أخرجت منها بهدوء قميصاً كحلياً. كانت يداي ترتعشان. تشقت رائحة اللقطن. نعم! قلت لنفسي. "إنها ثيابي! ثياب لم يلمسها أو يرتكدها أحد قبلي. إنها ليست ثياباً بالية أجبرتني أمي على ارتداها لو ثياباً أعطتني إياها شفقة منها، كانت قد خبأتها منذ الميلاد الماضي، أو ثياباً من العمة ماري ارتداها بيبه الأولاد الأرباب قبلي.

"نعم"، صرخت بصوت عالٍ. ومن دون تفكير، فحلت الأدرج ووضعت كل الأشياء مجدداً على السرير. رحت أعيد توضيب ثيابي إلى ما لا نهاية. ولم أكتث للأمر لأني كنت أستمع.

بعد بضعة أيام، وقبل موعد الغداء، رفعت ليليان سماعة الهاتف في المطبخ قبل أن تتأخذي من أمام التلفزيون. "إذا، سألتني. كيف تشعر اليوم؟"

هزرت كتفي. "جيد، كما أعتقد." اتسعت عيني. "هل ارتكبت خطأ؟ هل أواجه مشكلة؟"

"لا، لا،" قالت بصوت هادئ. "توقف عن الآن عن هذا. لماذا تقول دوماً ذلك كلما طرح عليك أحدهم سؤالاً بسيطاً؟"

هزرت رأسي. فهمت ما قالته، لكنني لا أعرف لم كنت أشعر دوماً أنني على شفير الهاوية كلما طرح علي أحدهم سؤالاً. "أنا أسف."

أومات ليليان برأسها. "فلنذهب لتناول الغداء. لقد طرقت لاري جونيور. وسوف يقتصر الأمر علينا نحن الاثنين. موافق؟"

أشرق وجهي. "طبعاً." كنت أستمع جداً حين أبقى أنا والسيدة كاتتزي لوحدها. كنت أشعر أنني مميز.

حضرت ليليان شطيرتين وحملت أنا كبساً من رقائق البطاطا المقلية. حذرتني في البداية، ثم أمرتني بإبطاء وتيرة أكلتي واستعمال أساليب أفضل على اللاندة. استجبت لأوامرها بعدم إنهاء كل شيء دفعة واحدة أو إفحام الكثير من الطعام في فمي. ابتسمت لها مبتكراً أنني أسطيع المضغ فيما فمي مغلق.

بدا أن السيدة كاتتزي تأخذ وقتها فيما كانت تمضغ شطيرتها

ببطء. كنت على وشك سؤالها عن سبب مضغها ببطء حين سمعت ضربة قوية على الباب. من دون تفكير، قلت بسرعة: "أنا سأفتح." كنت لا أزال أمضغ طعامي حين نزلت السلم وفتحت الباب. وفي غضون أقل من ثانية، كدت لأبصق طعامي. توقف دماغي عن العمل. لم أسطع إبعاد ناظري عنها.

"حسناً، ألن تدعونا إلى الدخول؟" قالت أمي بصوت لطيف.

استطعت سماع ليليان وهي تنزل السلم مسرعة. "مرحباً... أنا ليليان كاتتزي. لقد نحننا اليوم على الهاتف. نحن على وشك الانتهاء من الغداء."

"أنت قلت الواحدة ظهراً، أليس كذلك؟"، سألت أمي بنبرة قوية.

"أوه... نعم، لقد فعلت. أرجوك تفضلي"، قالت ليليان.

دخلت أمي إلى المنزل، يابها الأولاد. كان ستان آخر الداخلين وظهرت لبسامة عريضة على وجهه أثناء إنخاله دراجتي التي اشتريتها لي جنتي في عيد الميلاذ الماضي. تذكرت ذلك اليوم حين سمحت لي أمي بالركوب على الدراجة مرتين. لم أركب قبلاً على أية دراجة، ولذلك سقطت مرفت عدة قبل أن أجد سر الركوب. وفي نهاية ذلك اليوم، نمت فوق مسمار وأصبح الدولاب الأسامي مسطحاً. والآن، فيما يدخل ستان الدراجة إلى منزل ليليان، لاحظت فوراً أن كلا الدولابين مسطحان وأن هناك أجزاء ناقصة من الدراجة.

لكنني لم أهتم. فالدراجة الصفراء والحمراء مع مفعدها الأحمر المعدني كانت ملكي. وصدمت فعلاً لأن أمي قررت منحني إياها.

دامت زيارة أمي والأولاد بضعة دقائق فقط، لكن ليليان أصرت

على البقاء بجانبى. ورغم أن موفق أمي بدا أكثر استرخاء- فلم تكن باردة ومتعالية مثلما كانت حين جاءت لمقابلتي في منزل العمة ماري- لكنها ما زالت ترفض للتحدث إلي. كان لدي الكثير لأقوله لها. أردت أن أريها عروفتي، وثيابي الجديدة، والأشغال اليدوية التي نفختها في المنrose. وأكثر من كل شيء، أردت أن أثبت لأمي أنني أستحق قبولها. "حسنًا، قالت أمي فيما كانت تنهض عن الأريكة. أردت فقط المرور. تذكر يادافيد أنني سأحقق منك من وقت إلى آخر. لذا... كن جيدًا"، قالت أمي ببرة مكررة.

رفعت لبلبان يدها وأوقفتي قبل أن أتمكن من قول أي شيء. "شكرًا لمرورك سيدة بيلزر. وتذكري أن تتصلي إذا أردت المرور مجدداً"، أجابت لبلبان فيما كانت أمي نخرج من الباب.

نسألت الملم. توقفت أمام نافذة طويلة وبقيت أهدق عبر الزجاج فيما أراقب أمي والأولاد يصعدون إلى سيارتها الرمادية القديمة. حين ابتعدت أمي، لوحنت باهتاج شديد لكن أهدأ لم يراني. عرفت في قرارة نفسي أن جهودي ضاعت سدى. نصبت- ولو أن واحداً فقط يتسبم لي ويلوح لي مرة واحدة فقط.

تفتست لبلبان بعين عمق ثم وضعت يدها على كتفي. "إذا، هذه أمك؟ هل أنت على ما يرام؟"

أومأت برأسي إيجاباً. نظرت إلى لبلبان. كانت الدموع تنهمر على وجهي. "إنها لا تحبني، أليس كذلك؟ أقصد... أنا لا أفهم. لماذا؟ لماذا لا تتحدث إلي؟ هل أنا بهذا السوء؟ لماذا لم تخبريني أنها أنثى؟ لماذا؟"

"لقد سمعت من معاملتها لي كلتي... لا شيء. لقد سمعت منها، ومن إخوتي، ومن ذلك الوغد لاري...، وخبثت إصبعي نحو النافذة. لم تتحدث إلي. إنها لا تتحدث أبداً إلي. أبداً. التفتت نحو لبلبان. "هل أنا بهذا السوء؟ أحاول أن أكون لطيفاً. أحاول أن أكون جيداً. لم أطلب منها المعجزة، أليس كذلك؟" بدأت أتحدث بصخب، ملوحاً بيدي في الهواء، فيما أنا متوجه إلى غرفة الجلوس. "هل قلت لها أن تضربني... ألا تعلمني لأيام... أو تدعني أعيش وأنام في الكاراج مثل... مثل... الحيوان؟"

"في الليل، لم تكن نعطيني بطانية. كنت أشعر أحياناً ببرد شديد... حاولت الحفاظ على الدفء. لقد حاولت ذلك فعلاً، قلت باكياً فيما كنت أمز رأسي.

مسحت فني لجاري بإصبعي وأغلقت عيني. شاهدت نفسي لبرهة واقفاً أمام مجلى المطبخ في ذلك المنزل. واستنطعت شم رائحة محرمة ورفية وريذة عطوة. أخذت نفساً عميقاً قبل أن أفتح عيني. أتذكر.. بعد ظهر يوم السبت... جلبت لي طعاماً للكلاب... كنت في المطبخ، وهي في غرفة الجلوس مستلقية على الأريكة تشاهد برنامجها. هذا ما تفعله على الدوام، طوال اليوم، كل يوم: مشاهدة برنامجها. في أية حال، لم يكن علي سوى رمي الأكل في سلة النفايات، ولم تعرف أبداً. علمت أنه إذا عثرت عليه، يكون قلت الألمان. أقصد أنه حين تسمعني أفتح سلة النفايات، يكون الوقت قد فلت، لكنني تناولت الأكل لأنها طلبت مني ذلك. وحين فعلت ذلك، رحت أبكي في دخلي، ليس بسبب... وإنما لأنها جعلتني أفعل ذلك. طوال تلك الأعوام، تركتها تعاملني مثلما نريد. طوال أعوام، شعرت بخجل شديد.

بدأت انتحب. لم أخبر أحداً بذلك. ثم أخبر أحداً بذلك... قد يكون لاري محقاً. أنا أحمق ربما.

"أوه، دافيد! يا إلهي! قالت ليليان باكياً. لم تكن نعلم..."

"انظري إلى هذا"، قلت ممسكاً بقميصي. "قد طعننتي هنا. لم تقصد ذلك. كان ذلك حادثاً. لكن هل تعلمين لماذا؟" اخنتى الدم من وجه ليليان. أغلقت عينيها قبل أن تغطي فيها يديها. "لا، دافيد. لا أعرف. لماذا؟"

"قالت إنها ستقتلني إذا لم أنظف 'الصحنون اللعينة' خلال 20 دقيقة". أليس هذا استبداداً؟ والمضحك أنني أردت أن أقول لها منذ الحادث أنني أعرف أنها لا تقصد قتلي وأناي أعرف أن هذا حادث. صأببت حتى يعمل هذا الحادث على جمعنا - أردت أن تدرك بطريقة ما أنها تمادت جداً وأنها لا تستطيع إخفاء السر بعد اليوم. أردتها أن تعلم أنني سامحتها.

"لكن لا! أنا الولد السيء. إنها لا تتحدث إلي، كما... كما لو أنني أنا الشخص السيء". شعرت أن نزاعاً تنغيضان وتحول يداي إلى قبضتين. حدثت في السيدة كاتتري فيما أردت رأسي ببطء من جانب إلى آخر. "اللعنة! إنها لا تريد التحدث إلي! لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟"

ركعت ليليان أمامي. كنت تبكي هي أيضاً. دافيد، لم أكن أعلم. عليك أن تتحدث إلى شخص ما، إلى شخص يستطيع مساعدتك. أنت تحتاج إلى الخروج من هذه الحلقة. أنت تحتاج إلى شخص مؤهل... يعرف ما يجب فعله. سوف نرتب لك أنا والآسة غولد موعداً للتحدث إلى شخص بمساعدك في العثور على بعض الأجوبة. مولف؟"

وجدت نفسي أبعد في تفكيري. ركزت على فم ليليان وهو يتحرك، لكني لم أفهم ما الذي كانت تقوله. أمسكت بيدي وأخنتني إلى غرفتي. وحين استلقيت في السرير، مشطت شعري، وهمست: "كل شيء على ما يرام. أنا هنا. سيكون كل شيء على ما يرام". بعد ساعات عدة، استيقظت متعباً وتبعث السيدة كاتتري فيما كنت تنزل السلم لفحص دراجتي. بعد لحظات قليلة، هزرت رأسي اشمنزراً. "قد فعل ستان ذلك"، قلت. "السيد المخترع. إنه أسوأه لإعائتي".

"حسناً، دافيد"، قالت ليليان بصوت حازم. "السؤال هو: هل ستجلس هنا وتقطّب جبينك أم ستعلم شيئاً ما". توقفت لبرهة كما لو أنها تريد استلهم فكرة. "أنت تعرف أنه إذا أردت... يمكنك ربما جني بعض المال الإضافي وإصلاح دراجتك. هذا إن أردت ذلك".

بعد دقائق معدودة، صعدت إلى الطابق العلوي وألقيت نفسي على الأريكة. أصبحت الآن مشغولاً في إصلاح دراجتي. حين عاد لاري الكبير من العمل إلى المنزل، ركضت إلى غرفته طلباً لنصيحته. وفي المساء، وضعنا أنا ولاري أسرع خطة لتحقيق هدفي. في العاشرة ليلاً، توصلنا إلى الخطة المثالية، وكانت خطة ممتازة بحيث أكد لي لاري أن دراجتي ستعود للعمل في غضون 30 يوماً أو أقل. وأكد لاري، الذي قال إنه مخطط من الدرجة الأولى - لم تكن لدي فكرة عما يعنيه قوله - إنه حين يشاهدني أمي وأبي عائداً، مبرشونوني حتماً باللقود.

"واو!، قلت متعجباً. هذا رائع فعلاً!"



وقبل انتهاء اليوم، أطفأنا أنا ولاري الكبير اسماً على خطتنا  
"العملية: إزعاج الأهل"

في اليوم التالي، بقيت ملتصقةً بليليان طالباً منها بعض العمل  
الإضافي. وبعد ساعة، رفعت ذراعها في الهواء، "حسناً! أنا  
أستسلم! خذ هذه المجادات ونظف الحمام. أنت تعرف كيف تنظف  
الحمام، أليس كذلك؟"

لبستمت وقلت لنفسني لن تصنقي ذلك! وفيما كنت أحتق فيها،  
أحييت عنفي إلى جانب واحد، "كم؟"  
نظرت ليليان بهشة، "ماذا؟"

كم مثدفعين لي لتنظيف الحمام؟" قلت بصوت جاد.  
أومأت السيدة كلتزي برأسها، "لوه، فهم. حسناً، أيتها الرجل  
الصغير، سأقول لك، سأدفع لك ربع...."

وقبل أن تكمل ليليان عبارتها، أجبت: "لا! هذا ليس كافياً".  
"أيتها الجشع، حسناً، كم تريد؟"

شعرت بنفسي أترجع في الداخل، لم يعلمني لاري الكبير ما  
الذي يجدر بي فعله في هذه الحالة. "أنا...، قلت فيما شعرت بفتكي،  
نتزعزع."

"سأقول لك ماذا"، قالت وهي تحوم حولي. "سأعطيك 30 سنتاً،  
إما تقبل بهذا أو تبطل الصفقة".

عرفت مما علمني إياه لاري الكبير أنه حين يقول لك أحدهم "إما  
تقبل بهذا أو تبطل الصفقة"، يجدر بي القبول والهروب. أومأت  
برأسي منتصراً. "لقدفنا، فلنتصافح".

حين نظرت إلى ليليان، أدركت أنها لم تكن مستعدة لبراعتي في  
عند الصفقات. شعرت أنني خدعتها، ليس فقط بالدفع لي، وإنما أيضاً  
بمنحي مالا أكثر مما كانت تدفع عادة.

احتجت إلى ساعتين تقريباً لتنظيف الحمام- مثلاً أرادت المبيدة  
كلتزي، "حسب معايير رب العمل". شعرت أنها استفادت مني نوعاً  
ما. وفيما كنت أفرك الأرضية للمرة الثالثة، عرفت أنه يجدر بي  
التحدث ذلك المساء مع لاري الكبير وأشكو خطتنا الحفماء.

اختفت مشاعري المخططة فجأة حين وضعت ليليان خمسة  
سنتات وربع دولار في راحة يدي. نسيت أن أشكرها، وهرعت إلى  
غرفتي، بحثت عن وعاء زجاجي خبائه، ووضعت المال فيه. كنت  
أحتق في الوعاء كل يوم. وفي أقل من شهر، جنيت أكثر من أربعة  
دولارات- أي أكثر مما ينبغي حسب تصوري لإصلاح دراجتي.  
أخيراً، وبعد فرض المقدار الملائم من الإزعاج، اصطحبني طوني،  
ابن ليليان، في شاحنته "الشيغي" البرتغالية إلى متجر الدراجات.  
عرف طوني كل القطع التي أحتاج إليها، من دون أن أزعجه. ولم  
الاحظ حين جاءت الفاتورة كيف دفع طوني مالا أكثر مما كنت  
أملك.

في ذلك اليوم، ومن دون الحصول على إذن، اقترضت بعض  
الأدوات التي وجدتها وبدأت أجمع دراجتي. وبعد عشرات  
المحاولات لإحكام الأنابيب الداخلية في العجلتين، مسحت أصابعي  
المكسوة بالدم، وركبت على دراجتي، ورفعت شارة النصر لأول  
مرة في حياتي فيما كنت أجوب الشارع غير مكتوّن بأي شيء في  
العالم.

أذكر أن 21 آب 1973 هو يومي على دراجتي. في ذلك اليوم، شعرت للمرة الأولى أنني ولد عادي، مأخوذ في روعة يوم لا ينتهي. سمعت طوال أعوام عدة أصوات الأولاد وهم يجوبون الشارع ويصرخون فرحاً أثناء الركوب على دراجاتهم. في ذلك اليوم، لا بد أنني جيت الشارع صعوداً ونزولاً ألف مرة. توجب على السيدة كلتزي جريّ إلى الداخل، "داقيد بيلزر"، لقد أظلمت الدنيا منذ أكثر من ساعة! أدخل دراجتك الصغيرة إلى هنا الآن، صرخت عالياً فيما كنت أمرُ قربها مسخفاً بصراخها.

على رغم الألم الذي شعرت به في ساقَيّ نتيجة الركوب على دراجتي في الشارع، لم أرغب في أن ينتهي ذلك اليوم المميز. وفيما وقفت لبلبان واضعةً يديها على وركيها، نزلت عن دراجتي وأدخلتها معي إلى المنزل. عرفت من شكل وجهها أنها كانت على وشك الصراخ في وجهي. لكنني هزمتها بمنحها أفضل ابتسامة لدي. "حسناً، قالت فيما تطوّقتي بنراعتها. "اتحلّ إلى هنا. لا تلتنّ. ففدأ هو يوم آخر. بعدما تنتهي من واجباتك، يمكنك أخذ دراجتك إلى المتّزّه.

أطبقت كفيّ بابتصار. "نعم"، صرخت عالياً.

في صباح اليوم التالي، أثناء نزولي من الممرير، اكتشفت أنني بالكاد أستطيع حني مرقّي. نظرت إلى المرأة وابتمت.

"نعم"

## الفصل

### 5

## إنسان بلا هدف

بعد تنوقي الأول للحرية، أمضيت قدر ما أستطيع من الوقت في الركوب على دراجتي. فما إن أنزل عن السرير، كنت أسرع إلى النافذة المفتوحة (لا أنام أبداً والستائر مغلقة) وأتحقق من الطقس. أنزل من ثم لتناول الفطور، وأنجز واجباتي، وأركض على السلام وأغلق الباب الأمامي بقوة بعد القول للسيدة كانتري إني خارج.

كانت السيدة كانتري تراقب عادة خروجي عبر نافذة المطبخ. لم أكن أقوت أبداً فرصة للظهور، فكنت ألوح لها من خلف ظهري. في بعض الأحيان، كنت أنزل الشارع بسرعة كبيرة لدرجة أشعر أنني أطير. وبعد دقائق، كنت أضغ فممي على القضيبة الوسطي وأغوص في العشب المجزوز حديثاً للحديقة العامة. وبعد ركن دراجتي، كنت أتدفع بعجلة إلى الحصن الخشبي الهائل الثلاثي الطبقات. كنت أتسلق كل الحبال، وأركض وأففز على الجسر المتحرك. وبعد إرهاق نفسي، كنت أستلقي لالتقاط أنفاسي. كنت أتمدد دوماً إلى أقصى حد لأشعر بدفء أشعة الشمس قبما هي تعبر الحديقة.

وكلما سمعت ضحكة، كنت أختلس النظر فوق إقريز الحصن وأحدق مذهولاً في يقية الأولاد، معظمهم أصغر مني، وهم يلعبون مع أصدقائهم أو أهلهم. أردت الانضمام إليهم، لكنني كنت أفقد

شجاعتي قبل الاقتراب منهم. عرفت بطريقة ما أنني لا أنسجم معهم.  
كنت أبقي دوماً في الحديقة العامة حتى أصبح عاجزاً عن قمع  
معناتي الجائعة. أركب حينها على دراجتي متوجهاً إلى منزل ليليان.  
وكالعادة، حين أصل أمام الباب الأمامي، أحبس أنفاسي وأصرخ من  
ثم: "لقد عدت!" كانت ليليان تجيب دوماً على ندائي، لكنها لم تفعل  
ذلك ذات يوم. تسلفت السلم ودخلت إلى المطبخ.

انعطفت فجأة حين سمعت صوت أحد خلفي. "ليست هنا أيها  
القرزم". كان لاري جونيور في مزاجه الاعتيادي.

أردت توبيخه بشدة، لكنني كظمت غظفي وهدت في الأرض،  
متصرفاً مثل ولد خجول، وأومات برأسي من دون أن أنظر إلى  
الأعلى، مما أوحى بفوزه. وفيما كنت أحاول الانطلاق بسرعة بعيداً  
عنه للدخول إلى غرفتي وانتظار ليليان، اعترض طريقي. أمسك  
بثراعي من دون إنذار.

"إلى أين يذهب صغير الماما؟"، قالت بصوت منتحب فيما أحكم  
قبضته.

وجّهت نظرة حقد مباشرة إلى عينيّه فيما كنت أحاول الإفلات  
من قبضته. "ها، يارجل... أفلت! أفلت! قلت متعجباً.

"نعم، لار... لار... أف... أفلت.... الولد، نمت كريس. التفتت  
نحو كريس، أحد إخوتي الأرباب. تناجأت نروينه لأنه كان يبقّي  
عادة في غرفته في الأسفل.

حافظ لاري جونيور على قبضته حول ذراعي، لكنني أدركت من  
تعبيره المخادع أنه على وشك توجيه انبهاه إلى كريس. ضغط عليّ

للمرة الأخيرة قبل إزاحتي جانباً. "دا... دا... ما الذي يريده  
المختلف؟ ألا يجتر بالمختلف أن بختي في غرفته الصغيرة؟"، قال  
لاري ببتيرة ساخرة.

كان كريس أول شخص أعرفه مصاباً بشلل دماغي. استطعت  
مشاهدة الآثم في عينيّه. عرفت ما معنى أن يتعرض الإنسان  
للسخريّة، وكنت أكره ذلك. أدركت أيضاً أن منعة لاري الوحيدة  
تتجلى في إيذاء مشاعر كريس. اقترب كريس من لاري حتى أصبح  
مباشرة أمام وجهه. حرك لاري حاجبيه فيما كان يورجج ذراعه  
اليمني صعوداً ونزولاً. استطعت نخيل لاري يضرب كريس ويسحق  
أسنانه. ومن دون تفكير، صرخت: "لا توقف! توقف!"

وجه لاري جونيور ذراعه نحو كريس، لكنه في اللحظة الأخيرة  
وضع يده عبر شعره لتمسيطه. "اللعة"، قال لاري. "هاذا لا بكلف  
الكثير لخداع مغفلين، أليس كذلك؟"

شعرت بحرارة جسمي ترتفع. "إذهب إلى الجحيم"، صرخت في  
وجهه.

اتسحت عينا لاري. "أوه، يملك ولد الماما الصغير فعاً إذًا. أنا  
خائف جداً. سأقول لك أمراً أيها القرزم، نمت لاري فيما راح يدفعني  
في اتجاه رف المطبخ. لماذا لا تجعلني؟"

عرفت من حجمه أنه فائر على كسري مثل الغصن الطري.  
لكنني لم أكرت. تراجع يارجل، قالت من غير تفكير. "لقد سمعت  
منك. فإذا كنت أكبر حجماً وسناً... لا يمنحك ذلك الحق لمعاملتنا  
بهذه الطريقة، أليس كذلك؟ كيف تشعر إذا ضابقت أحدهم؟"

بدا لاري مذهولاً للحظة. ثم هز رأسه. "ومن تظن مسك-  
الذكور سيوك؟" توقفت لبرهة للتفكير في قالة لاري للثور. سيوك؟  
هل يقصد المتأنق في حرب النجوم؟ سألت نفسي.

"لو كنت مكانك، نابع لاري،" لاكتفيت بأعمالي وركبت على  
دراجتي الصغيرة، وإلا..، أضاف فيما الإيسامه العريضة نعلو  
وجهه، قد أستعمل وجهك الصغير لأمسح به الأرض".

فقدت السيطرة على أعصابي. أردت التسليق على ساقيه وصفع  
وجهه. ركضت نحو لاري. "سمنت من التعرض لإهانات من  
أمثالك. أنت... أنت... فارغ الرأس. تظن أنك كبير جداً. أنت  
ألمه... أحمق. أنت لست... أنت لست وغداً. أنت قوي جداً، أليس  
كذلك؟ كما لو أن الأمر يحتاج إلى شخص قوي لمضايقة شخص  
مثل كريس. هل تريد العراك؟ حسناً، هيا، فلنعمل ذلك! أرتي ما  
لديك. ثعال أيها القوي! حسناً...؟"

شعرت بأصابعي تلذف. أدركت أن ما أفعله خطأ، لكن بعد كل  
تلك الأعوام من التعرض لإذلال الآخرين الذين يظنون أنهم  
منفوقون، أردت الانتقام. كما أن مشاهدة طريقة معاملة لاري  
جونبور لكريس جعلتني أفقد أعصابي. توجب علي القيام بشيء ما.  
فيما أصبح تنفسي أكثر سرعة، عرفت أنني لوثر في لاري.  
أصبح وجهه مشدوداً فيما كنت أضايفه على نحو متواصل. كان  
لمرة واحدة على وشك الاستسلام. أحببت هذا الشعور. استدار وجه  
لاري من جانب إلى آخر حتى حاصرني بين رف المطبخ. شعرت  
براسي يرتطم بشيء حاد، لكن الغضب تغلب على الألم.

وقبل أن يخرج لاري من المطبخ، رفع مقبضه على كريس.  
"هيا، أيها الرجل، من الأفضل أن تنبيه نفسك، وإلا قد تجد نفسك  
في أحد هذه الأيام عالقاً تحت السلام ورقبتك المتخلفة مكسورة.  
واعلم جيداً أنك بحاجة إلى أكثر من هذا القرم للدفاع عنك!  
"وأنت؟" توقف لاري فيما كان ينظر إلي. "من الأفضل أن تنبيه  
لغتك. لو أردت... لكنت نظفت ساعتك... تماماً هكذا"، قال منبجاً  
وهو يشبك أصابعه. "ابتداً كلاماً عن طريقي. هل تهماني؟ أيها  
الجنابان؟"

أبقيت يدي على رف المطبخ إلى أن سمعت لاري يغلّق باب غرفته  
بقوة شديدة بحيث اصططقت النوافذ في الأعلى. أفلتت قبضتي أخيراً بعد  
ثوانٍ قليلة. أغلقت عيني فيما كنت أحاول السيطرة على تنفسي. بدلي  
أنني أحتاج إلى دهر حتى أعاود التنفس بصورة طبيعية.

فتحت عيني وحدثت عن كريس. لقد اختفى. ركضت خارج  
المطبخ ودخلت إلى غرفة الجلس فسمعت صوت باب غرفة كريس  
يغلّق أيضاً. نزلت السلم بسرعة وطرقت بمجلة على باب كريس قبل  
أن أدخل إلى الغرفة. كان جالساً عند قدم سريره، محدثاً في  
الأرض، والدموع تتهمر على وجهه. أحذيت رأسي إلى جانب واحد.  
"هل أذاك لاري؟"

"للل... لا أست... أسطيع... الاعف... ناء... بنفسي، أنت  
تعلم! لا أحتاج إلى قزم... صغير...". نعمت كريس.  
"عما نتحدث يارجل؟" سألته. "لاري هو أكبر جبان في هذا  
الكوكب. لقد سمنت من مضايقته لي ولك طوال الوقت".

رفع كريس رأسه إلى الأعلى. "من... الأهم... الأفضل أن  
تعني نفسك. فقد... تتورط في... الكثير... من المشاكل. لو  
سمعتك... أمي... تش... تش... لكنت..."

رفضت كلام كريس بيدي فيما كنت أراقبه وهو يتوجه نحو  
جهاز الستريو خاصته. أمسك بخرطوشة حمراء كبيرة ثم وضعها  
في مسجلة كان يسميها مسجلة الثمانية أنشرطة. لم أشاهد واحدة قبلاً.  
وبعد سماع بعض الثغرات، بدأت فرقة غنائية اسمها "ليل الكلاب  
الثلاث" بإشاد أغنية "فرح العالم". ولما بدأت مكبرات الصوت  
البالية تتنذب، جلست قرب كريس على سريره. أدركت أن ما فعلته  
في الأعلى كان خطأ. "هاي يارجل"، قلت له. "أنا آسف. لقد فقدت  
أعصابي وحسب". أشار كريس إلى أنه سامحني. ابتسمت له. "هاي  
كريس، ما كان قصد لاري حين قال إنه "سينظف ساعتى"؟"

ضحك كريس فيما للعباب يسيل من جانب فمه. "يعني... أنه  
سيركل مؤخرتك!"

"لكن لماذا يضايقتك فأنت لم ترعه أبداً. لا أفهم."

لمعت عينا كريس. "أوه، يارجل... أنت مضطرب. مضحك. أنظر  
إلي. لا يحتاج إلى سيب. فأشخاص مثل لاري يزغجونني لأني  
مضطرب. مختلف. أنت... مختلف أيضاً. أنت صغير ولدك فم كبير."

انحنيت على سرير كريس فيما راح يشرح لي أن أهله الحقيقيين  
تخلوا عنه حين كان ولداً صغيراً وعاش في منازل التريبة منذ ذلك  
الحين. قال لي إنه تنقل بين أكثر من عشرة منازل مختلفة إلى أن  
انتقل للعيش مع رودي ولبلان. وكان آل كالتزي الأقرب إلى المنزل

الحقيقي بالنسبة إليه. أصغيت بإمعان فيما كان كريس يتحدث.  
ذكرتي نمتته توعاً ما بنفسني قبل بضعة أشهر. لكن كريس بدا  
خائفاً. فقد بدا مذعوراً من عينيهِ. قال لي كريس إن هذه سنته  
الأخيرة في منزل التريبة.

"ماذا يعني ذلك؟"، سألته فيما كانت خرطوشة الشريط تغير  
مسارها.

ابتلع كريس بصعوبة، محاولاً التركيز قدر الإمكان قبل الإجابة.  
"أوه... يعني أنه حين يصبح عمرك... 18، عليك... الرحيل...  
والاعتناء بنفسك."

"وأنت عمرك 17؟" سألته

أوماً كريس إيجاباً.

ومن سيعتني بك؟

ألقي كريس نظرة خاطفة على الأرض. فرك يديه معاً لبضعة  
ثوانٍ. ظننت في البداية أنه لم يسمعي، لكن حين عاود النظر إليّ،  
أدركت سبب خوفه الكبير وسبب بكائه.

أومات برأسي بدوري. الآن فهمت.

بعد شجاري مع لاري جوتبور، اعتزلت الناس وحاولت البقاء  
بعيداً عنه قدر المستطاع. وإذا لم يكن هناك أحد في الجوار وجدت  
نفسي متجهاً نحوه، كنت أعبر عن مشاعر الكراهية تجاهه من دون  
سبب ظاهري. كان يشتمني ببساطة في بعض الأحيان، فيما  
يطاردني في أرجاء المنزل في أحيان أخرى. كان لاري يمسك بي  
على الدوام ويثبتني على الأرض. وفي إحدى المرات، بعد ضربي

مرات عدة على الذراع، صرخ: "قل عمي!"

ثم أفهم. استمرت من جانب إلى آخر، محاولاً التماس من لاري فيما جلس على صدري واستمر في ضربي. "أبدأ"، صرخت في وجهه.

بعد دقائق معدودة، شاهدت العرق يتقطر من جبينه. "قل عمي! فلها"، أصر لاري. "استسلم يارجل!"

رغم أنني كنت مرهقاً من النضال للتخلص، شعرت أنني لنهك لاري. "أبدأ! أنت لست عمي. ابتعد الآن عني!"

أصدر لاري ضحكة كبيرة فيما ابتعد عني. ومن دون تفكير، ضحكت أنا أيضاً. ربت بيده على ظهري. "هل أنت بخير أيها الولد؟". أومأت برأسي إيجاباً. "سأقول لك شيئاً أيها القزم: لديك أعصاب قوية. أنت لا تستسلم أبداً"، قال. "لكن الابن المجنون لا..."

فجأة، نضيت بقوة وأوقعت لاري على الأرض بكل قوتي. وضعت إصبعي أمام وجهه، وبدأ مذهولاً بنصرفاتي. "أنا لست مجنوناً! ولا تقل لي أبداً أبداً ذلك مجدداً"، صرخت في وجهه فيما انفجرت في البكاء.

سمعت السيدة كانتري وهي تغلق باب المنزل. ثبتت عيني على لاري قدر المستطاع قبل الاختفاء في غرفة نومي.

"ماذا يجري الآن؟" سألت ليليان بغضب. "هل تتشاجران مجدداً؟ سأقول لكما إنني منمت منكما معاً".

"سيدة ك. هذا ليس أنا، وإنما القزم"، قال لاري بصوت منخفض. "ليس على ما يرام. أقصد إنه شخص معتوه. كنت ألعب معه وبدأ بضربي".

ابتعدت عن الباب ورحلت أبكي.

لا أدري لماذا كنت غيباً جداً. لقد حاولت جاهداً فهم ما كان يقوله بفتية الأولاد الأرباب لأتعلم - بحيث يتم قبولي ضمن مجموعة الأولاد الأكبر سناً. أردت كثيراً أن يحبني الآخرون. لكنني ما زلت لا أفهم. ربما، قلت لنفسني، أنا معتوه. ربما أنا مجنون.

استمرت حين سمعت نقرة خفيفة على الباب. مسحت أنفي بسرعة بحمّ قميصي قبل فتح الباب. "هل أستطيع الدخول؟" قالت السيدة كانتري فيما الابتسامة تلحو وجهها. أومأت برأسي إيجاباً. "إذا، أنت ولاري مجدداً؟"، سألتني.

أومأت برأسي مرة أخرى، وإنما ببطء أكبر. "حسناً، ما الذي يجدر بنا فعله برأيك؟"

أغلقت عيني فيما الدموع تنهمر على وجبي. "لا أدري لماذا أشعر بهذا السوء"، قلت باكياً. طوقت السيدة كانتري كتفي بذراعيها. "لا تقلق. سوف نعمل على حل هذه المسألة".

بعد بضعة أيام، أخذني رودي وليليان إلى عبادة طبيب. بقي رودي في سيارة الكرايزلر الزرقاء فيما اصطحبتي ليليان إلى العيادة. انظرنا بضعة دقائق إلى أن جاءت امرأة عجوز وأخذت ليليان إلى غرفة أخرى. عادت ليليان بعد دقائق معدودة. ركعت وقالت لي إنني سأشاهد طبيباً اختصاصياً سيجعلني أشعر بتحسن "هنا". قالت ليليان فيما أشرت إلى رأسي.

بعد لحظات قليلة، نبعت السيدة نغمها التي رافقت ليليان. فتحت

باباً عريضاً ولوحت بيدها كما لو أنها تطلب مني الدخول. دخلت إلى الغرفة بحذر شديد. أغلقت السيدة الباب خلفي. وقفت وحيداً في غرفة مظلمة. بحثت عن نافذة مفتوحة، لكنني عرفت أن الظلال كانت مرسومة. كان سقف الغرفة غريباً، بقيت واقفاً في وسط الغرفة ليضعة ثوانٍ إلى أن أمرني رجل، لم أشاهده حين دخلت، بالجلوس. فزت حين سمعت صوت الرجل الغريب. أضاء الرجل مصباح مكتبه تملأ الآن. إجلس. أظعت أوامره وعثرت على كرسي كبير الحجم. جلست وحذقت في الرجل. انتظرت حتى يقول شيئاً، أي شيء. هل أنا في الغرفة الصحيحة، في المكتب الصحيح؟ هل هو الطبيب؟ لا يمكن أن يكون الطبيب بنفسه!

تحولت الثواني إلى دقائق. وعلى رغم محاولاتي، لم أستطع تحديد قسامات وجه الرجل. فرك يديه معاً فيما بدا أنه يدرستي. تحركت عيناها من جانبي إلى آخر. لاحظت أنه توجد أريكة طويلة بمحاذاة الجدار خلفي. وكانت بقية جدران الغرفة مغطاة برقوف ملينة بالكنب.

فيما استمر الرجل في التحدث بي من وراء المكتب، بدأت أتسوس يدي. لم أستطع الانتظار أكثر. أعزلي سيدي، هل أنت الطبيب النفسي؟ هل تريدني أن أستلقي على الأريكة، أو يمكنك الجلوس هنا؟ سألته بصوت خافت.

شعرت أن كلماتي تتلاشى فيما انتظرت جواباً منه. شيك يديه. لماذا طرحت هذا السؤال، سأل الرجل ببررة باردة.

أحببت رأسي لأتمكن من السماع بصورة أفضل. سيدي؟ سألته.

نظف الرجل حنجرته بالفتح. قلت، لماذا طرحت هذا السؤال؟ قال وهو يمدد على كل كلمة.

شعرت أن طونلي أصبح 10 إنشات. لم أعرف ما أفعله. بدا لي أنني احتجت إلى دهر قبل أن أجيب. لا أعرف.

بلمح البصر، أمسك الرجل قلم رصاص وبدأ يخربش على ورقة اختفي قلم الرصاص بعد برهة. ابسم، وابتسمت. عرفت أن عبارتي الأخيرة كانت حمقاء، ولذلك حاولت التفكير في شيء تكي لأفعله. أردت أن يحبني الرجل. لم أرغب في أن يظنني أحماً. أومات برأسي ببقعة. الدنيا مظلمة هنا، هو؟

حقاً؟، باشر الطبيب في الكتابة مجدداً بسرعة فائقة. أدركت بعدها أنه كلما قلت شيئاً، فإن الرجل - الطبيب، حسب ما اعتقد، يدور كل شيء.

ولماذا طرحت هذا السؤال؟، سأل الطبيب. فكرت ملياً قبل الإجابة. "لأن... الدنيا مظلمة"، قلت وأنا أبحث عن الموافقة.

وأنت تخاف من الكلمة - نعم؟، قال الطبيب كما لو أنه عثر على إجابته الخاصة.

مجنون، قلت نفسي. يظن أنني مجنون. ارتبكت في مقعدي، من دون أن أعرف كيف أجيب. بدأت أفرك يدي. تمنيت لو أن السيدة كانت في تدخل من الباب وتأخذني بعيداً.

تبع ذلك مرحلة طويلة من الصمت. شعرت أنه من الأفضل لي ألا أحفر قبوري أكثر. نظرت إلى أصابعي المتحركة. نظف الطبيب





"سألتك، لماذا تسيء أمك معاملتك؟" من دون تفكير، تراجع  
إلى الخلف. "كيف أعرف؟ أنت الطبيب. تصور الأمر. أنا لا أفهم...  
أسألتك... وكل مرة أجيب عليها، تقاطعني. لماذا يجدر بي إخبارك  
عني فيما لا تعرف حتى اسمي؟"

توقفت لالفتاظ نفسي حين سمعت صوت أزيز. ضغط الطبيب  
على زر، ورفع سماعة الهاتف، وأما برأسه، ثم أعاد سماعة الهاتف  
إلى مكانها. "لوح بده أمامي فيما كان بدون ملاحظة أخرى قبل  
القول: "هلا احتفظت بهذه الفكرة لي؟ هذا هو كل الوقت الذي لدينا  
لهذا الأسبوع، وسوف... دعني أرى... سأحدد لك موعداً في  
الأسبوع المقبل. ما رأيك؟ أظن أننا باشرنا في انطلاقاً جيدة هنا،  
دانيال، موافق؟ أراك إذاً في الأسبوع المقبل. وداعاً الآن"، قال فيما  
أحني رأسه فوق مكتبه.

حدقت فيه وأنا غير مصدق. كان عقلي مشوشاً جداً لدرجة أنني  
لم أعرف كيف أتصرف. هل تتكهي الجلسة مع الطبيب النفسي بهذه  
الطريقة عادة؟ سألت نفسي. ثمة خطب ما، وشعرت أن هذا الخطب  
هو أنا. جلست بلا حراك لبضعة ثوان، ثم انزلت عن الكرسي  
ومشيت نحو الباب. وحين فتحت، نمت الطبيب متمبهاً لي لهاراً  
سعيداً. التفتت إليه وابسمت. "شكراً لك، سيدي"، قلت بصوت مرح.

"حسناً"، قالت السيدة كاتز، "كيف جرت الأمور هناك؟"  
"لا أعرف. لا أظن أنني أبلّيت حسناً. أظن أنه يعتقد أنني أبله،  
قلت فيما أخذتني ليليان إلى السيارة. يريد أن يراني الأسبوع  
المقبل."

"حسناً إذاً، لا بد أنك تركت انطباعاً جيداً. استرخ. أنت تقلق  
كثيراً. نعال الآن، فلنذهب إلى المنزل".

جلست في المقعد الخلفي لسبارة رودى. أصبحت نائماً فيما  
إشارات الشوارع تومض أمامي. شعرت بغضب أكثر من قبل.  
أردت إطلاق ليليان على شعوري، لكنني أدركت أنه إذا فعلت ذلك  
سكون كلماتي خاطئة وأجعل نفسي أحمقاً أمامها وأمام رودى.

أفسدت ليليان تركيزي. "إذاً كيف تشعر؟"  
شبكت ذراعي بقوة فوق صدري. "مرتبك"، قلت بنبرة حاسمة.  
"حسناً"، قالت فيما كانت تحاول العبور على الكلمات الصحيحة  
لجعلني أشعر بتحسن. "تحتاج هذه الأمور إلى الوقت".  
كانت جلستني النالبة غريبة أيضاً.

"اليوم، دعنا نبدأ جلستنا بإخباري... دانيال، كيف شعرت حين  
كانت أمك تسيء معاملتك؟ أعرف أنها في وقت من الأوقات  
كانت...". تصفح الطبيب ملفاً مفتوحاً تصورت أنه يخصني. بدأ  
بالتعمقة لنفسه إلى أن أغلق الملف. "نعم"، قال لنفسه. "كان عمره  
ثمانية أعوام حين قلت أمك...". وضع نظارته فيما بدأ يقرأ ورقة  
من الملف - "توضع ذراعك، ذراعك اليمنى...، أوماً مجدداً، وإيما  
لي، "قوى الفرج. هل هذا صحيح؟"

انفجرت قبيلة داخل معدني. بدأت يداي ترتعشان. فجأة شعرت  
أن كل جسمي أصبح مثل المطاط.

حدقت في حركات وجهه فيما كان يستبدل الورقة الموجودة على  
مكتبه - ورقة احتوت على المراحل الأكثر فظاعة من حيائي. إن

الخريشة الموجودة على هذه الورقة هي حياتي - حياتي التي يمسكها الطبيب العظيم بين يديه - وما زال لا يعرف حتى اسمي يا إلهي! صرخت لنفسي - هذا هراء!

دانيال، لم نظن أن أمك أحرقك ذلك اليوم؟ أنت تذكر تلك الحادثة، أليس كذلك... دانيال؟ توقف لبرهة.

مسكت ساعدي الأيمن فيما شعرت أنني أتأرجح.

"أخبرني"، أضاف، "ما هو شعورك تجاه أمك؟"

"دافيد"، قلت بصوت بارد - "اسمي هو دافيد" - صرخت. "أظن انها مريضة وكذلك أنت؟"

لم يومض عينه. "أنت تكره أمك، أليس كذلك؟ هذا طبيعي جداً. عجز عن تفكيره هيا، أخبرتني. علينا الانطلاق من مكان ما بحيث نتمكن من العمل على هذه الأمور والمشاكل يهدف..."

لم أعد أسمع صوت الطبيب. بدأت ذراعي اليمنى تؤلمني. حككتها مثلما فعلت قبلاً قبل أن أُلقي نظرة خاطفة إلى الأسفل. وحين فعلت ذلك، رأيت ذراعي اليمنى ملتزمة بالنار. قفزت من مقعدي فيما رحلت أهدى ذراعي محاولاً إخماد النار. أحكمت قبضة معصمي فيما كنت ألق على اللهب. أوه، يا إلهي، لا صرخت لنفسي. لا يمكن أن يحدث هذا! أرجوك ساعتي! أرجوك! حاولت الامتناعة بالطبيب النفسي. أبتعدت شفتاي عن بعضهما، ولكن من دون أن يخرج أي شيء. شعرت أن جانبي وجهي مقطعان بالنموذج فيما اللهب البرقالية والزرقاء ترقص على ذراعي...  
نعم، هذا هو المطلوب!"، صرخ الطبيب. "جيداً أخرج

مشاعرك! هذا جيد، دانيال. الآن، أخبرني بادانيال، كيف تشعر في الوقت الحاضر؟ هل أنت... غاضب؟ هل تشعر بالعنف؟ هل تريد صبا عدوانيتك على شخص أو شيء ما؟

نظرت إلى ذراعي. لقد اختفت النار. وعلى رغم محاولاتي، لم أستطع منع نفسي من الارتعاش. طوقت ذراعي بيدي الأخرى ونقخت عليها برقق كما لو أنني أريد جعل نفسي بحال أفضل. اتخيت إلى الأمام للنهوض، فيما لا تزال ممسكاً بذراعي اليمنى. مشيت وجهي قدر المستطاع فيل فتحت الباب للمغادرة.

لهض الطبيب من خلف مكتبه. "حسنًا، يمكنك المغادرة باكراً. لقد أحرزنا تقدماً اليوم. لا تدع هذا يعصبك. سوف أحدد لك موعداً يوم..."

أوه، أغلقت الباب بكل قوتي.

في المكتب الخارجي، قفزت السكرتيرة العجوز عن كرسيها. توقفت قرب مكتبها لبرهة. بدا وكأن المرأة كانت على وشك توبيخي إلى أن ألقت نظرة مطوطة على وجهي. توقفت واستدارت بعيداً للإسماك بالهاتف. أدار المريض التالي رأسه أيضاً فيما خرجت من المكتب.

أغلقت باب سيارة ليليان بقوة عن غير قصد. أوقعت كتابها في الهواء. "دافيد! ماذا...؟ أتيت باكراً. هل كل شيء على ما يرام؟" شبتك بدني معاً. ١٧ ١٧ ١٧، صرخت. "ذلك الرجل"، أشرت بإصبعي إلى المبنى في الجهة الثانية من الشارع، "مريض". لقد طرح علي أسئلة غريبة سألتني اليوم عن شعوري حين...

"حسنًا، دافيد"، قالت بصوت حازم. "هذه وظيفته. إنه الطبيب. أنا أكيدة من أنه يحاول المساعدة..."

"لا"، انفجرت فيما هزّرت رأسي. "لا يطرح أسئلة مثلك أو مثل الأنسة غولد، وإنما أسئلة مريضة، مثل: ما هو الشعور عند الاحتراق بالفرن؟ ومن الطبيعي جداً أن أكره أمي، قلت وأنا أكاد صوت الطبيب. "لا أعرف ما الذي أقوله أو أفعله معه إنه غريب إنه الشخص الذي يحتاج إلى المساعدة، وليس أنا. إنه المريض".

"هل هذا هو سبب غضبك الأسبوع الماضي؟ هل عاملتك هكذا في المرة الأخيرة؟" سألت ليليان.

"أومأت برأسي. "لا أعرف، أشعر أنني أحرق وذني.. أعني، أعرف ما حدث مع أمي، وكنت مكثت وأحاول قمعاً نسيان كل ذلك. أعني، قد تكون أمي مريضة. أعرف أنه الإسراف في الشرب، لكن أريد أن أعرف: هل أنا مريض أيضاً؟ هل سأنهي مثلها؟ أريد أن أعرف فقط. أريد أن أعرف لماذا حدث كل ذلك بهذه الطريقة؟" كتفا العاتلة المثالية. ماذا حدث؟"

فيما كتكت أنفاس عن غضبي، تمددت في المفعد الخلفي. انحنيت ليليان فوقي. "هل أنت أفضل الآن؟"

"نعم سيدتي"، أجبته. انطلقت ليليان في السيارة. شعرت أنني على وشك التوم. أمسكت تراعي اليمى مباشرة فوق معصمي. أجبرت تقسي على البقاء مستيقظاً قليلاً بعد. "سيدة كانتري، لا أريد أيداً العودة إلى هناك- أبداً، قلت. ثم تحول عالمي إلى سواد.

بقيت لوحدي في غرفتي في الأيام القليلة التالية. سألني بعدها

لاري الكبير ما إذا كنت أريد مشاهدته وهو يلعب البولينغ، وافقت بسرور، وانطلقا مرة أخرى أنا وأخي الريبب الكبير في مغامرة جديدة. تعرقت إلى مقعدنا فيما عبرنا براجيتنا بمحاذاة مذيبة دالي. نزلنا أنا ولاري عبر الشارع الصغير المؤدي إلى موقف مدرسة توماس إديسون الابتدائية. أبطأت دراجتي وشاهدت الأولاد وهم يلعبون على الأرجوحة. توقفت قليلاً وتشتت راحة الحاء المتصرة. يدا لي أنه مضى دهر منذ أن كنت ولداً يلعب بسعادة في الملعب نفسه أثناء الفرصة.

حين ضياب كثيف فوق المدرسة قبل أن يتخفص. اختفت أشكال الأولاد فيما يدا أن الضباب الرمادي يتلعمهم أيضاً. وبعد دقائق قليلة، بقيت أصوات ضحكاتهم تكبرتي بأن الأولاد ما زالوا موجودين هناك.

تخلصت من أفكار الماضي فيما صعدت بدراجتي على هضبة أخرى بعيداً عن مدرستي القديمة. وبعد 10 دقائق تقريباً، توقفنا أنا ولاري عند متجر سكايلين- أي المتجر نفسه الذي سرقت منه حين هربت من المدرسة أثناء فرصة الغداء. بقيت بالقرب من لاري. ظننت أن أحدهم سيتعرف حتماً إلي. "هل أنت على ما يرام؟"، سأل لاري فيما كنا تسير في أجنحة المتجر.

"نعم"، أجبته بصوت منخفض. حذقت عينا في كل زاوية. مشيت بخطى بطيئة وامسكت بحزام لاري لأطلب منه إعطاء مشيته. فانا الآن في ميدان أمي.

"هاي يارجل، ما هي مشكلتك؟"، سأل لاري.

تش. لقد عشت هنا، همست له.

"حقاً؟ جيد"، قال لاري، فيما كان يلتهم فطيرة فاكهة أثناء خروجنا من المتجر. "لهذا السبب تصرفت بشكل غريب في المدرسة؟"

"أعتقد ذلك"، أجبت.

بعد أن انتهى لاري للكبير من تناول فطيرتين بالفردة، وبعض ألواح الشوكولاته وزجاجتين من الصودا، توجهنا إلى ملعب البولينغ. أصبح الوصول إلى جادة البوابة الشرقية بعداً جداً بالنسبة إلي. نزلت عن دراجني وحدقت في الشارع الذي اجتزته للتو. "توقف"، صرخت من دون سابق إنذار.

لاري كان يلتهث خلفي مثل الكلب. "ما الأمر؟"

"أمد لي خدمة"، قلت له. "قلناخذ فرصة وننزل إلى هذا الشارع". خرجت سحابة من الضباب من فم. "نعم، حسناً. لماذا؟"، سألتني. "تعدني بالأخبار أحياناً؟"

"نعم، يارجل، ما الأمر؟"

"لا تخبر أحياناً... لكنني كنت أعيش في هذا الشارع". استدرك رأس لاري في اتجاه الشارع مجدداً. "رائع! أي منزل؟"

"المنزل الأخضر الداكن. في الجهة اليسرى، في وسط المبنى". قلت فيما كنت أؤشر إلى أسفل الشارع.

"هاي، يارجل. أنا لا أفهم ذلك"، قال وهو يهز رأسه. "كانت أمي قالت لا حسناً. لذا، ليست فكرة جيدة؟ ماذا لو كانت أمك أو إختوك في الخارج؟"

أوقفت دراجني قرب كومة من الأشجار الصغيرة، وبغت بالقرب منها فيما رحت أحتق في الشارع. استطعت سماع لاري وهو يتعثر خلفي. تسارع خفقان قلبي. عرفت أن ما أقوم به خطأ وخطير. "إذا قررت قبول هذه المهمة..." همس لاري، كما لو أننا كنا ننفذ معاً واجباً من المهمة المستحيلة.

"تعال، الطريق مفتوح"، قلت وأنا أعطي لاري إشارة الانطلاق.

"هه، لاري رأسه." "لا أدري".

"تعال"، نوسلت إليه. "لم أطلب منك يوماً أي شيء. لن تعرف السيدة كاتنزي أبداً. بالإضافة إلى ذلك، سأبجز... سأبجز واجباتك على مدى أسبوع كامل. موافق؟ أرجوك؟"

"حسناً، يا صغير. موافق".

ركبت على دراجني واستمررت في الضغط على المكبح فيما بدأت النزول ببطء. لم يظهر أحد في الخارج. لاحظت أن باب الكراج المؤدي إلى منزل أمي كان مغلقاً. وفيما اقتربنا من المنزل الأخضر والأسود، تنفست الصعداء. هذا ممتع فعلاً، قلت لنفسي. فجأة، ظهر رأسان من نافذة غرفة نوم إختوتي. "تمت"، همست.

"ما الخطب؟"، سأل لاري

"إذهب فقط، تمتت"

"ماذا؟"

"قلت، إذهب!"

"هاي، يارجل، ما المشكلة؟"

"ليس الآن!" صرخت. "تعال! إذهب! إذهب! إذهب!"

انحنيت إلى الأمام على مفيض الدراجة ودومت بقوة لدرجة ظننت أن السلسلة ستقطع. توقفت عند أسفل الشارع. بدا لي أن قلبي عالق في حلزوني. انتظرت حتى يفتح باب الكاراج وتخرج منه سيارة أمي أو دراجات إخوتي لمطاردي في الشارع. رحت أفكر في طرق فرار عدة.

"هل شاهدت ذلك؟"، سألت.

"شاهدت ماذا؟ ما الخطب معك يارجل؟" سألت لاري.

"الناذرة!، قلت فيما لا أزال أصعد في الشارع. 'إخوتي... لقد رأوتني'. بقيت عيناى شاخصتين على كل صوت وكل حركة من المنزل.

لم يحدث أي شيء.

"يارجل، اتحب لاري الكبير، هناك الكثير من أفكار جايمس بوند معشنة في رأسك. لم أشاهد أي شيء. أنت تتخيل الأشياء. هيا، فلنذهب ونذكر، قال لاري فيما هو يدوس على دراجته، 'الاتفاق هو اتفاق'.

"مطرط ألا تعرف السيدة كانتري بالأمرا؟، أجبتة فيما كنت أحاول التقاط أنفاسي.

بعد بضعة ساعات، شعرت ببرد كبير أثناء عودتنا أنا ولاري إلى منزل لبلبان. "ما الذي يجري؟" همست إلى لاري. نظر إلى بطريقة توحي بأنه لا يعرف شيئاً.

"هاي"، قال لي. "سوف أصعد إلى الأعلى، أتناول بعض الطعام ثم أتحقق لك من الوضع، موافق؟"

وافقت بشوق فيما كنت أراقب لاري من أسفل السلم. فجأة، ظهرت السيدة كانتري. اختبأت في الظلال يدافع الغريزة. "لاري!" قالت بصوت عالٍ. "أخرج وجهك الآن في هذه اللحظة! وأنت، موجهة إصبعها تحدي، 'أستطيع مشاهدتك! يمكنك انتظاري في غرفتك. تحركا الآن! كلاهما'.

أصبحت عيناى بحجم النقود المعدنية. ابتسمت ابتسامة عريضة كاشفاً عن أسناني فيما وجهت إصبعي نحو صدرى. "أنا؟"، سألت. أعادت لي الابتسامة لاحظت أن يديها فوق وركبها. في تلك اللحظة، أدرت أني وقعت في ورطة كبيرة. انتظرت في غرفتي وتساءلت عما فعلته. لم أسرق أي لوح شوكولاته من المتاجر المحلية في الأيام القليلة الماضية. وكنا أنا ولاري بعيدين عن بعضنا. ليس لدي أية فكرة عن الخطأ الذي ارتكبته.

لم أحتج إلى إجهاد أكتفى لسماع ما يجري. "... يفترض بك أن تكون مسؤولاً حين يكون دافيد معك. إنه مجرد طغل. لقد شاهدت ما هو عليه'.

"أرجوك ياماما. إنه في الثانية عشرة. وهو يجيد الاعتناء بنفسه. بالإضافة إلى ذلك، لم تفعل أي شيء"، قال لاري. ما زلت لا أعرف الخطأ الذي ارتكبته أنا ولاري.

"لا؟ لماذا اتصلت بي إذا أم دافيد، الأم الحقيقية، طوال بعد الظهر؟" أودع أوه، قلت لنفسى فيما ابتلعت بصعوبة. سمعت من الخارج صوت باب سيارة يعلق بقوة. قفزت إلى النافذة لأشاهد رودى يلوح لي. عنت بسرعة إلى سريري منتظراً دورى.

"سيد بيلزر... تعال إلى هنا، الآن!" صرخت ليليان.

نهضت بلوح البصر وركضت إلى المطبخ. عرفت أنني كنت في وضع مثير. ورغم أنني كنت في ورطة، لم أشعر أن السيدة كانت في متصرفي. حين دخلت إلى المطبخ، شعرت بالقلق لمعرفة ما تضمنه لي السيدة ليليان. كانت هذه المرة الأولى التي أجد فيها نفسي في ما يسميه لاري الكبير بـ"منزل الكلب".

"أخبرني"، بدأت ليليان فيما يديها على ركبها. "أخبرني أنك لم تقع هذه الجرثومة الموجودة هنا بأخذك إلى منزل أمك". ابتلعت بصعوبة وحاولت مجدداً الكشف عن مفاتيحي فمتحت السيدة كانتري أفضل ابتسامة لدي. "جرثومة؟"

"حشرة من دون أذنين! وهذا ما ستكونان عليه إذا لم أحصل على أية أجوبة!" صرخت ليليان.

"ما الذي يجري هنا بحق السماء؟" صرخ رودي فيما كان يدخل إلى المطبخ.

"توقفاً. لا يتحرك أحد منكم!" حدّثت ليليان فيما التفتت إلى زوجها.

من دون معرفتها، وضعت يدي على فمي وأصدرت قهقهة. ظننت أن ملاحظتها بشأن لاري الكبير كانت مرحلة. امتنعت تخيله مع عيتين كبيرتين مثل الحشرة، وجناحين ضخمين، محلقاً في الجوار، محاولاً العثور على شيء لأكله. لم أشاهد ليليان بهذا الغر من الغضب قبلاً. وعرفت أنه يجدر بي مجازاة العاصفة. ما هي الغلطة الكبيرة؟ قلت لنفسي.

من جهة أخرى، بدا لاري وكأنه خرج لتوه من مغامرات شاقة. توجهت ليليان مباشرة إلى رودي الذي تناوبت عيانه بيني وبين لاري. "لقد قام المغفلان الصغيّران - دوفوس والولد المدهش - برحلة إلى منزل أمه".

"يا إلهي!" قال رودي متعجباً.

وقفت أمام الثلاثة، من دون أن أقمهم عواقب تصرفي. ما هي الغلطة الكبيرة؟ سألت نفسي مجدداً.

"أنا أسف، انفجرت فجأة." إنها غلطتي. لقد طلبت من لاري أن يفعل ذلك. وكل ما فعلناه هو التجول في الشارع. أين هي المشكلة؟ سألت براءاً.

"حسناً، لقد بقيت أمك على الهاتف طوال فترة بعد الظهر لتحدث عنك بعنف وتلومك بقسوة." قالت ليليان، وهي تؤشر بإصبعك تحوي، "لأنك كنت تبحث الرعب في الشوارع".

"لا!" هزّيت رأسي. "إنها تكذب! كل ما فعلناه هو التجول في الشارع. لم نفعل أي شيء، قمعلاً، قلت وأنا أبذل جهدي لأبدو هادئاً. داهيد"، قالت ليليان فيما أطلقت نفساً عميقاً، "ألا تفهم؟ لا يسمح لك بالذهاب إلى أي مكان قرب منزلها أو قرب أولادها أو قريبها".

رفعت يدي في الهواء. "انتظري! توقفي. ماذا تقصدين بأنه لا يسمح لي؟"، صرخت فيما كنت أحاول الاستحواذ على انتباه ليليان. لكنني لم أستطع وقفها. فقد كانت مهتاجة..

"هذه فقط نصف المسألة. فقد قالت لي أمك، الأم تريزا القديسة، إنه إذا لم أفلح في السيطرة على الولد، سوف تعثر على شخص آخر

قادر على فعل ذلك!"

ناضل عقلي لقرز الكلمتين مسموح و سيطرة.

انحلت لبلبان إلى الأسفل. "لا تفعل ذلك أبداً مجدداً! أنت محاصر!"

"محاصر؟"

"هذا صحيح، أنت محاصر إلى أن... إلى أن أقرر فك حصارك!" أنهت لبلبان بنوبة غضب قبل أن أستطيع سؤالها عما تقصده.

وقف لاري غير مصدق. "لقد قلت لك يارجل إنها فكرة سيئة."

"إذا...؟ هذا كل شيء؟" سألت. عرفت أن لبلبان كانت مجتونة، لكنني توقعت... حسناً، لم أكن أعلم ما أتوقعه. أستطيع تقبل هذا، قلت لنفسي.

فيما مسح لاري الكبير جبينه، توجهت لبلبان إلى المطبخ. بعد تلك الإيأسامة المكلفة عن وجهك أيها الولد المدهش، قالت فيما كانت تنتظر إلي. "لقد نصبت - سوف يأتي والدك غدراً في الساعة صباحاً ولذلك عليك النهوض باكراً. يمكنك فعل ذلك، أليس كذلك؟" سألتني لبلبان بإيأسامة خبيثة.

"نعم، سببتي. أستطيع فعل ذلك، أجيئها بصوت وديع.

"وانت!، صرخت فيما حولت انتباهها إلى لاري. "إذهب إلى غرفتك!"

هز لاري كتفيه. "أوه، ماما، هل يجدر بي ذلك؟"

"تحرك!"، صرخت لبلبان بصوت عالٍ.

بعد أن غادر لاري المطبخ، مسح لبلبان عينيها. تعال واجلس هنا. أصغ الآن جيداً إلي. أمك... توقفت لتطبيق حجتها. دافيد، أنا أعني بالأولاد منذ لا أدري كم من الوقت. لم أصادف يوماً شخصاً بارداً مثل أمك."

تقولين لي هذا؟" قاطعتها.

دافيد، ليس هذا الوقت للديعة. عليك أن تفهم شيئاً أنت ولد ربيب. ولد ربيب. ولهذا السبب، ثمة واجبان مطلوبان منك. عليك الإنشغال إلى كل شيء نقوله وكل شيء نقوم به. وإذا وقعت في مشكلة... قد نخسرك."

أدركت من جذية صوتها أن ما تخبرني إياه كان مهماً. لكنني لم أفهم الرسالة ببساطة.

أومأت لبلبان برأسها وتابعت تتكلم فوق رأسي. دافيد، إذا وقعت في مشكلة، قد تنتهي في السجن - سجن الأحداث. فهم يرسلون الأولاد الأرباب الذين ينفون في مشاكل إلى ذلك المكان. إنه مكان لا تريد أبداً أن تذهب إليه. أنا لا أعرف ما تستطيع أمك فعله، لكن من الأفضل لك أيها الشاب. أن تتعلم كيفية السيطرة على نفسك بصورة أفضل. وإلا سيتم حصارك لمدة سنة". ربتت لبلبان على ركبتي ثم خرجت من المطبخ.

عرفت أنها تستعمل أمي لإخافتي. عرفت أيضاً أن أمي لن تستطيع أبداً أخذني بعد أن أصبحت الآن ولداً ربيباً... أستطيع ذلك؟

"هأي، سيده كاتتري"، صرخت عالياً، "ماذا يعني محاصر؟"

"أوه، لا تقلق. سوف تعرف ذلك قريباً"، ضحكت لبلبان فيما



نزلت إلى أسفل الفاعة للدخول إلى غرفتها. سوف تسيطر على نفسك!

في ذلك المساء، فكرت طويلاً وملياً في ما قالت لي ليليان. وبعد أن غادر رودى وليليان لتناول العشاء، شعرت برغبة كبيرة في الاتصال بأمي. أردت التحدث إليها، وسماع صوتها. رفعت سماعة الهاتف مرات عدة، لكنني لم أستطع طلب رقمها.

مسمحت دموعي حين دخلت كوني إلى المطبخ. "هاي، ما الذي يجري؟"

استسلمت وأخبرتني بما كنت أحاول فعله. من دون أن تلفظ أية كلمة، أخذت كوني سماعة الهاتف وطلبت رقم أمي. بعد لحظات، شعرت بصدمة كبيرة حين سمعت المسجلة تقول إن رقم أمي "... لم يعد في الخدمة".

ثابت كوني وطلبت عامل الهاتف الذي أكد لها أن هذا الرقم بات الآن خارج نطاق الاستعمال.

وقفت أمام كوني، من دون أن أعرف ما يجب قوله أو فعله. لم أعرف كيف يجدر بي أن أشعر. عرفت أن أمي غيرت رقم هاتفها ليكون ذلك "لعبة" جديدة - فمن غير المسموح أن أعرف رقمها.

بعد أن جاء صديق كوني لاصطحابها، جلست وحيداً أحرق في التلفزيون. لم أكن قط لوحدي في المنزل قبلاً. رحبت أعد الساعات قبل أن يأتي والذي لاصطحابي في صباح اليوم التالي. خلدت إلى النوم فيما كنت أشاهد رفصة الثلج بالأسود والأبيض على شاشة التلفزيون.

في صباح اليوم التالي، نزلت عن السرير فيما كنت أفرك عيني، ونوجهت بعدها إلى نافذة الغرفة، التفتت ونظرت خلفي. لا أذكر كيف جئت إلى السرير. وبعد أن ارتديت ثيابي وغسلت وجهي، مرتين، ركضت إلى نافذة غرفة الجلوس. وقفت طويلاً وأنا أنتظر والذي.

بعد بضعة دقائق، شعرت بالألم في كفتي، لكنني بقيت منتصباً فيما أعلنت الساعة في غرفة الجلوس أنها السابعة. في السابعة وخمس وثلاثين دقيقة، سمعت الصوت المميز لسيارة والذي فولمفاكس. علت الابتسامة وجهي بعدما تأكدت أن شعري مرتب. شاهدت سيارة فولمفاكس بنية تدخل إلى الشارع. لكن السيارة تابعت طريقها. حسناً، ربما لا يملك العنوان الصحيح، قلت لنفسي. سوف يعود بعد بضعة لحظات.

في السابعة وخمس وخمسين دقيقة، سمعت صوت سيارة فولمفاكس أخرى نمر قرب منزل ليليان.

أثتحت حبذا نفسي أنني سمعت التوقيت الخطأ - ولن والذي سباني لاصطحابي في الثامنة وليس في السابعة، وأني ارتكبت خطأ آخر. أوه، ياغبائي، قلت لنفسي.

جاءت الساعة الثامنة ورحلت، ومرت أكثر من عشر سيارات قرب المنزل. وكلما كانت تدخل سيارة جديدة إلى الشارع، كنت أعرف في قرارة قلبي أن السيارة التالية ستكون حتماً سيارة والذي. وفي التاسعة تقريباً، ثتاعت ليليان فيما كانت تدخل إلى المطبخ. "فايد، ألا تزال هنا؟" لومات برأسي إيجاباً. "حسناً، دعني أنحف من

الروزنامة. أعلم أن والدك قال المايعة صباحاً. لقد دوكت ذلك بحق السماء".

"أعرف ياسيدة كانتزي"، قلت محاولاً عدم إظهار مشاعري. "سوف يكون هنا في أية....". قفز رأسي إلى النافذة حين سمعت هدبر سيارة فولسفاكن أخرى متوجهة إلى الشارع. "هل ترين؟ ها هو!"، صرخت عالياً فيما كنت أوشر إلى النافذة. أمسكت بيد ليليان. أردت لفت نظرها فيما كان والدي يدخل إلى الشارع. "عم!"، صرخت عالياً.

أبطأت السيارة لبرهة، وإنما لتغيير مبدل السرعة فقط قبل أن تتابع طريقها. أفلتت يدي من قبضة ليليان. نظرت إليّ كما لو أنها تريد جعلني أشعر بنحسن.

شعرت بانقباض في أمعائي. علقث كتلة جامدة في حنجرتي. "لا نقولي ذلك!"، صرخت. "سبكون هنا! أعرف أنه سيأتي! سوف ترين! سوف يكون والدي هنا في أية لحظة! سوف ترين! فالدي يحبني! سوف نعيش يوماً من الأيام مع بعضنا و... سنكون سعيدين نبقية حياتنا. أعرف أنها لا تحبني، لكن والدي يفعل. إنها الشخص الذي يحتاج إلى طبيب نفسي، وليس أنا. إنها المريضة..."

بدأ لي أن صدري يتقلص فيما كنت أتابع الكلام. شعرت بقبضة قوية على كتفي. أحكمت قبضة يدي اليمنى ثم التفتت بسرعة، وفيما كانت عياني تركزان على هدفي، حاولت التوقف لكنني لم أستطع. وبعد برهة، ضربت رودي بكل قوتي على خراعه.

نظرت إليه والدموع تملأ وجهي. لم يشاهدني رودي فظ

أنصرف بهذه الطريقة قبلاً. أردت الاعتذار غي برهة، لكنني لم أستطع. كنت متعباً من الأسف لكل شيء - لعدم فهم الكلمات أو العبارات، للشعور بالذل نتيجة لاري جونيور والطبيب النفسي المجنون، للركوب على دراجتي في الشارع، أو لمجرد محاولة سماع صوت أمي. وها أنا أقول لنفسي إنني سمعت التوقيت الخطأ بالنسبة إلى موعد غدوم أبي.

عرفت في فراغ نفسي أن والدي لن يأتي، لأنه ناه ربما في إحدى الحوادث. لم يخطط أبداً لزيارتي، لكنني قلت لنفسي إن هذه المرة ستكون مختلفة، وأن اليوم سيأتي إليّ وسوف نستمع بأوقاتنا. لم أستطع تقبل الحقائق في حياتي. كيف سمحت بوصول الأمور إليّ ما هي عليه بحق السماء؟ سألت نفسي. عرفت فيما كنت واقفاً أحتق عبر نافذة غرفة الجلوس، أنني سامعتي يوماً آخر مختبئاً في المكان الوحيد الذي أشعر فيه بالأمان - أي أغلبية سريرتي. نظرت إلى رودي ومن ثم إلى ليليان. أردت إخبارهما عن مدى أسفي وعن مدى استعزائي. فثقت فصي. وقيل أن أتمكن من النطق بالكلمات، استمرت بعيداً. وفيما كنت متوجهاً إلى غرفتي، استطعت سماع رودي بهمس إلى ليليان: "أظن أننا نواجه مشكلة خطيرة".

---

الفصل

6

---

[www.mlazna.com](http://www.mlazna.com)

التحدي

^ RAYAHEEN ^

قبل بضعة أسابيع من شروعي في الصف السادس، بدأت أتخلص من مشاعري. ففي ذلك الحين، كنت قد استنزفت كل العواطف. أصبحت متخماً من التأثير المتأرجح لحباتي الجديدة. ففي أفضل الأحوال، كنت أبتهج في اللعب تحت الأشعة البراقة لشمس الصيف. وفي أسوأ الأحوال، كنت أخشى من مخزية الأولاد الآخرين أو من حاجة الانتظار مثل الكلب المدرب لاحتمال ضئيل لزيارة والدي. كنت مدركاً تماماً أن تغييراً بارداً يحدث داخلي. لكنني لم أكنز. قلت لنفسني إنه للصمود، علي الحفاظ على قوتي بحيث لا أسمح أبداً لأي شخص أن يؤذيني مجدداً.

في بعض الأحيان، وبدل التوجه بدراجتي إلى الحديقة العامة، كنت أذهب إلى المتجر المحلي وأملأ جيبوي بالسكاكر التي أسرقها. لم أكن أرغب فعلاً بالسكاكر. فكنت أعلم أنني لن أستطيع أبداً تناول كل هذه السكاكر. لكنني كنت أسرق لأكتشف ما إذا كنت أستطيع الفرار بعلمي. كنت أشعر بإثارة كبيرة عند حساب خطوتي التالية، يليها الإحساس بوخز في العمود الفقري بعد الخروج من المتجر سالماً. وفي بعض الأحيان، كنت أسرق من المتجر نفسه مرتين أو ثلاث مرات في اليوم نفسه. أما الأشياء التي لم أكن أهربها إلى منزل السيدة كالتزي، فكنت أمنحها إلى الأولاد في الحديقة العامة أو أترك السكاكر مكسدة في كومات صغيرة خارج مدخل المتجر.

وحيث أصبحت سرقة السكاكر مضجرة جداً، بدلت في سرقة أشياء أكبر حجماً- أي الألعاب. أصبحت متعجرفاً جداً لدرجة أنني كنت أدخل مرات عدة إلى المتجر وأسرق لعبة كبيرة ثم أفسل خارجاً- في غضون أقل من دقيقة. وكان بعض أولاد الجيران الذين سمعوا عن وهيي للسكاكر يتبعونني إلى المتجر ويراقبونني. كنت أحب ذلك الانتباه. وصلت إلى مرحلة راح الأولاد يطلبون مني سرقة الأشياء لهم. وكان همي الوحيد الحصول على فيولهم. كان ذلك شبيهاً بالأبام التي كنت ألعب فيها مع بقية الأولاد الأرباب في منزل العمه ماري. كنت أشعر برضى في داخلي كلما نادى الأولاد اسمي أو لقوا عطي النعيه أثناء توجهي إلى الحديقه العامه. فما أنا الآن أحصل على التنوع نفسه من الانتباه مجدداً.

وكما قررت سرقة شيء ثمين، كنت أصبح شديد التركيز في داخلي. وقبل الغيام بأية خطوة، كنت أتخيل كل جناح في المتجر فضلاً عن التصميم الإجمالي لرفوف الألعاب. كنت أرسم الطريق الأساسية والطرق البديلة للهروب. وفي حال تم كشتي، كانت الخطة الأولى تقضي بابتكار كذبة فيما تعني الخطة الثانية الركض ببساطة مثل المعجون.

في إحدى المرات، فيما كانت مجموعة من الأولاد تنتظرنني خارج المتجر، انحرفت عن خطتي الأساسية وأصبحت مجدداً نصف إنسان ونصف آلة. قضت مهمتي بالسرقة والهروب. أراد جوني جونز تمودجاً عن طائرة B-17 الحربية. قبلت التحدي، وبتفتت بعمق ثلاث مرات متتالية قبل الإمساك بالباب الزجاجي وسحبه نحو

صدري. استطعت سماع الأولاد وهم يهتفون لي، لكني أكرسهم حين أغلقت الباب خلفي. عرفت أن جوني كان يرافقتي في مكان ما في المتجر. فند أراد مشاهدة شجاعتي شخصياً. لكني لم أكرث. فلما ندي هدف لإنجازه.

ولكي لا يلاحظني موظفو الرقابة، تزلت إلى أول جناح مؤد إلى الجهة الخلفية للمتجر، ثم اتعطفت إلى اليمين وأبطأت وتيرتي. تحولت أنذاي بعدها إلى رادار، للتمييز بين أصوات المنسوقين وموظفي المتجر. أبطأت وتيرتي قبل أن أتعطف مجدداً إلى اليمين وأخني رأسي إلى الأسفل لأرى ما إذا كان يوجد أحد خلفي. كانت الطريق خالية. بدأ كخفان قلبي ينسارع حين شاهدت هدفي معروضاً على الرف العلوي للجناح رقم 4. عرفت أن هذه المهمه ستكون تحدياً. ولوهلة شعرت أنني لمست على ما يرام. فكرت في الهروب، لا، قلت لنفسي بعد ثانية. وحين مددت يدي للوصول إلى الرف، سمعت وشعرت أن أحداً يسير في الجناح. ارتعشت لبرهة قبل أن أمدد ساقتي أكثر للوصول إلى هدفي. وبعد لحظة، أمسكت بتيقني عن الرف. ثم أكتشف عن أي أفعال فيما كنت أسير في الجناح، ومررت أمام جوني الذي كشت عن لبئسامة عريضة جداً.

كان صدري يكفكف مثل الطلبة. جاء الآن الجزء الصعب. مباشرة أمامي وجدت الباب المؤدي إلى النصر. أحنيت رأسي قليلاً وأصغيت لسماع أحد خلفي أو أحد يصرخ لي للتوقف. لقد وصلت اللحظة الحاسمة. أصبح وجهي مشدوداً حين وصلت لدفع الباب وفتحه ما بكفي للسماح لي بالانزلاق منه. ففي حال تبنيي أحدهم،

سيتوجب على ذلك الشخص إتقان المزيد من الوقت والجهد لفتح الباب، مما يوفر لي فرصة إضافية للقرار. ابتسمت لنفسي، مذكراً أنني فكرت في كل شيء.

وراء الباب الزجاجي، استطلعت سماع الأولاد يصقون ويصرخون لي. كان جوني قد خرج، وعيانه كبيرتان مثل الفطائر. أوقفت تركيزي لبرهة - وإنما لبرهة فقط - مفكراً في جدوى مخاطرتي الأخيرة لقبولي بين المجموعة. في الماضي، كان الأولاد يضابطونني وبخدعوني في الحديقة العامة ولطالما عرفت أنهم يسفرون متي، لكنني استمررت في الخدع على أية حال. فالحصول على أي نوع من الانتباه أفضل من لا شيء.

رفعت رأسي عالياً وابتسمت فيما أنا أخرج من الباب. في ذلك الوقت، كان الأولاد يضحكون ويدأوا بلفتون الانتباه. ظننت أنني سمعت صوت الباب يفتح خلفي. بدأت بمدّ يدي اليمنى لتسليم الجائزة إلى جوني حين علت صيحات عالية من الضحك. ضحك جوني بشدة لدرجة أن الدموع انهمرت من عيني. فقدت تركيزي وضحكت أنا أيضاً. "داقيد"، صرخ جوني، "أنا أحبك... أوه يارجل، هذا كثير!، تابع قاتلاً. "أود أن أعزقك على والدي". في لحظة، تحولت غمائي إلى كتلتين جامنتين من الجليد. استدرت لأشاهد رجلاً يرتدي سنزة حمراء عليها لصيقة تحمل عبارة "السيد جونز - مدير المنجر". أمسك السيد جونز بالعبة ثم أمسك بقميصي. مشيت أمامه فيما فتح باب المنجر. وحين أغلق الباب الزجاجي خلفي، أدبرت رأسي. شاهدت الأولاد منحنين على دراجاتهم ويصرخون "قاتل! باعلى أصواتهم.

"كنا نراقبك منذ فترة ياداقيد. لقد أخبرني أيتي كل شيء عنك... داقيد".

أغلقت عيني مفكراً في مدى حماقتي. لم أشعر بالأسف على السرقة. عرفت أن ما أقوم به هو خطأ وأنا أقل بهذا الواقع. أدركت حتى أن حظي معدوم. لكن أن يعاقبني والد الولدا كنت أعلم أن جوني نفسه يسرق للسكاكر من المتجر المجاور لوالغريز. كان يجرب بي أن أقهم، قلت لنفسي. أعرف أنه لا يمكن أن يحبوني بمجرد كونني ولداً آخر.

بعد ساعة تقريباً، عدت إلى منزل ليليان. فتحت الباب واستطلعت سماعها تتعص عن الأريكة. وفيما كنت أجز نفسي لأصعد السلم، وقعت ووضعت يديها على وركيها. كان وجهها أحمر اللون.

جلست على كرسي المطبخ قبل أن تبدأ ليليان باستنثاها وعبارةها الغاضبة وملاحظاتنا عن سلوكي الماضي. حدثت ببساطة قبيها، محرراً رأسي كلما شعرت أن الجواب ضروري. حاولت إقناعها بأنني أسف فعلاً. وحين نلقت الكلمات، بدت عقوبة جداً. توجهت بعد ذلك إلى غرفتي حيث استلقيت على سريري محذقاً في السقف. بقيت محاصراً لأسبوع. صفة كبيرة، قلت لنفسي.

بعد لحظات قليلة من عودة رودي إلى المنزل، وقعت أمامه. تدهدت بهدوء. الجولة الثانية، قلت لنفسي.

"لا أعرف ما الذي دهاك"، بدأ رودي، "لكني سأقول لك هذا. أنا لا أتعاطى مع سارق. أعرف أنني تقاضيت عن بعض الأمور، وأعرف أن ليليان متساهلة بعض الشيء معك. أستطيع القبول بذلك.

أعرف أيضاً أنك مررت في بعض الأوقات الصعبة... لكنني لن  
أفعل ذلك بعد الآن - كلامك البذيء، الشجار، الضرب، الصراخ،  
الاتصالات من أمك، إغلاق الأبواب بقوة في أرجاء منزلي. هل  
تعرف الآن كم تكلف الأبواب؟ هل تعرف؟  
هزئت رأسي للفول لا.

"حسناً، إنه أكثر مما ستجنيه طوال عمرك. أنا أعمل بكذ، وأحبكم  
أيها الأولاد. لكنني لا أحتاج إلى حفاظتك. أتسمعي؟" صرخ رودي.  
أومأت برأسي مجدداً، مدركاً أن رودي لا يهتم.  
"أنت أنت الشخص الذي يسرق مجائري؟"  
ارتفع رأسي إلى الأعلى. "لا، سيدي!"  
"وتتوقع مني أن أصدقك؟" صرخ رودي. "إذا سمعت أنك تسبب  
المزيد من المشاكل... سأسلك إلى الإصلاحية".

أشرق وجهي. "الإصلاحية؟"  
"أوه! الآن أثرت لتنبأهك. إسأل من حولك". استدار رودي.  
"إسأل لاري جونيور هنا. لقد أخذته إلى الإصلاحية مرة أو مرتين،  
لنيس كذلك بالآري؟"

كشف لاري جونيور، الذي كان ينف وراء رودي، عن وجه  
جدي ومزعور. "صحيح، يا بابا"، قال بصوت خائف، فيما أحنى  
رأسه.

"لا أريد أن- أنت ما تزال صغيراً- لكنني سأضعك في السيارة  
وأخذك بنفسني. فإن كان من أمر لا أحتمله فهو الكذب والسرقة!"  
قال رودي فيما اقتربت ليليان منه. "وتستطيع ليليان البكاء قدر ما

نشاء، لكن الحال ستكون كذلك في هذا المنزل. هل أنا واضح أبها  
الشباب؟"

أومأت برأسي.  
"هل أنت كبير جداً لدرجة أنك لا تستطيع القول نعم أو لا؟"  
صرخ رودي عالياً.

"نعم، سيدي"، قلت ببرة نحدي. "أنا أفهم".  
جلست في غرفتي قلماً. نعم، قلت لنفسني، أنا محاصر. صفقة كبيرة.  
لم أكن غاضباً من رودي أو ليليان بسبب صراخهما علي، ولا حتى من  
هزة جوني وبقيّة الأولاد مني. كنت غاضباً لأنني سمحت لنفسني  
بالتخلي عن حمري. رافيد! صرخت لنفسني. كيف أمكنك أن تكون غيباً  
بهذا القدر؟ فزت من ثم عن السرير وبدأت أمشي على الأرض  
وشعرت بالمزيد من الغضب حيال كل شيء في حياتي.

في يوم السبت، لم أبذل الكثير من الجهد في واجباتي المنزلية.  
نظفت المنزل بطريقة لامبالية وبالكاد نزعنا الغبار عن الأثاث.  
وبعد إتمام الواجبات، أخذ رودي ليليان إلى المنجر للتسوق. بغيت  
لوحدي وجلست على كرسي رودي الهزاز مقلّبة محطات التلفزيون.  
فقدت الاهتمام بسرعة حين أدركت أن المحطات تعرض كلها  
الرسوم المتحركة.

نزلت عن الكرسي وتوجهت إلى نافذة غرفة الجلوس، محدقاً في  
الخارج. فكرت في أن أبي قد يزورني غداً. وبعد بضعة لحظات،  
ضحكت في قرارة نفسي، مدركاً أنني أحرق تماماً. فجأة، لفت  
انتباهي مشهد ولد يجوب الشارع على دراجته.

من دون تفكير، دخلت إلى غرفة نومي، وأفرغت المال الموجود في وعائي الزجاجي وأسكتت بالمسرة قبل النزول إلى الأسفل. ركبت بكل فخر على دراجتي وأغلقت الباب عمداً بكل قوة، لقد قررت الهروب.

شعرت بثأرة كبيرة فيما كان الهواء القوي يلفح وجهي، ورحلت أجوب الطرقات المؤدية إلى مدينة دالي ومسرح السينما ميرلمونتي. بعد الوصول إلى هناك أوقفت دراجتي وشاهدت فيلم جايمس بوند ثلاث مرات متتالية قبل التملك إلى العروض الأخرى. في وقت لاحق من ذلك المساء، طردني حارس السينما خارجاً لأنه يريد إقبال المسرح. بدأت حقيقة قراري تبرز تدريجياً. ركبت على دراجتي وارتعشت من الضباب البارد الذي اخترق كل ثيابي. وحين بدأت معدتي تدمدم، أخرجت المال من جيبتي لأجد أن مذكراتي بلغت 2.30 دولار فقط. أعدت المال إلى جيبتي وأسكتت جوعي، مركزاً بدل ذلك على إيجاد ماوى. وللبقاء دافئاً، ولصلت الركوب على دراجتي. وبعد أن اجتازت المنازل المظلمة في الجوار، أكرت أن الساعة تجاوزت الحادية عشرة والنصف ليلاً.

في وقت لاحق، نزلت عبر الشارع المؤدي إلى مدرستي الابتدائية القديمة. مررت أمام الملعب وأصغيت إلى أصوات الأرجيح تتساقط بفعل الهواء. صنعت بعد ذلك على دراجتي إلى مضخة جادة البولية الشرقية. وحين وصلت إلى أعلى جادة كروستالين، مثلما فعلت قبل بضعة أسابيع، اختبأت خلف مجموعة من الأشجار المنخفضة فيما رحت أحتق في الشارع المليء بالضباب.

لم أستطع مقاومة رغبتى في نزول الشارع. توقفت قبل بضعة منازل من منزل أمي. شاهدت ضوءاً أصفر باهتاً منبعثاً من نوافذ غرفتها. تصابعت ما إذا كانت أمي تفكر بي مثلما أفكر بها. بدأت أفكر في كيفية تمضية إخوتي لأوقانهم في منزل أمي. هب هواء قوي عبر شعري. رفعت ياقة قميصي. أدركت أن المنزل الذي أنجس عليه ليس المنزل نفسه الذي استقبل جيشاً من الأولاد حين كانت أمي مسؤولة في الكشف، أو المنزل نفسه الذي كان المنزل الأكثر شعبية في الجوار خلال فترة عبد الميلاد، قبل أعوام عدة. بعد أن أطفأت أمي مصباح غرفة نومها، ثوت الصلاة قبل النزول عبر الشارع للعودة إلى مسرح السينما. في تلك الليلة، نمت ملتقاً حول نفسي. ولنا أرتعش تحت جهاز تكييف.

في اليوم التالي، أمضيت النهار بأكمله في مسرح السينما ونمت أثناء عرض فيلم للتين لبروس لي. في ذلك المساء، وبعد إغلاق مسرح السينما، توجهت إلى المطعم المحلي حيث مال تعبى حين شاهدت أطباق الطعام معروضة على الرف. جاء المدير، الذي كان يراقبني منذ يومين، وجلس معي وتحدث إلي. وبعد دقائق قليلة من المفاوضات، أعطيته رقم هاتف آل كاتنزي. التهمت قطعة همبرغر قبل أن يأتي رودى لاصطحابي بسيارته الكرايزلر الزرقاء. 'دافيد' بدأ رودى، 'إن أرعجك. كل ما أستطيع قوله هو أنك لا تستطيع الاستمرار في مثل هذه التصرفات. ما من طريقة للعيش- لك أولنا. عليك اتخاذ موقف معين'.

حين وصلنا إلى منزلهما، استمعتنا بسرعة ثم خلدت إلى النوم



فيما ناقش رودى وليليان كيفية حلّ مسألتى.

فى اليوم التالى، جاءت الأنسة غولد. لم تبدو مثلاً كانت قبلاً، ولاحظت أنها نسيت معافقتى. "دافيد، ما هي المشكلة هنا؟"، سألتنى بصوت حازم.

رحت ألعب بيدى فيما حاولت تفادى النظر إلى الأنسة غولد. "ماذا لا تأتين أبداً للزيارة؟"

"دافيد؟ نعرف الآن أن هناك الكثير من الأولاد أمثالك الذين يحتاجون أيضاً إلى مساعدتى. أنت تفهم ذلك، أليس كذلك؟"

"نعم، سيدتى"، قلت موافقاً. شعرت بالذنب لأنى أسرق وقت الأنسة غولد من بقية الأولاد، لكنى اشتقت إلى رؤيتها تماماً مثلاً فعلت قبل المحاكمة.

"دافيد، أخبرتني السيدة كانتزى أنك تواجه مشكلة كبيرة فى التكيف هنا. ألا تحب المنزل؟ ما الذى يجري داخله؟ أين هو الصبي الظريف الذى عرفته قبل بضعة أسابيع؟" حنكت فى يدي. كنت محرجاً جداً للإجابة.

بعد دقيقة صمت قالت: "لا تقلق. أعرف كل شيء عن الطبيب النفسى. ليست غلطتك. سوف نعتز لك على واحد متخصص فى شؤون الأولاد...."

"لست ولداً. أنا فى الثانية عشرة وتعبت من الإزعاج!"، قلت بصوت بارد. توجّب على التقاط أنفاسى قبل الكشف عن جانب آخر من شخصيتى، لم يكن موجوداً أبداً حتى وقت غير بعيد.

"دافيد، لم ألت غاضب جداً؟"

"لا أعرف يأنسة غولد. فى بعض الأحيان، أنا...."

اقتربت الأنسة غولد منى بعد أن كانت جالسة فى الطرف الآخر للأريكة. رفعت ذقنى بأصابعها فيما مسحت أنفى الجارى. "هل تمام كفاية؟ لا تبدو على ما يرام. ألا تحب العيش هنا؟"

"نعم سيدتى"، أومأت برأسى. "أحب هنا كثيراً. للسيدة كانتزى لطيفة فعلاً. لكن فى بعض الأحيان... أشعر بالخوف. أحاول إخبارها، لكنى لا أستطيع. هناك الكثير من الأمور التى لا أفهمها، وأريد أن أعرف السبب."

"دافيد، أعرف أن هذا الأمر قد يكون صعباً عليك، لكن ما تشعر به الآن، فى هذه اللحظة بالذات، هو طبيعى جداً. ولو لم تكن مرتبكاً لو قلتماً بعض الشيء، لكنك شعرت بالخوف. أنت على ما يرام."

"لكن ما يثقلنى الآن هو ملوكك. أعرف أنك أفضل مما تتصرف فى الآونة الأخيرة. هل أنا محفة؟ وليس السيد كانتزى راضياً عنك فى الوقت الحاضر، أليس كذلك؟" "إذاً، أنا على ما يرام؟"

ابتسمت الأنسة غولد. "نعم، أستطيع قول ذلك مبدئياً. ما زال علينا التخلص من بعض المشاكل، لكن إذا استطعت تغيير ملوكك، ستكون على ما يرام. هل تريد الآن طرح أية أسئلة على؟"

"نعم، سيدتى.... هل سمعت أى شيء عن والدى؟" رفعت الأنسة غولد حاجبيها. "لم يأت للزيارة؟ كان يفترض به لغاؤك قبل بضعة أسابيع"، قالت فيما بدأت تفنح مفكرتها. "أومأت برأسى للقول لا. لقد كتبت له بعض الرسائل، لكن أظن

لني لا أملك العنوان الصحيح. فأننا لا نلتقي الأجوبة... ولا أملك رقم هاتفه. هل تعرفين ما إذا كان والدي على ما يرام؟  
ابتلعت بصعوبة. "حسناً... أنا... أعرف أن والدك انتقل للعيش في منزل آخر... وتم نقله إلى مركز عمل مختلف".  
لنهمرت الدموع على وجهي. "هل أستطيع الاتصال به؟ أريد فقط سماع صوته".

"عزيزي، أنا لا أملك رقمه. لكنني أعدك بأنني سأحاول الاتصال بوالدك بأسرع وقت ممكن. سأحاول الاتصال به اليوم. هل هذا ما دفعك للذهاب إلى منزل أمك ومحاولة الاتصال بها قبل بضعة أسابيع؟"

"لا أعرف، أجبني. لم أخبر الأئمة غولد عن مروري قرب منزل أمي ليلة السبت الفائت. ألا يسمح لي الاتصال بها؟"  
"دافيد، ماذا تتوقع؟ إلى ماذا تسعى؟" سألت بصوت خافت فيما بدت هي أيضاً تبحث عن الأجوبة.

"لا أفهم لماذا لا يسمح لي بمشاهدتها هي أو الأولاد أو التحدث إليهم. ماذا فعلت؟ أريد فقط أن أعرف... لما حدثت الأمور على هذا النحو. لا أريد أن أصبح مثلاً هي الآن. يقول الطبيب النفسي أنه يجدر بي كره أمي. قل لي ماذا يجدر بي أن أفعل".

"حسناً، لا أعتقد أنه يجدر بك كره أمك، أو أي شخص آخر بسبب هذه المسألة. كيف أستطيع قول ذلك... وضعت الأئمة غولد إصبعيها على فمها وحققت في السقف. دافيد، أمك هي حيوان مجروح. أنا لا أملك جواباً منطقياً عن سبب تغييرها ترقيم هاتفها أو

عن سبب نصرتها على هذا النحو. سحبتني إلى جانبها. دافيد، أنت ولد صغير - أضرتني أنت شاب في الثانية عشرة - يشعر ببعض الارتباك ويفكر كثيراً في بعض الأمور فيما لا يفكر أبداً في أمور أخرى. أعرف أنه يجدر بك التفكير مسبقاً لتتمكن من الصمود، لكن عليك التخلص من ذلك. قد لا نعتبر أبداً على أجوبتك، ولا أريد أن يميزك ماضيك. لا أعرف حتى لم تحدث هذه الأمور للأولاد، وقد لا أعرف أبداً. لكنني أعرف أنه يجدر بك نواحي الحذر حيال ما تقوم به الآن، اليوم، بدل محاولة العثور على أجوبة لماضيك. سوف أساعدك قدر المستطاع، لكن عليك بذل مجهود كبير للحفاظ على نفسك".

عانقتني الأئمة غولد لوقت طويل. سمعت شهيقاً وشعرت بجسمها يرتجف. التفتت للنظر إليها - إلى مساعدتي الاجتماعية الطيبة لماذا تبكين؟" سألتها.

"حبيبي، لا أريد أن أخسرك"، قالت وهي تبتسم.

ابتسمت لها أيضاً. "لن أهرب مجدداً".

"حبيبي، سأكرر لك ذلك مرة أخرى. عليك أن تكون طيباً جداً جداً. لا أريد أن أخسرك".

"سوف أكون طيباً. أعدك"، قلت لها محاولاً طمأنه ملاكي.

بعد زيارة الأئمة غولد، عدت إلى ذاتي المرحلة الاعيادية. شعرت مجدداً بالطمأنينة في داخلي. لم أفكر في الطبيب النفسي المتخل، وبذلك جهداً إضافياً للتسليم مع لاري جونيور، وأنجزت واجباتي بكل فخر. لم أكرث حتى لحصاري. كنت أنزل ببساطة إلى الأسفل، وأقترض بعضاً من شمع السيارات القديم لفصل

ندراجتي من البداية حتى النهاية. حافظت على ترتيب غرفتي، وانتظرت بفارغ الصبر تغيير الوثيرة وبدلية للسنة الدراسية.

حين بدأت المدرسة، اعتزلت الناس بعدما شاهدت بقية الأولاد في صفي يتباهون بتيابهم الجديدة وأقلامهم الملونة. وخلال للفرصة، ذهبت إلى الملعب العشبي وراقبت بعض الأولاد وهم يلعبون كرة القدم. أثرت رأسي لبرهة وجاءت كرة القدم لترطم بوجهي بعد ثائية. فيما رحلت أفرك خدي الأيمن نتيجة الضربة، سمعت صوت ضحك. "هاي، يارجل"، صرخ الولد الأكبر، "إرم لنا الكرة". شعرت بالعصبية حين التحيت لرفع للكرة. لم أرم كرة قدم من قبل. عرفت أنني لا أستطيع رميها بطريقة جيدة. حاولت تقليد بقية الأولاد فيما حبست أنفاسي ورميت الكرة. تمايلت الكرة مرات عدة قبل أن تعالود المقنوط على مسافة بضعة أقدام مني.

"ما الأمر أيها الرجل"، قال ولد فيما كان يرفع الكرة. "الم ترم كرة قدم من قبل؟"

وقبل أن أستطيع الإجابة، جاء ولد من صفي. "نعم... إنه الولد الذي كنت أخبر الرفاق عنه. راقب ثيابه وحدأوه أيضاً. يبدو كأن أمه تلعنه أو ما شابه. هذا الولد هو أحقق فعلي؟"

من دون تفكير، مددت ذراعي وتأملت مظهري. كنت فخوراً بقميصي الأزرق. كشف سروالي عن رقعة في كل ركبة وكان حذقي الرياضي بالياً بعض الشيء، لكنه ما زال جديداً بالنسبة إلي. وبعد تأمل مظهري، راقبت بقية الأولاد اللتين بدوا جميعاً أنهم يملكون ثياباً أفضل وأحدثية أجمل. كان بعضهم يرتدي كنزات موداء

مميكة. حذقت في نفسي مجدداً وشعرت بالخجل. لكني لم أكن واقعاً من السبب.

أصبحت في الصف ولداً عصيباً كلما ناداني الأستاذ. وفي بعض الأحيان، كنت ألقأى أمام الجميع. بعد ذلك، كان يعد أولاد كرة القدم إلى تقليدي فيما أجلس في مقعدي محاولاً الاختباء من ملاحظاتهم. ولثناء صف الانكليزي، كنت أكتب دوماً قصة عن كيفية انفصالي عن إخوتي وعن كفاحنا للعثور على بعضنا. كنت أرسم دوماً صوراً تجسنتي أنا وإخوتي منقصلين عن بعضنا بواسطة جسم مائي ضخم أو منحدرات موداء مستنة. وفي كل رسم، كنت أستعمل أفلام أسناتني وأرسم لبسائمت عريضة على كل وجه، وممساً علاقة سعيدة تسطع فوقه وفوق إخوتي الأربعة.

في إحدى المرات، لثناء العودة من المدرسة إلى المنزل، راح اثنان من أولاد كرة القدم يزجانني بشأن استعمال الأقلام. أردت توبيخهما بشدة، لكني أدركت أنني سأفقد الأمر أيضاً. لذا، هربت وشعرت بالأسى. التفتيت سريعاً بولد آخر من صفي اسمه جون. كان جون مكتوباً مثلي. كان شعره طويلاً وأسود اللون ويرتدي ثياباً يائية. اشتهر جون بمشيته المميزة، وأدركت فجأة أنه ما من أحد يضايقه. ولثناء توجهي إلى جون، لاحظت سيجارة في يده. "هاي"، قال جون، "أنت الولد الجديد في المدرسة؟"

"نعم"، أجبته وأنا أشعر بالتحير فيما بدأنا نعيش مع بعضنا. "لا تتلق بشأن هؤلاء الأولاد"، قال جون وهو يؤشر خلفه. "أعرف ما معنى الإزعاج. فقد اعتاد أبي على ضرب أمي وضربي."

إنه لا يعيش معنا بعد الآن". أنكرت بسرعة موقفه الخشن. راح جون يشرح لي أن أهله تطلقاً للتو وأن أمه تعمل دواماً كاملاً لإطعامه مع إخوته. شعرت بالأسى حياله. وفي نهاية الزاوية، قلنا وداعاً لبعضنا. وفيما كنت منوِّجة إلى منزل ليليان، تذكّرتني إحساس البرد بمدى خوفي من العودة إلى المنزل من المدرسة.

التقيت جون في اليوم التالي في ملعب المدرسة أثناء القرصة. بدا متزعجاً جداً لأن أساتذتنا وبخه أمام الصف لأنه لم ينجز فرضه المنزلي. تباهى جون أمامي وأمام رفيقين آخرين بأنه سينتقم من الأستاذ. بدا كأنه يصون كلماته حين التحيت صوبه لسماع خطته.

"هاي، يارجل، لن تشي بي، أليس كذلك؟"

"أبداً"، قلت له.

"حسناً. عليك أن تكون فرداً من عصابتي لتستكع معي. سأقول لك أمراً. سوف تلاقينا في موقف السيارات بعد المدرسة. سأخبرك الخطة عندئذ".

قبلت بتحدى جون، وأنا مدرك بأنني أتورط في مشكلة. كان يتصرف بخشونة دوماً في الصف. وحتى أولاد كرة القدم بغوا بعيدين عنه. وفيما غصت في أحلام اليقظة داخل الصف في ذلك اليوم، فكرت ألف مرة في التملص. قلت لنفسي إنه حين يرن الجرس في نهاية اليوم، سأبقى في الخلف وأكون آخر شخص يغادر. سأتمسك بعدها خلف موقف السيارات ولا ألقى الأولاد. وفي اليوم التالي، سأقول لجون إنني نسيت.

حين رنّ الجرس بعد ظهر ذلك اليوم، رفعت غطاء مكتبي كما

لو أنني أبحث عشوائياً عن شيء ما. سمعت أصوات أقدام الأولاد وهي تتأدّر الصف. وحين شعرت أنني في أمان، أغلقت غطاء المكتب ببطء... وشاهدت جون واقفاً أمامي. تنهّكت بعمق، وقلّبت بحقيقة ذهابي معه. رفع جون ياقة سترته السوداء. وفي موقف السيارات، كان صديقا جون يتملّنان بعصية فيما يحاولان هما أيضاً الحفاظ على هدوئهما.

"هذه هي"، قال جون. لقد قررت أن الولد الجديد هنا جيد كقابلة للانضمام إلى عصابتنا. سوف ينكس دواليب السيارة الجديدة التي اشتراها الأسناذ سميت. وأعني بالدواليب اثنين أو أكثر. قال فيما كان يحدث في عيني. "بهذه الطريقة، لن يتمكن سميت من استعمال الدوايب الاحتمالي. فكرة ذكية، أليس كذلك؟"، ضحك جون.

استدريت بعيداً عنه. عرفت أنه حين سرقت الواح السكاكر والألعاب من المتاجر، كنت مخطئاً. لكنني لم ألق الأذى قط بملكية أي شخص قبلاً. ولن أفعل ذلك الآن. شعرت بالنظرات المزدخنة حولي. ابتلعت بصعوبة. "جوش، جون... لا أظنّ فعلاً أننا...".

فيما تحوّل وجه جون إلى اللون الأحمر، تخسلي في ذراعي. "هاي، أيها الرجل، قلت إنك نريد أن نكون صديقي وتتضمّن إلى عصابتي، أليس كذلك؟"

اقترب بعض الأولاد مني. أوما الولدان الآخرون برؤسهما إيجاباً. "نعم، يارجل، لا بأس. سأفعل ذلك. لكنني أصبح بعدها في العصاية ولن أضطر لفعل مثل هذا الأمر مجدداً، أليس كذلك؟" قلت بصوت خافت، فيما سيطر الخوف على جهودي الضعيفة لأبدو قوياً.

ربت جون على كتفي. "أترون؟ لقد قلت لكم! لا بأس بهذا الولد!" شعرت بانقباض في عيني ووجهي. أصبحت بارداً من الداخل. "لفعل ذلك؟"، قلت بصوتي الشرير الجديد.

أخذني جون إلى سيارة جديدة صفراء اللون. أوما إليّ فيما كان يبعد نفسه عن ساحة الجريمة. ضحك الولدان الآخران فيما كانا يتبعان زعيمهما.

تهدّدت بعمق وركعت على الأرض، من دون أن أصدق ما أقوم به. شعرت بخفقان قلبي يتسارع. أردت النهوض والهرب، لكنني عجزت عن ذلك. هيا، قلت لنفسي. *افعل ذلك! هيا!*

نفحصت المكان جيداً قبل أن أحاول فك برغي الغطاء المطاطي للإطار. وبعد بضعة ثوانٍ، بدلت أصابعي ترتجف، فيما الغطاء العطاطي لا يزال موجوداً. شعرت أن كل العيون تنظر إليّ، فيما كانت أصوات بنية الأشخاص وهم يغلفون أبواب سياراتهم تتردد فوق رأسي.

وأخيراً، وقع الغطاء العطاطي على الأرض. مسحت فوراً قلم الرصاص من جيبي الخلفي. التفتت إلى الخلف ونظرت في عيني جون. كان وجهه مشدوداً، ورفع حاجبيه ليخبرني عن مدى خيبة أمله بأدائي. قال لي جون من ثم: "هيا، تحرك!"

أخذت نفساً سريعاً قبل غرز طرف قلم الرصاص في الإطار. بدا كأن الهواء ينفجر فيما يخرج من الفتحة الصغيرة. عرفت أنه باستطاعة الجميع سماع ما أقوم به. ترددت لبرهة فيما أنا أبحث عن جون الذي أوما إليّ بالمتابعة. شعرت أن الخوف يسيطر عليّ. لا!

صرخت لنفسي. *هذا خطأ!* أخرجت قلم الرصاص من الإطار، ثم نهضت وتجاوزت جون الذي أمرني بإنهاء المهمة. لكنني مرتت بسرعة أمامه فيما أنا خارج من موقف السيارات. وبخني جون والعصابة بسخريّة طوال الطريق إلى أن اتعطفوا نحو الزاوية المؤدية إلى منزل جون.

في اليوم التالي، استمرت سخريّة جون. وفي ملعب المدرسة دفعتني على الأرض من دون إنذار. وفيما حاولت النهوض، تحلّقت دائرة من الأولاد حولنا. "قال! قال!" بدأوا يرددون. ألبّيت رأسي منحنياً نحو الأسفل فيما حاولت اختراق المجموعة. انهمر عليّ وإبل من الشتائم.

في غضون دقائق، بدا أن المدرسة بأكملها علمت بشأن خيائتي لجون وعصابته. شعرت بوهن أسوأ من ذلك الذي اعتراني في مدرسة توماس إيسون الابتدائية.

في صباح اليوم التالي، اختلقت مجموعة من الأعداء عن مرضي أمام نيليان كي لا أذهب إلى المدرسة. لم أخبرها أي شيء عن جون أو عن مشاكلي الاجتماعية في المدرسة. فإذا فعلت ذلك، أعرف أن رودى والآسة غولد سيغضبان مني.

وبعد بضعة أسابيع على الحادثة، اعتذرت من جون وعصابته. وللتعبير عن صداقتي، أهديت جون علبة من سجاير مارلبورو كنت سرقها في اليوم السابق. "حسناً، أيها الولد"، ابتسم جون. "تمامحك أنا والأولاد على جبنك، لكن عليك الانضمام إلى مجموعتنا".

أومات برأسي وتذكرني عقلي بكل الروايات التي سمعتها عن

جون وطريقة تعذيبه وركله للولدين الآخرين في العصابة حتى  
بمفطان أرضاً. شاهدت نفسي ووجهي مليء بالدم، فيما نظراتي  
مكسورة وأسناني مسحوقه. حدثت في عيني، وجعلت نفسي أبدو  
مثل الولد الفاسي. 'حسناً، أيها الرجل، أستطيع القول بهذا'، قلت  
بنعومة.

"لا يارجل"، قال جون فيما كان يعرض سيجارته غير المشتعلة.  
"لدي شيء خاص لك. أصبغ إليّ جيداً. لقد سمعت من السيد سميت.  
يظن أنه قوي لأنه الأستاذ. لقد كتب رسالة إلى أمي، وهي تضايقتني  
بمبيه. لذا... أقول... دعنا نحرق صفلاً!"

"فتحت فمي على الملأ، 'لا، أيها الرجل، أنت... لست جاداً؟'  
"هاي، أنا لا أطلب منك فعل ذلك. أنا أقول فقط إنه يجدر بك  
تأمين الحماية لي. هذا كل شيء. لا أستطيع الاعتماد على هؤلاء  
المتغلبين... لما أنت... فيلي". فجأة، تغير صوت جون. "وإذا وشيت  
يوماً بي، سوف أقتلك". بعد أقل من برهة، غيّر جون نبرته مجدداً.  
"أيها الرجل، لا تخف. أنا لا ألتحد عن تنفيذ الأمر اليوم. ما عليك  
سوى التواجد هنا حين أحتاجك. موافق؟"

"نعم، ليها للرجل"، أومأت برأسي. "سوف أساعدك. أنا موافق".  
مشيت بعيداً وأنا أقول لتفسي إنه يتصرف فقط بفظاظة. فلا يمكن لأحد  
أن يحرق مدرسة، طمأنت نفسي. لكن ماذا لو كان جاداً؟ ماذا يجدر بي  
أن أفعل؟ لا يجدر بي إخبار السيدة كاتتري ولا الأستاذة. لكن في أية  
حال، لن أبلغ عن جون. ليس لأني أريد أن تكون لطيفاً، وإنما بسبب  
الخوف من المعاملة الفاسية والعيش في الإذلال في ما بعد.

حاولت تقادي لقاء جون في الأيام القليلة التالية، فيما راح يجدد  
وعده بأنه سيعلم الأستاذ درساً عما قريب. ومع مرور الأسابيع،  
بدأت أظن أن جون بكفتي بالتبجح ليحظى بانتباه أي شخص يصني  
إليه. وفي بعض الأوقات، حين كنت تحشد مجموعة كبيرة من  
الأولاد، كنت أتيجح أنا أيضاً قليلاً إننا وضعنا أنا وجون "الخطأ"  
التي ستظهر مدى قوتنا لكل من في المدرسة. وكلما كنت أتيجح  
أكثر، كانت المجموعة تكبر. شعرت بالذهول لأن الأولاد الذين كانوا  
يسخرون مني قبلاً باتوا يعلنون اليوم أهمية على كل كلمة أقولها.  
وبعد أيام من مرد الروايات، اخفتي تورط جون من المسألة ووجدت  
نفسي أقول إنني سأكون أنا الشخص الذي سينفذ الخطأ.

مرت الأسابيع ونسيت أمر الخطأ إلى أن جاء إليّ جون في أحد  
الأيام بعد انتهاء المدرسة، وهو يكشف عن نظرة عميقة وباردة في  
عيني، وطلب مني ملاقاته مجدداً في المدرسة بعد ساعة. شعرت  
بان شيئاً غلق في حضرتي. "حسناً، يارجل، سأعود"، قلت له قبل أن  
أستطيع التفكير في عذر. وبعد ساعة تقريباً، فيما كنت أدخل إلى  
أرض المدرسة، تمتعت لو يكون غير رأيه.

كانت راحة الأوربان المحترقة تملأ الفاعة. بدأت بالركض وأنا  
أتبع الدخان فوجدت نفسي متوجهاً إلى الأسفل. وبعد ثوانٍ، وجدت  
جون محتبياً فوق كنحة صغيرة فيما الدخان الأسود يخرج منها.  
وقفت وأنا غير مصدق لما يجري. لم أظن يوماً أنه قد يفعلها.

"جون!" صرخت

ارتفع رأس جون إلى الأعلى. بإلهي، أيها الرجل، أين كنت؟

تعال... ساعدني!" وقتت وراءه، علماً أنني لا أزال غير واثق من نفسي. "هيا، يارجل، ساعدني! ساعدني في إخماد النار!" قال باكياً.

توقف دماغي عن العمل إلى أن حاولت تنظيم أفكاري فيما استمر الدخان في التصاعد من الفتحة. سيطر الرعب على وجه جون. وبعد ثوانٍ قليلة، سقط إلى الخلف. "لا مجال يارجل! إنها خارج السيطرة! هيا بنا، لنذهب!" وقبل أن أستطيع الإجابة، شامت ظله يختفي في القاعة.

انحنيت فوق الفتحة وبرمت رأسي وأنا أسعل من الدخان الأسود. بدأت تظهر نيران حمراء برتقالية. امسكت بلمح البصر بعلبة سائل القداحة التي تركها جون وأخرجتها من الفتحة. وفيما كنت أسحب العلبة، ضغطت عليها بشدة لدرجة أن دفقا من السائل خرج من العلبة متوجهاً نحو يدي، فامتألت هذه الأخيرة بمائل عديم اللون. ظننت لبرهة أن العلبة ستفجر وكذلك هي يدي اليمنى. رميت العلبة خلفي وبحثت عن المساعدة. بدا لي الوقت متوقفاً إلى أن سمعت أخيراً صوت أحذية صغيرة تعبر القاعة. توقفت فتاة صغيرة على مسافة أقدام متني ثم حثقت ببلة. "أطلبني المساعدة!" صرخت لها. "إضغطي على جرس الإنذار! إضغطي على جرس الإنذار!" وضعت الفتاة الصغيرة يدها على فمها للصغير. "هيا! أمرتها. تحركي!"

أضمت الفتاة عينيها بسرعة. "لوه... أنا أقول"، نعمت الفتاة الصغيرة قبل أن تذهب بسرعة. وبعد لحظات، سمعت صوت جرس الإنذار. استعملت كلا يدي لغرف الحصى والحجارة ووضعتها فوق اللهب. فقد كنت أعلم أن للحريق يحتاج إلى الأوكسجين ليصبح أقوى،

وإذ لك حرصت على نكتيس ما يكفي من الحصى لخلق الحريق.

وحين شاهدت كومة الحصى الكبيرة تخفق اللهب، تراجعت إلى الخلف لمراقبة سحب الدخان الرمادية وهي ترتفع. مسحت العرق عن وجهي بيدي الملتصقين بالسواد. استدار رأسي إلى اليمين حين سمعت أحدهم يصرخ: "من هنا! نفذ أخمد الحريق!". شعرت بالخوف بدباً في عمودي الفقري. وبعد لحظات قليلة، ركضت بأقصى سرعة إلى الشارع فيما كانت أصوات سيارات الإطفاء تخترق أذني. لوحت للسيارات متلما اعتدت دوماً. ابتسم لي أحد رجال الإطفاء الذي كان واقفاً عند طرف إحدى السيارات ولوح لي. في صباح اليوم التالي، التقيت جون عند زاوية منزله. اتفقا معاً على إنكار أي تورط لنا في حريق الأسر، وذكرني مجدداً بتهديده. "بالإضافة إلى ذلك"، قال جون بإبتسامة عريضة، "أنت الآن فرد من العصاية. أنت نائب الرئيس".

شعرت أنني في قمة العالم إلى أن دخلت إلى الصف. التفتت كل الرؤوس نحوي حين نهض أستاذ الصف السادس، السيد سمبث، عن مكتبه وأمسك بذراعي وأخذني إلى مكتب المدير. "كيف أمكنك فعل ذلك؟"، سأل أستاذي. "لم أتوقع أبداً شيئاً كهذا منك".

جلست لاحقاً أمام المدير الذي أبلغني أنه سيتصل بالشرطة ورئيس الإطفائية وباهني بالرعاية. لم أفكر سوى في وجه رودني. قبل أن تقول أي شيء، قال المدير، تم التأكد من أنك مسبب الحريق... "لا"، صرخت عالياً. "لم أفعل ذلك! صدقاً سبدي!" "حقاً؟"، ابتسم المدير. "جيد. أصدقك. أرني يديك".

مددت له ذراعِي، غير واثق من نوابها المديرة. انحنى فوقِي وأمسك بِيدي، ثم فرك الشعر القصير في يدي المحترقتين. "أظن أني شاهدت ما يكفي"، قال فيما رد لي ذراعِي.

"لكني لم أفعل ذلك!"; بدأت أبكي.

"انظر إلى نفسك، ما زلت أسطيع شم رائحة الدخان منك. لديّ بيانك من الأستاذة تؤكد أنك كنت الولد الذي يتأخر دوماً بهذا الشيء نفسه، بالإضافة إلى ذلك، تبين أن والدك بلغالي. لا تحتاج إلى قول أي شيء آخر. سوف تكون الشرطة هنا قريباً، وبمكتبك لإخبارهم الفصّة. اطلب منك الانتظار في الغرفة الأخرى. لديّ بعض الاتصالات لأجربها"، قال المدير فيما توح لي بيده.

أغلقت الباب خلفي وبدأت بالجلوس. شعرت باستياء السكرتيرة العجوز. أومأت لها براسي فيما كنت أجلس في مقعدي. وجهت إليّ نظرة استياء قبل أن تتفخ في وجهي وتستدير. "ولد ربيب! لا تحتاج إلى نوعك!"

لمسكت بذراعي الكرسي وقفزت عن مقعدي. أعرف ما هو رأيك بي أكلكم! لكن أعلمي هذا. أنا لم أرتكب ذلك!"; صرخت في وجهها فيما أغلقت الباب بقوة خلفي. بعد لحظة، شاهدت المدير يخرج بسرعة من مكتبه، ملوْحاً بفرضته لي. من دون تفكير، هربت من المدرسة ولم أتوقف إلا عند الوصول إلى أسفل الهضبة بمحاذاة منزل جون. تسلفت السور واختبأت في الحديقة في انتظاره.

يارجل، هذا رائع! لقد نجحت في الفرار!، قال جون حين لكشف أنني أطرق على بابهِ الخلفي بعد ساعات عدّة.

"ماذا؟"، قلت متعجباً.

"أيها الرجل، بظن الأولاد في لمدرسة أن الشرطة جاءت لاعتقالك وأنت ضربتهم وهربت. هذا كثير يارجل!، قال وهو عاجز عن ضبط نفسه. "يظن الجميع أنك قوي جداً!"

"انتظر دقيقة، يارجل! توقف! انتظر!، صرخت قاطعاً طريقه. "يظن المدير أني فعلت ذلك. يظن أني أشعلت النار وأني أنا المسؤول. عليك أن تساعدني يارجل. عليك إخبارهم الحقيقة!"

"لا مجال لذلك يارجل"، قال جون وهو يبتعد عني ملوْحاً بيديه في الهواء. "أنت لوحك!"

هزرت رأسي من جانب إلى آخر. بدأت الدموع تحبّس في عيني، لكنني حبستها. "هذا جاد يارجل. عليك مساعدتي. ماذا سأفعل؟"

حسناً أيها الرجل. لا يمكنك العودة إلى المنزل... سأقول لك شيئاً. سوف أخبئك هنا إلى أن تفكر في ما يجب فعله."

"حسناً"، قلت له محاولاً إرخاء صدري العتقل. "لكن عليك إخبارهم ما حدث فعلاً في المدرسة". ارتعش قم جون. بدأ ينتم شيئاً. بلمح البصر، أمسكت بقميصه. "إخسر واستمع إليّ! لقد فعلتها أنا لم أفعل شيئاً! لقد أنفدتك! أنا أخضت النار! قل لهم الحقيقة! أنا جاد في ذلك!"; صرخت في وجهه.

انحنى جون الغامسي فجأة. "حسناً... حسناً. غداً يارجل، مرافق؟ إهدأ فقط."

في تلك الليلة، ارتعشت على السرير الخشبي في مندى جون.



كنت رفعت سماعة الهاتف قبلاً للاتصال بليليان، لكنني أغلقت السماعة حين سمعت صوت رودى الخشن على الطرف الآخر. 'دافيد!' قال بعد صمت طويل. 'أعرف أن هذا أنت! إذا كنت تعلم صالحيك عليك...'

في اليوم التالي، بدت لي الساعات طويلة جداً في انتظار عودة جون. وحين عاد أخيراً إلى المنزل، رفس الباب المفتوح بقوة. ركضت إلى الداخل لأطمئن نفسي. 'لا بأس؟' سألته وأنا أفرك يدي. 'كل شيء على ما يرام. لقد أخبرتهم، أليس كذلك؟ لقد أخبرتهم الحقيقة،' سألته وأنا أشعر بالارتباك لأن الحادثة انتهت وأستطيع العودة إلى منزل آل كانتزي.

هزّ جون كتفيه وحقن في الأرض. عرفت قبل أن يتكلم أنني كنت مخطئاً. 'لقد وعدتني أيها الرجل' تمتمت.

'حسناً... لقد طردني المميز من الصف،' قال بصوت خافت فيما لا يزال يحدق في الأرض. توقف لبرهة. ظننت أنه على وشك إعطائي عنراً آخر حين نظر مباشرة في عيني وابتسم. 'قلت له... إنك فعلتها. كانت هذه فكرتك.'

بدأت بداي ترتجفان. 'ماذا؟ ماذا فعلت؟'

ابتسم جون ابتسامة عريضة. 'ماذا فعلت؟ ثم أفعل أي شيء. أيها الرجل، عليك الرحيل. لا يمكنك البقاء هنا.' قال بصوت جانف.

ثم عرت أنني مصعوق. 'إلى أين أذهب؟ ماذا أفعل؟'

'كان يجدر بك التفكير في هذا قبل إحراق الغرفة أيها الرجل.' سيطر الارتباك على عقلي. 'ظننت أنك صديقي،' توصلته، فيما

ابتعد جون عني. بعد لحظات، أغلقت باب منزله بهدوء، ثم توجهت إلى مركز التسوق المحلي على أمل العثور على طعام لأمرقه. وكنت أختفي بين الأشجار كلما سمعت هدير سيارة. هذا هراء، قلت لنفسي. لا أستطيع العيش هكذا. استكرت وتوجهت إلى منزل رودى وليليان. أخذت نفماً عميقاً، ثم فتحت الباب وتسلفت السلم فيما كان صوت التلفزيون يصدح عالياً. وحين دخلت إلى غرفة الجلوس، واجهت ابتسامة لاري جونيور الخبيثة. 'ها... ها؟'

أفلمت ليليان البطافية التي كانت تخطيها. 'يا إلهي، دافيد؟ أين كنت؟ هل أنت على ما يرام؟'

وقبل أن أستطيع الإجابة، سمعت الأرض تهتز نتيجة رودى الغادم في العمر. 'أين هو؟' صرخ بصوت عالٍ.

ابتلعت بصعوبة قبل أن أباشر في إلقاء خطابي المحضّر، والقول إن كل شيء كان مجرد سوء تفاهم. وأني في الحقيقة الشخص الذي أحمّد النار وليس الشخص الذي أشعلها. عرفت أن رودى سبصرخ عليّ لبضعة لحظات ويحسني ربما لأسبوع آخر لأنني لم أعد إلى المنزل، لكنني علمت أنه بعد معرفتهما بالحقيقة ستعود كل الأمور إلى طبيعتها. ابتسمت لرودى الذي تنفس فوقى مثل التين. 'إن تصدق هذا، لكن...'

'أنت محق وليس أنا،' قال رودى غاضباً. 'لم أعد أصدق أي شيء. في اليومين الأخيرين، تلقت اتصالات من المدرسة والشرطة وإصلاحية الأحداث، ومن والدك ووالدتك. منذ أن دخلت إلى هذا المنزل...'. توجه رودى إلى ليليان قبل التركيز عليّ مجدداً. 'قلت

لك أن تبقى بعيداً عن المشاكل، وها أنت الآن تتورط في شيء كهذا!  
ما هورايك بحق الجحيم؟ أنا لا أصدق! أليست السرقة كافية بالنسبة  
إليك؟ لا، عليك إثبات نفسك، أليس كذلك؟ تقول إنك تشعر بالضيق،  
وأنك لا تتكيف - حسناً، أنا أعرف من أنت. أنت محرق المباتي  
عمداً! هذا ما أنت عليه! هل كنت أنت الذي أشعل كل الحرائق في  
الجوار...؟

"يا إلهي، إهدأ يارودي"، قالت ليليان. "لم يكن قد جاء إلى هنا".  
حسناً، لقد شاهدت ما يكفي. لقد سمعت ما يكفي. هذا هو - عليه  
الخروج من هنا، صرخ رودي. ثم هز رأسه وتنفس بعمق مشيراً  
إلى أنه انتهى.

تبع ذلك صمت طويل. راح يتنفس فوقي فيما بقيت ليليان  
ملتصقة بجانبه. قبل لحظات قليلة، كنت أسمعني أن أستطيع توضيح  
سوء التفاهم بمجرد كلمات قليلة، لكنني أدركت فجأة أن تصوراتني  
الماضية نعت برودي إلى استنتاجاته. كنت مدتباً بالتعبئة إليه،  
وأعرف أنه ما من شيء سيعتير رأيه في. حقت في رودي فيما  
الدموع تملأ عيني. أردت فعلاً أن يصدقني.

قد تؤثر دموع التماسيح هذه في ليليان، ولكنها لن تجدي مني  
تفعلاً، قال.

نظمت حنجرتي قباً التمتعة: "هل اتصل والدي؟"  
أجابت ليليان نعم من خلال هز رأسها قبل التوجه إلى رودي  
قائلة: "دعنا نذهب إلى النوم الآن، أليس كذلك؟"  
وجه رودي غصيه نحو ليليان. "استغفري ليليان. بحق الله نحن

لا نتحدث عن سرقة لوح سكاكر آخر. لقد أحرق مدرسة..."  
"أنا"، قالت ليليان مفاطعة. "يعتقد المدير أن هناك ولداً آخر  
متورطاً؟"

يذا رودي متعباً. شاهدت الهالات السوداء تحت عيني. "أرجوك  
بالليليان. هل هذا مهم؟ إنه ولد ربيب. تم ضبطه وهو يسرق  
وتدمرت منه أمه مراراً أمام الشرطة. سن نغفون أنه سبصدق؟ لقد  
انتهى الأمر."

انفجرت ليليان في البكاء. "رودي، أنا أعلم. أعلم أنه ليس ولداً  
سبباً. إنه مجرد..."

أردت معاقبتها وإخراج كل الألم الذي سببته لها.  
"حسناً، أجب رودي بصوت أكثر هدوءاً. ليليان، أعرف أنه  
ليس سيئاً تماماً... لكنه يتأرجح بين الخير والشر. وقد غاص في  
الشر هذه المرة..."، قال وهو يفرك جبينه.

"دافيد"، قال رودي بصوت مطمئن فيما أمسك بكتفي. "أعرف  
أنني أزعجتك بعض الشيء وقد نظن أنني وحش. لكن أهتم لأمرك،  
وإلا لكانت أخرجتك من هنا قبل زمن بعيد. أنت الآن في ورطة  
كبيرة، ولا سمعني قل الكثير. لهذا السبب، أنا غاضب جداً. لكن  
مهما يحدث، أريدك أن تعلم أننا نهتم بك." توقف ليريه لفرك عينه.  
حذق في ذلك كفتي. "أنا أسف يابني، لكن الأمر خارج عن إرادتي.  
سوف آخذك غداً إلى هيلكريست". بدأت الدموع تهمر على وجه  
رودي.

---

## الفصل

---

# 7

---

# حب أمي

فيما كان رودى كاتتزي يأخذني إلى إصلاحية الأحداث في  
مقاطعة سان ماتيو، كنت أفقد الوعي بسبب التهوئة المفرطة. فقد  
شعرت أن القسم العلوي من صدري محاط برباط مطاطي عساق.  
ورغم أن رودى كان يمنحني نصائح الدفيقة الأخيرة، لم أستطع  
التركيز لأني كنت خائفاً جداً مما سيحدث لي. ففي الليلة السابقة،  
أسهب لاري جونيور في وصف ما يفعله الأولاد الأقدم والأكبر سناً  
في الأولاد الصغار والجند. شعرت أنني منحنطاً جداً حين تعريت أمام  
المستشار خلال تسجيل قبولي، وتوجهت من ثم إلى الاستحمام قبل  
أن ارتدي ثياب المقاطعة الكريهة الراحة.

ارتعدت حين أغلق كلقي باب غرقتي المصنوع من السنديان  
المسيك. لم أحتج إلى أكثر من دقيقة للتمتع في بيتتي الجديدة. كانت  
الجدران مؤلفة من حجارة بيضاء وسخة. أما للسقف فكشف عن  
أرضية اسمنتية مشمعة. وضعت منشفتي للرطوبة وثيابي الداخلي  
وجواربي على الرف للصغير. جلست عند قدم المرير وشعرت  
بحاجة ملحة للذهاب إلى الحمام - فلاحظت حينها أنه لا يوجد حمام  
في الحجرة. بعد أن غطيت رأسي بالبطانية الصوفية السوداء، بدأت  
الأربطة غير المتظورة الملتفة حول صدري ترتخي. وبعد لحظات،  
خالت إلى نوم عميق.

غولد والسيدة ليليان. وبعد ثانية، أصبح جسمي منهكاً. فقد شاهدت وراء المكتب الصغير والذي جالساً على كرسيي بمحاذاة الجدار. بالإضافة إلى أمي، كان والذي آخر شخص أردت رؤيته فيما أنا في إصلاحية الأحداث.

ارتجعت يداي فيما كنت أجلس على كرسي.

"إذاً، دافيد"، قال والذي ببرة خالية من العاطفة "كيف حالك؟"

"جيد، سيدي"، أجبت فيما أنا أحاول تفادي نظرات والذي.

"حسناً... لقد كبرت بعض الشيء. كم مضى على ذلك؟"

"قراءة العام سيدي".

تأملت عيناي جسم والذي. حاولت تذكر آخر مرة نظرت إليه بصورة فعلية. هل كان ذلك أثناء عيشي في المنزل؟ سألت نفسي. انحني والذي على الطاولة الصغيرة الموجودة أمامي، وبدأ لي نصلاً جداً. سيطر اللون الأحمر الداكن على وجهه وعنفه وأصبح شعره الجميل في ما مضى رمانياً ووسخاً. كان يسعل كل بضعة ثوانٍ. اختفت يده في جيب سترته لإخراج علبة السجائر. سحب سيجارة من العلبة وتفرها على الطاولة قبل إشعالها. وبعد مجات عدة، توقفت يده عن الارتعاش.

شعرت بالحجل الشديد للنظر في عينيهِ. "أوه... والذي، قبل أن تقول أي شيء... أريدك فقط أن تعلم..."

"أخسر؟"، صدح فجأة صوت والذي مثل الرعد. "لا تبدأ بإخباري أنكانيك! مع سيجارته بعمق قبل إطفائها وإشعال واحدة أخرى. بحق الله، إذا عرفوا هذا الأمر في المركز... هل تعلم ما قد

فتح باب غرفتي للمرة الأولى أثناء فرصة يعد الظهر. مروت في العمر كما لو أنني أمضي على بيض. بدا لي يقية الأولاد مثل لشجار عملاقة وليس مثل مراهقين. في أيامي الأولى، وضعت خطة للصعود. كنت أختبئ في الخلفية بحيث لا ألفت الانتباه وألقيت في التكبير غلقاً. خلال أسبوعي الأول في هيلكريست، نشبت أمامي ستة شجارات، ثلاثة منها مرتبطة بدور الشخص المخول للعب البليارد. ارتطمت ببعض الجدران لأنني كنت أقضي معظم وقتي وأنا محني الرأس خوفاً من النظر في عيون الآخرين، وبغت بعيداً قدر الإمكان عن طولة البليارد.

صرت ألتفتس براحة أكبر حين تم نقلني من قسم الموقوفين الجدد، في الجناح أ، إلى الجناح ج العلوي الذي كان يضم الأولاد الأصغر المعانين من فرط النشاط. علمت أن القوانين في الجناح الجديد أقل صرامة. لم أشعر بالحاجة إلى الانطلاق مسرعاً إلى غرفتي مثلما فعلت حين أدار موظفو الجناح أ ظهورهم يعد إرسال الأولاد إلى غرفهم. بدا أن المستشارون في الجناح ج أكثر انفتاحاً وتسامحاً أثناء التتعاطي مع الأولاد. شعرت بالأمان.

في يعد ظهر أحد الأيام، تمت متلاتني على تحر غير متوقع من ملعب القرمصة. اكتشفت يعد لحظت أن لدي زلزل. فيما كان المستر يطعنني على أصول الزيرلث، أصبحت معنيتي مشدودة نتيجة الإثارة. حتى تلك اللحظة، لم أظن أن أحداً سيرتني بعد اليوم، ولذلك تفاعلت عن الشخص الذي اجتاز كل المسافة إلى هيلكريست لرؤيتي.

أثناء اندفاعي عبر الباب الصغير، ملأت رأسي صور الأنسة

يحل بي؟ كما لو أنني لا أواجه ما يكفي من المشاكل هناك!

أحببت رأسي وتمنيت لو أخفني.

"حصناً" هدر صوت والدي. "وكان ذلك ليس كافياً، منحت أمك المجنونة كل الذخيرة التي تحتاج إليها". توقف عن الكلام لأخذ مجة أخرى. "يا إلهي! لقد فعلتها! فجأة، أتلغى اتصالاً تلو الآخر من تلك المساعدة الاجتماعية..."

"الآنسة غولد؟"، تمتعت.

"وجدت الوقت أخيراً للاتصال بها، وأخبرتني أنك هربت وأنت كنت تشرق وتورط نفسك في كل أنواع..."

لكن لي، أنا حقاً لم...."

"من الأفضل أن نبقي فمك مغلقاً قبل أن أغلقه نيابة عنك"، قال والدي. توقف لبرهة ونفخ سحابة من الدخان. "لم نستطع نقادي الأمر، أليس كذلك؟ لم يكفك التورط مع الشرطة وإخراجك من المدرسة، ومن ثم جز أمك وإخوتك إلى المحاكم، يا إلهي. أنت فعلاً تحفة فنية، أليس كذلك؟ لديك كل شيء. حياة جديدة، بداية جديدة. لم يكن عليك سوى الابتعاد عن المشاكل. ولم نستطع فعل ذلك، أليس كذلك؟"

"هل لديك أية فكرة عما تريد أمك فعله بك؟ هل تعلم؟"، سأل والدي ورفع صوته. "تريدني أن أوقع على بعض الأوراق. إنها تلاحقني لتوقيعها منذ... هل تعلم كم من الوقت؟"، سأل، موجهاً السؤال إلى نفسه أكثر مما هو لي. "هل لديك أية فكرة عن الوقت الذي مضى وهي تلاحقني لتوقيع تلك الأوراق؟"

هزئت رأسي للفعل لا، والدموع تتهمر على وجهي.

"سنوات! منذ أن رمتك خارجاً في ذلك اليوم. لقد كانت محقة ربما. فأنت تحتاج ربما إلى... تظن أن الأمر سهل علي؟ كيف تظن أنني أشعر حين أجد ولدي في مكان مثل هذا... أو مكان مثل ذلك؟" بدت عينا والدي باردتين جداً فيما هما نحققان بي. "محرق العياني. إنهم يتهمونك بإحراق العياني! هل تعلم كم يموت من رجال الإطفاء بسبب محرقني الأبنية؟ رياه، قد تكون محقة. لا سبيل إلى إصلاحك". شاهدت الحلقة البرتقالية للميجارة وهي ترحف نحو أصداع والدي. "حصناً" قال بعد دقائق عدة من الصمت. "علي أن أعيد السيارة. سوف، آه، أرى...". توقف والدي في منتصف عبارته فيما كان يدفع نفسه بعيداً عن الطاولة.

تأملت عياني كل جسمه. بدت عيانه متعبتين وفارغتين. "شكراً... لمحبتي لمشاهدتي"، قلت له محاولاً أن أبدو مرحاً. "بحق الله يولدي، أبتعد عن المشاكل؟". تراجع والدي إلى الخلف. بدأ بفتح الباب حين توقف ونظر عميقاً في عيني. تنازلت لك عن الكثير. لقد حاولت، الله يعلم أنني حاولت. أنا أسف لأشياء كثيرة حصلت في حياتي. أستطيع مسامحتك على الكثير من الأمور - على كل المشاكل التي سببتها، وعلى كل ما فعلته للعائلة - لكني لن أستطيع أبداً أبداً مسامحتك على هذا. أغلق الباب خلفه، ورحل. "أحبك يا أبي"، قلت وأنا أنظر إلى الطاولة الفارغة.

في عشاء ذلك المساء، فيما كانت الأيدي تتقائل للحصول على قطعة من كل وعاء طعام، اكتفيت بأكل طبق السلطة بعيداً. شعرت بامتناز وفراغ في دخلي. عرفت أنني أنا السبب في تعاسة أهلي،

وانفصالهما عن بعضهما، وإدمانهما على الشرب، وعيش والدي-  
الرجل الذي ناضل لإنقاذ حياة العديد من الأشخاص- في شقة قذرة.  
أعرف أنني فضحت من العائلة بملء إرادتي. أدركت فجأة أن والدي  
كان محققاً. لقد كان والدي محققاً على الدوام.

بعد الغشاء، فيما كنت أنجز العمل المطلوب مني، أي مسح أرض  
غرفة الطعام، وقب أحد المستشارين عند الزاوية "بيلزر". زائر غداً  
للمكتب الأمامي. بعد دقائق قليلة، أخذت نفساً عميقاً وأغلقت عيني قبل  
أن أفتح مجدداً باب غرفة الزوار. صليت في أعماقي ألا تأتي أمي.

احتجت إلى بعض اللحظات حتى أدرك أنني كنت أهدق في وجه  
لبليان، وليس في وجه أمي.

قفزت لبليان وعانقتني من الجهة الأخرى للمكتب. "إذاً، كيف  
حالك؟"، سألتني.

"جيداً! أنا بخير الآن"، قلت متعجباً. "واو! لا أمتطيع أن أعبر  
لك عن... مدى سروري لرؤيتك!"

وضعت لبليان يدي بين يديها. "جلس الآن وأصغ إلي. لدينا الكثير  
لتحدث عنه، ولذلك لننتبه دافيد، هل جاء والدك إلى زيارتك؟"

"نعم سينتي"، أجبتها.

"إذا لم تمنع من والي، عما تحدثنا أنتما الاثنين؟"

لخنيث إلى الجهة الخلفية لمعدني، محاولاً تصوّر كامل المشهد  
بحيث لممكن من تكرار كل الكلمات التي صدرت خلال زيارة والدي.

"هل تذكر والدك أي شيء عن أوراق....؟ أي شيء؟"، قالت  
لبليان بتعومته.

"أوه... لا. سينتي، لا أذكر ذلك"، قلت وأنا أحك رأسي.

أحكمت لبليان قبضتها على يدي إلى أن ألمتني. "دافيد، أرجوك"،  
توسلتي، "هذا مهم".

بلمح البصر تذكرت غضب والدي بشأن مجموعة من الأوراق  
أرادت أمي أن يوقع عليها. حاولت تذكر كلمات والدي بحذر. "قال  
إن أمي كانت محفة وأنه كان يفكر في توقيع الأوراق قائلاً إنه لا  
مجال لإصلاحها".

"لكنه لم يوقعها"، قالت لبليان.

"لا... لا أدري..."، تمتعت.

"اللجنة"، صرخت. أخضعت رأسي ظناً مني أنني ارتكبت خطأ  
مجدداً. نظرت لبليان بعيداً عن الطاولة الرمادية، ثم نظرت إلي. "لا!  
لا! ليس أنت، دافيد. هل سمعت شيئاً عن أمك؟ هل جاءت لرؤيتك؟"  
لا، سينتي، قلت وأنا أمز رأسي.

"أصغ إلي جيداً يدافيد. يجدر بك ألا تتلقى زيارة من أي شخص  
لا تريد رؤيته. هل تفهم؟ هذا مهم. حين يقال لك إن لديك زائر،  
إسأل عن اسم ذلك الزائر". توقفت لبليان لالتقاط أنفاسها. بدت على  
وشتك البكاء. "عزيزي، لا يفترض بي أن أخبرك هذا... لكن لا تقبل  
زيارة من أمك. إنها تقنع المغاطمة لإبعادك".

"تقصين مثل البقاء هنا؟ إصلاحية، صح؟ أوه، أعرف كل شيء  
عن ذلك. حسناً!"

أصبح وجه لبليان فجأة أبيض اللون. "أين سمعت هذا؟"

"سيدة من الصحة العقلية. تقول إنها نعمل مع كل الأولاد الذين

"لا"، قلت متعجباً، أدخلت من ثم أصابعي في راحتي يدي. هي إحدى المرات..."

صرت لبلبان أسنانها فيما أنا أتابع الحديث.

"... في إحدى المرات، حين كنت في الرابعة أو الخامسة، وضعت المحارم قرب الشموع قبل العشاء... واشتعلت! أقسم أنني لم أقصد ذلك ياسيدة كاتزني! كان ذلك حادثاً!"

"حسناً، لا بأس"، قالت لبلبان فيما هي تلوح بيديها. "أصدقك، لكن دافيد، هي تعرف، أمك تعرف كل شيء. بدءاً من والغربز، إلى اليهود- وحتى المشكلة التي واجهتها مع الطبيب النفسي. نظن الأئمة غولد أنها أخطأت وأخبرت أمك أكثر مما كان ينبغي، لكن يجدر بالأئمة غولد إبقاء أمك على اطلاع دائم بأحوالك. اللعنة على كل هذا! لم أشاهد أبداً شخصاً يحارب لحمه ودمه بهذه الطريقة..."

ارتفعت حرارة جسمي. ماذا تقصدين بالمشكلة مع الطبيب؟ أنا لم أفعل أي شيء!"

"حسناً، أنا أتلقى المعلومات بواسطة الأئمة غولد..."

"لماذا لا تسمح لي برؤية الأئمة غولد"، قاطعتها.

"لأن لديك ضابطاً لمراقبة سلوكك في الوقت الحاضر: غوردون هاتشفسون"، أجابت لبلبان فيما تهز رأسها محاولة عدم الاستطراد. "أرجوك الآن، أصغ إلى. لا يفترض بي معرفة ذلك، لكن ما أعرفه هو أن الطبيب النفسي كتب تقريراً يذكر فيه أن لديك ميولاً عنيفة في السلوك. إنه يتحدث عن قلقك عن مفعلك والتلويح بذراعيك ومهاجمته تقريباً"، قالت وهي تبدو أكثر ارتباكاً من سؤالها.

يأتون إلى هنا. وظلت تسألني دوماً عن موافق... نعم؟"، صرخت. "هذه هي! قالت السيدة إنه من الأسهل عليّ لو أعطيت موافقتي للإصلاحية". عرفت من تعبير لبلبان أن ثمة مشكلة كبيرة. "ألا يعني ذلك أنه إذا وقعت على الورقة، أعد، أو وافق، أن أكشف عن أفضل سلوك لي أثناء وجودي هنا؟ أليس كذلك ياسيدة كاتزني؟"

"دافيد، إنه فخ! إنها تحاول خداعك!" قالت لبلبان فيما الخوف يسيطر على صوتها. "أصغ إلي! سوف أقول لك الأمر بوضوح. تقول أمك إن سلوكك الماضي في منزلها دفعها إلى تصرفها لأني كنت من النوع الذي يتعدى إصلاحه. إنها تحاول وضعك في مصحح عقلي!"، قالت لبلبان.

انحيت إلى الخلف في كرسي الفولاذي وحذقت بها. تقصد... تقصدين... منزلاً للمجانين... أليس كذلك؟ تمتعت فيما تمارع نفسي. أخرجت لبلبان محرمة من حقيبتها. قد أخسر رخصتي في رعاية الأولاد الأرباب، لكنني لا أعطي... لم أعد أهتم إطلاقاً. لا يمكنك تكرار هذا أبداً أمام أي شخص. لقد تحدثت مع الأئمة غولد، ونظن أن أمك وضعت خطتها- أي خطة المصحح- لتتكرر كل ما فعلته بحقك. هل تفهم؟"

أومأت براسي إيجابياً.

"دافيد، لقد اتصلت أمك بهذه السيدة من الصحة العقلية وأخبرتها كل أنواع الروايات. دافيد، سأطرح عليك سؤالاً وأريد منك الحقيقة الكاملة، موافق؟ هل أشعلت يوماً حريقاً في منزل أمك، في كراج منزلها"، سألت لبلبان بحذر.



تأرجح رأسي من جانب إلى آخر. "لا سيديتي! قال لي إنه يجدر بي أن أكره أمي، هل تذكرين؟" بكيت فبما أنا أرجع رأسي إلى الخلف مرتطمًا بالجدار. "ماذا يحدث؟ أنا لا أفهم؟ أنا لم أفعل ذلك؟ أنا لم أفعل أي شيء!"

"إسمع. أصبغ إلي"، قالت ليليان باكياً. "تظن الأمسة غولد أن أمك تنتظرك للانتقام منك - وقد نجحت الآن".

"كيف تستطيع ذلك؟ أنا أعيش معكم، قلت لها متوسلاً فيما أحاول أن أفهم كيف تداعى عالمي فجأة.

"دعيني"، قالت ليليان بغضب. "معتبر أنا ورودي المسؤولين القانونيين عنك. هذا كل شيء. قمت ورقة تقول إننا نحافظ على رفايتك. نحن نرعاك. من الناحية القانونية، تمتلك أمك القليل من حرية التصرف. هذه طريقتهما للانتقام. تناضل أمك ربما لإبعادك منذ أن تم فصلك إلى الرعاية بالتربية، وجاءت حادثة المدرسة لدعم قضيتنا".

"ماذا إذا؟"، قلت متذمراً.

"أفهم هذا. أنت تخوض الآن معركة حياتك. إذا استطاعت أمك إقناع المقاطعة بأن الأمر لمصلحتهم، سوف تدفعهم إلى وضعك في مصح عقلي. وإذا حدث ذلك..." استألا وجه ليليان فجأة بميل من الدموع. "لويدك أن تعلم هذا. أنا لا أهتم لما يقوله لك أي شخص، أي شخص. أنا ورودي نحارب لأجلك، وسوف نفعل كل المطلوب. إذا توجب علينا استئجار محام، سوف نفعل ذلك. إذا توجب علينا الذهاب إلى الجحيم ومن ثم العودة، نحن مستعدون لفعل ذلك أيضاً. نحن هنا للكفاح من أجلك. لهذا السبب نحن أمك بالتربية!"

توقفت ليليان ابهره لجمع أفكارها. بدأت تتكلم بعدها بصوت هادئ وهاخت. "دعيني، لا أعرف سبب ذلك، لكن عدداً كبيراً من الأشخاص يحترقون الأورد الأرياب لمسب ما. ويعتقد هؤلاء الأشخاص أنكم أولاد مينون، وإلا لما كنتم في الرعاية بالتربية. وإذا استطاعوا إيفاءكم خارج مجتمعهم، لفعلوا ذلك حتماً. أنت تفهم، أليس كذلك؟"

هزرت رأسي للقول لا.

وضعت ليليان إصبعها على شفيتها فيما هي تفكر في صياغة جديدة لعبارتها. "أنت نعرف ما تعنيه كلمة تحامل، أليس كذلك؟"

"نعم، سيديتي"

إنه الشيء نفسه. فإذا اعترف هؤلاء الأشخاص أنفسهم بالحاجة إلى الرعاية بالتربية، يعني ذلك أنهم يعترفون بمشكلة أكبر دفعت بكم أنتم الأولاد إلى الرعاية بالتربية. ويعني ذلك أيضاً الغيول بأشياء مثل الإيمان على الكحول، وإساءة معاملة الأولاد، والأولاد الذين يهربون أو يتعاطون المخدرات... أنت تفهم ذلك؟ لقد أنجزنا الكثير من التغييرات في السنوات الأخيرة، لكننا ما زلنا نعيش في مجتمع مغلق. فقد جرت تربية الكثير من الأشخاص للاحتفاظ بالأمور لأنفسهم على أمل ألا يكشف أحد سر عائلاتهم. والواقع أن بعضهم يؤمن في التحامل، ولذلك كلما واجه ولد ربيب مشكلة..."

كان وقع عباراتها عليّ أثبتني بطن من القرميد. الآن فهمت. عادة الأربطة المطوقة لصدري لتنتشط مجدداً فيما بدأت أتففس بجهد. "أوه... قبل... حين جئت للمرة الأولى إلى منزلك... واجهت مشكلة..."

"نعم؟"، همست ليليان.

"سمعت ما قلته آنذاك.... لكني لم أصغ"

وضعت ليليان يدي بين يديها. "حسناً، هذا كله في الماضي. أعرف أن العيش هنا في الإصلاحية ليس سهلاً، ولا سيما بالنسبة إليك، لكن يجدر بك الكشف عن أفضل سلوك لك. أنا أعني ذلك فعلاً"، قالت مشددة. يكتب المستشارون تقارير عن سلوكك ليجري تحويلها إلى المسؤول عن مراقبة سلوكك. لقد التقيت بالسيد غوردون هاتشسون، أليس كذلك؟"

"نعم، سيدتي"، أجبتها.

"ولهذه التقارير تأثير كبير في محاولة أمك لوضعك في مصحح. لكل ما لديها الآن هو مجموعة من الأكاذيب التي تقولها للجميع. لقد جعلت منك أمك ولداً مجنوناً- وهذا ما أنت عليه طبعاً"، قالت ليليان معازحة. "فيذا استطعنا الإثبات للحكمة أنك لم تشعل النار وأنك كنت ولداً نموذجياً، يبعد ذلك أمك عنك- وللاُبد".

"ماذا أفعل إذا؟"، سألتها

أبسمت ليليان. "دايفد، تصرف فقط على طبيعتك هذا كل ما يجدر بك فعله. لا تحاول لبدأ أن تكون شخصاً غيرك. سوف يأخذ الموظفون ذلك في عين الاعتبار. كن فقط الولد الذي جاء إلى منزلي- قبل أن توقع نفسك في كل تلك المشاكل. لكن"، حذرتي، "لا أخطاء. لا تعضب فجأة حين تزعج. عليك إبقاء فمك مغلقاً، تفهمي؟"

أومأت برأسي مجدداً.

"دايفد، لقد أوقعت نفسك في شرك. الله يعلم، حادث آخر إضافي ويتم اتخاذ القرار بحقك. لقد شهدت خلال 12 عاماً أكثر مما يشهده

النوم طيلة حياتهم. إذا استطعت فعل ذلك.... يمكنك فعل ذلك أيضاً. لكن عليك للتفاح جيداً. نفذ ما يطلبه منك السيد هاتشسون أو الموظفون. أنا لا أهتم بغربة الأمر. أنا أعرف غوردون منذ أعوام، وهو الأفضل. عليك فقط التفكير ملياً ومطوياً قبل أن تنفذ شيئاً تنتم عليه، مولف؟"

فيما أمسكت السيدة كالتزي بيدي، أردت أن أعيرَ لها عن مدى أسفي لكل المشاكل التي سببتها لها ولعائلتها. لكني أعرف أنني أخبرتها ذلك مرات عدة في الماضي- حين لم أكن أهتم فعلاً، لذا، سألت نفسي، كيف ستصنفتني الآن؟ تظرت ملياً في عينيها الرقيقتين وأنا أعرف أنني سبب أرقها وساعات حرمانها.

يذلت ليليان ما بوسعها لتحتي لبسامة عريضة. "أوه، قبل أن أنسى، لدي شيء لك"، قالت فيما اختلعت يدها داخل حقيبتها. وبعد لحظة، أخرجت لوح علبه من حبات الكرز المغلفة بالشوكولاته. أشرق وجهها فيما دقعت العلبه نحوي.

"سكاكر؟"، سألتها.

"إفتحها فقط"، قالت ليليان مبتسمة.

فتحت القطاء الصغير بعناية وصرخت فرحاً فيما كنت أحقق في ملحقاتي الصغيرة التي أدارت عنقها نحوي. أخرجت حيواني بلطف من العلبه ووضعته على يدي. توقعت السلحفاة بسرعة داخل قشرتها. "هل هي على ما يرام؟ هل نأكل؟"

"نعم، نعم"، أجابت ليليان بصوتها الحنون. "أنا أعطيتي بها. أنا أغتر لها الماء...."

"مرة كل يومين؟" قلت وأنا قلق على حيواني.

"مرة كل يومين. نعم، أعلم. أعلم. من بين كل الأشياء، لم أفكر أبداً أنني سأعنتي يوماً بسلحفاة عجوز".

"إنها ليست سلحفاة عجوز. إنها صغيرة... أترين؟" قلت يتودد وحب. "أظن أنها تحبك؟" نظرت إليّ ليليان بصرامة حين دفعت سلحفاةي نحرها.

"دايفد"، قالت بصوت محبب فيما انحنت لتمشيط شعري، "عند النظر إليك مع هذه السلحفاة... لو أنهم يرونك فقط مثلما فعل أنا".

أعدت سلحفاةي بعناية إلى عتبة الحلوى. وسلمت العلبة من ثم إلى ليليان. "أعرف أنني كنت سيئاً ولني استحققت العقاب على ما فعلته، لكنني أعدك بأنني سأكون جيداً، فعلاً. أعدك... أمي".

في ذلك المساء، فيما كنت أتحق خارج نافذة حجرتي، بدأ إحصائس دافى يتكوى في أعماق روحي. سوف أفعل ذلك! وعدت نفسي. سوف أثبت للسيدة كاترتي والسيد هاتشمنون ولأمي أنني ولد صالح! عرفت أن موعدي في المحكمة هو بعد أسبوع قليلة فقط! إذاً، قلت لنفسي، سوف أعمل بجد أكثر. خللت إلى النوم، من دون الشعور بالخوف.

في غضون أيام، تضاعفت علامات سلوكي البومي. ظننت أنني كنت أبلّي حسناً قبلاً، لكن حين قال لي كارل ميغيل، المسؤول عن الجناح ج، أمام الجميع أنني أخفق أسبوعاً ممتازاً، أردت أن أثبت نفسي أكثر. وفي نهاية ذلك الأسبوع، حققت أعلى مرتبة في الجناح المرتبة الذهبية. أبلغني السيد هاتشمنون أن الولد الجديد يحتاج عادة إلى ثلاثة أو أربعة أسابيع ليصل إلى المرتبة الذهبية. ابستم في

سري، وأنا أدرك تماماً أنني حققت ذلك في أقل من أسبوعين. خلال تلك الزيارة، أبلغني غوردون أن موعدي في المحكمة اقترب بضعة أيام. "إذاً، متى سذهب إلى المحكمة؟"، سألته.

"بعد غد"، أجابني. "سوف نكون على ما يرام؟" "نعم، سيدي"، قلت وأنا أحاول أن أبدو وثقاً من نفسي، فيما كنت مذعوراً في داخلي.

"أريد"، إن أريكك بما قد يحصل أو لا يحصل حين نصبح في قاعة المحكمة. لقد شاهدت ما يكفي لأعرف أن بعض الفضائيا معقدة، وفضيتك واحدة منها. أستطيع تصحك فقط بالحفاظ على هدوئك، وإذا كنت تؤمن في الله، أتصحك بأن تصلي".

وحيداً في حجرتي، شعرت أنني مصاب بدوار. أغلقت عيني وطرقت قلبي ورحمت أصلي.

بعد مرور يومين طويلين، جلست منضبطاً تماماً فيما أحاول تذكر كل ما قاله لي غوردون وليليان. أومأت براسي إلى ليليان التي جلست خلفي، وابتسمت لها. وحين استدرت، شاهدت أمي جالسة إلى يميني في أحد المقاعد الأمامية. أغلقت عيني ليرىه للتأكد من أنهما لا تخدعاني. لكن حين فتحتهما، استطعت مشاهدة أمي وهي تضمّ كفّين بين ترأعها.

تخبرت مشاعر الثقة. "إنها هنا"، همست لغوردون.

"نعم، وتذكر، حافظ على هدوئك"، حذرنى.

بعد لحظات، تم الإعلان عن بدء قضيتي. تملأنت في مقعدي قبل إنشاء نظرة خاطفة على أمي. نهض محامي، الذي التقينته قبل بضعة

دقائق فقط في الغرفة الخارجية، وراح يذكر بعض التواريخ وعددًا من الأرقام والبيانات الرسمية بسرعة كبيرة لدرجة أنني كنت غير واثق ما إذا كان يتحدث عن قضيتي أو عن قضية شخص آخر.

عبر القاضي عن شكره لمحامي بعد أن عاد إلى مقعده. على يعني، تتحنن رجل آخر يرتدي بزة سوداء قبل المباشرة في الكلام. انحنى غوردون وربّت على ركبتي. "مهما قال هذا الرجل، حافظ على هدوئك. لا تبتمس، لا تتحرك، ولا تكشف عن أي لدغال".

"حضرة القاضي، في 10 كانون الثاني (يناير)، أشعل دافيد بيلزر حريقاً متعمداً، بعد تصميم سابق، وحاول حرق صف في مدرسة مونتي كريستو الابتدائية..."

بدأ الذعر يسيطر على جسمي.

ويكشف القاصر، حضرة القاضي، عن تاريخ مسهب للسلوك المتطرف والمتعمد. لديك التفسير الصادر عن الطبيب النفسي للقاصر، فضلاً عن شهادت من أسنان القاصر والمسؤولين عنه في مدرسة مونتي كريستو الابتدائية. لديّ بيانات من المساعدة الاجتماعية السابقة للقاصر، التي تزعم أن براعة دافيد قد تكون فائتة، لكنه يتطلب أحياناً مراقبة عن كثب. فائتاً وجوده ضمن أفضل الظروف في الرعاية البديلة، كشف دافيد عن سلوك عدائي تجاه الآخرين وكان في بعض الأحيان مولعاً بالجل والتخريب أثناء وجوده في الرعاية البديلة."

غصت في مقعدي، فالمبنى نفسه الذي منطى الحرية سيكون الآن قبري. وبعد مرور دهر، شكر المحامي الآخر القاضي قبل التوجه إلى مقعده، ثم أوما برأسه إلى أمي.

"هل رأيت ذلك؟"، سألت غوردون.  
"شش"، حذرني، "لا تسد الأمر".  
الدفاع؟"، سأل القاضي في اتجاهي، فيما بدا سناً.

"حضرة القاضي"، قال محامي أثناء وفوفه. "قد تم تحريف بيان الأكمة غولد بالكامل. أنا أقترح أن نأخذ الوقت الكافي لقراءة كامل النص. وبالنسبة إلى تهمة الحرق المتعمد، تبين أن الحادثة كانت ظرفية محض. صحيح أن دافيد كان موضع الشبهة أساساً، لكنني أملك بيانات تغيد أن دافيد أوقف انتشار الحريق الذي أشعله قاصر آخر. وبالنسبة إلى تقارير الملوكة أثناء احتجاز دافيد، فقد كان الولد، كما قلت، "مشتتاً". وبالنسبة إلى منزل الرعاية الذي سبعود إليه دافيد، فإن آل كاتزري ينتظرون بفارغ الصبر عودة دافيد. شكراً".

دون القاضي بعض الملاحظات قبل أن يومئ برأسه للمحامي الآخر الذي نهض عن مقعده. "حضرة القاضي، فيما لا توجد بعد أية وقائع مؤيدة، كشف القاصر عن خلل وظائف مغرط في السلوك. بالإضافة إلى ذلك، لديّ شهادة خطية موقعة من الأم البيولوجية للقاصر، أي السيدة بيلزر، تغيد أن القاصر أشعل حراق عدة في القسم السفلي من منزله السابق. وتعترف السيدة بيلزر لسوء الحظ بأنها كانت عاجزة عن ضبط القاصر في الظروف العادية، وأن القاصر بارع جداً في المناورات والتصرفات العنيفة. الرجاء مراجعة فرار تحويل الرعاية بتاريخ آذار (مارس) الماضي.

"قد أصبح واضحاً تماماً باحضرة القاضي أن السيطرة على القاصر، لأي سبب كان، لم تعد ممكنة في منزله السابق أو في منزل

الرعاية الينيلة. وترى المقاطعة أن القاصر يشكل عبثاً كبيراً على المجتمع. لذا، توصي المقاطعة بأن يتم إخضاع القاصر قوياً إلى فحص نفسي لوضعه ربما في مصح فادر على تلبية حاجاته.

ماذا يعني كل ذلك؟، سألت غوردون، بعد انتهاء المحامي. وقيل أن يتمكن غوردون من إسكاتي، فرك القاضي صدغيه وسأل: 'مراقب السلوك في الإصلاحية؟'

ررز السيد هاتشسون معطفه أثناء الوقوف. يُوصي مراقب السلوك في الإصلاحية بمتابعة المراقبة والاستشارة مع طبيب نفسي آخر. فلم لاحظ أي شيء يجعلني أعتقد أن دافيد يشكل خطراً على نفسه أو على الآخرين. أنا أوصي باستبدال أهل الرعاية لدافيد.

'مولعان بالعقاب، أليس كذلك؟'، ضحك القاضي على نحو خافت قبل المتابعة. 'افتقاعات مسبقة'، قال فيما التفت إلى محامي.

'أبدأ، حضرة القاضي'، قال المحامي فيما اتحتى إلى الأمام. تراجع القاضي إلى الخلف في كرسبه. وفيما نظرت عيناه إلي، أحسست أن الشعر الموجود في الجهة الخلفية لعنقي بدأ يرتفع. حركت يدي اليسرى لحك تراعي الوعنى. حبست أنفاسي في انتظار جواب القاضي. سمع القاضي شاريه. ثم لوماً برأسه بسرعة فيما التفت إلى كاتب المحكمة. نظراً لعدم وجود إثباتات إضافية لتهمة الحرق المتعمد.. توصي المحكمة بالسجن... لمدة 100 يوم في إصلاحية الأحداث، مع حساب الوقت المنصرم.

بالإضافة إلى ذلك، تابع القاضي، لأن تهمة الحرق المتعمد ليها الشباب الصغير هي الأكثر خطورة. لكن السبب الوحيد الذي جعلني لا

أبتك هو أنني لا أملك دليلاً مباشراً. بالفعل، يبدو أنك لمست الشخص الذي ارتكب هذه الجريمة، لكنك كنت في وضع حرج منذ مدة. يبدو أن لديك بعض المزبأ الجيدة والإرشاد الكافي'، قال القاضي وهو يمس برأسه إلى السيدة كلتزي، لكن... من الأفضل استخدام الاثنين معاً. مباشرة بعد استمعال القاضي للمطرقة، همس غوردون: 'سوف تخرج بعد 30 أو 34 يوماً.'

'لكني لم أفعل ذلك'، قلت متخفياً.

'لا بهم'، قال غوردون 'قلماً تكون الممالة كذلك. صدقتي أيها الولد'، قال وهو يوشر إلى القاضي. 'هذا الرجل هو بابا تويل. فلو كان بيد الادعاء أي دليل ثابت، لكنت أبتسك الآن سترة المجانين المضحكة. بالإضافة إلى ذلك، بكشف الرجل العجوز عن ضعف تجاه الأزام الصغار أمثالك. هيا، عد الآن إلى حجرتك أيها الحيوان'، قال غوردون مازحاً أثناء نهوضنا.

من دون سلبق إنذار، وقفت أمي أمام غوردون. أنت مخطئ! أنت مخطئ تماماً! سوف نرى! لقد حثرت تلك المعادة الاجتماعية وها أنا الآن أحزنك!، قالت أمي فيما وجهت إصبعها نحو السيد هاتشسون. 'إنه سيء! إنه شرير! سوف نرى! وفي المرة التالية، سيؤذي أحداً! وكلما أسرع في التعاطي مع هذا الولد، سوف تلاحظ أنني محقة وأنا لم ارتكب أي خطأ! أنت مخطئ تماماً إذا كنت تظن أن هذه نهاية الممالة! انتبه! ثمة مكان واحد فقط لهذا الولد. سوف نرى!'

خرجت بعدها من القاعة، وهي تجر كفيين وراءها.

اقتربت أكثر من غوردون، الذي أصبح وجهه باللون الأبيض

الطيشوري، "أين تعيش أمك؟"

"في المنزل"، أجبت.

"أوه؟"، سأل غوردون وهو يرفع حاجبيه. "في المنزل الذي /حرقته؟ أعني أنه إذا لحقت النسم السفلي، لا شك أنك أحرقت للمنزل أيضاً".

"نعم"، ضحكت بعد أن أدركت مما زححته لي.

بعد 34 يوماً، بكيت فيما أنا أجمع أشغالي الحرفية ومجلداتي المدرسية التي وضعتها في صندوق كرتون صغير. وللغريب أنني لم أكن أريد المغادرة. ففي العالم الخارجي - كان يسهل علي التورط في مشاكل. أثناء وجودي في هيكريست، اعتدت على محيطي. كنت أعرف تماماً ما هو متوقع مني. شعرت بالأمان والثقة. فيما رافقتي كارل ميغيل إلى المكتب الأممي، شرح لي أن العالم الخارجي سيكون فعلاً الاختبار الحقيقي لصمودي. "بيلز"، قال كارل فيما هو ممسك بيدي، "أتمنى ألا أراك مجدداً".

صافحت كارل قبل أن أسمع السيدة كانتزي التي بدت مصعوقة عند رؤية مروالي الذي أصبح صغيراً علي. "حسناً؟"، سألتني.

"كيف هي سلحتاتي؟"، سألتها

"حسناً أستطيع للقول في الوقت الحاضر إنها في مأزق"

"أمي؟"، قلت منتحباً، وأنا مدرك أن لبلبان كانت تمازحني. "هيا"،

قلت لها فيما أشبك يدي بيدها، "فلنذهب إلى البيت".

أشرق وجه لبلبان مثل شجرة الميلاد حين أدركت أنها المرة الأولى التي لقادي فيها منزلها بيتي. أمسكت بيدي المفتوحة. "إلى المنزل؟"

## الفصل

### 8

## غريب

لم تعد الأمور أبداً كما كانت عليه بعد إطلاقي من إصلاحية الأحداث وعودتي إلى آل كالتزي. فقد كان بقية الأولاد الأرباب ينظرون إليّ بحذر وريبة. وكلما كنت أدخل إلى غرفة، كانوا يتوقفون فجأة عن الكلام ويكشفون لي عن لبسمات زائفة. وكلما حاولت الانضمام إلى محادثة، كنت أجد نفسي واقفاً أمام الجميع فيما يدي دخل جيوب سروالي. وبعد دهر من الصمت، كنت أغادر غرفة الجلوس وأنا أشعر بالعيون المحدقة في الجهة الخلفية لعنفي. حتى لاري الكبير، الذي اعتبرته قبلاً مثل "لخي الكبير"، رفض صداقتي قبل مغادرته المنزل. وبعد بضعة أيام، وجدت نفسي أقضي كل وقتي ولنا جالس في غرفتي. لم أكرر حتى لأراجتي التي بدأت تصدأ.

وبعد ظهر يوم جمعة، في تموز (يونيو) 1974، جاء إليّ غوردون هانشنسون. شعرت بالكثير من الإثارة فيما كان يتسلق السلم متوجهاً إلى غرفتي. لم أستطع الانتظار حتى أبداً بالنكلم إلى أحدهم. لكنني عرفت من مظهره المتجهّم أن نعمة مشكلة فظيعة. "ما الأمر؟"، سأله بصوت منخفض.

وضع غوردون يداً على كتفي. "عليك توضيب حقيبة"، قال بشفقة. أبعدت يده عني. ملأت مشاهد هيلكريست رأسي. "لماذا؟"، قلت متعجباً. "ماذا فعلت؟"

شرح لي غوردون بلطف أنني لم أواجه أية مشكلة وأنه علم بالصراع الذي أواجهه في منزل آل كاتزري منذ عودتي. قال لي أيضاً إنه يحاول نقلني إلى منزل آخر للتربية البديلة فيه عدد أقل من الأولاد. بالإضافة إلى ذلك، اعترف لي، أنا في ورطة. فهناك ولد كبير جرى إطلاقه يوم الاثنين من الإصلاحية، وتم تعيينه للعيش هنا. لذا، تعال الآن، تترك.

أرسلت البكاء، لكنني ركضت بدل ذلك إلى غرفتي. سارع خفان قلبي نتيجة الإثارة والخوف من عدم معرفة ما سيحدث لي لاحقاً. بسرعة البرق، فتحت كل الأدراج وأخرجت الملابس من الخزائن وأقمت كل ما أستطيع في كيس ورقي بني. وبعد دقائق، سرقت لحظة من الوقت لألقي نظرة أخيرة على الغرفة التي نمت وبكيت، ولعبت وقضيت الكثير من الوقت فيها على مدى أكثر من عام. فحسني حين شعرت أن عالمي ينهار من حولي. كنت أحسن دوماً بالأمان والطمأنينة في غرفتي. وفيما أغلقت الباب برفق، أغلقت عيني وقلت لنفسني مرة أخرى إنني أحسن. فلما عدت إلى الأسسيتان بشأن الرعاية البديلة اللذان تعلمتهما أثناء وجودي في منزل العمة ماري هما عدم التعلق كثيراً بأي كان وعدم الاستخفاف بمنزل أي شخص. لقد كنت سائجاً جداً حين أقمت نفسي بأني سأعيش مع رودى وليليان لبينة حياتي. أغلقت عيني محاولاً حبس الدموع في الداخل.

بعدما أجرى غوردون اتصالاً هاتفياً بمنزل رعية آخر، ترجب عليه ففصلني عن ليليان بعدما تعلمنا. نظرت في عيني ليليان. واعداً إياها بأني سأكون ولداً جيداً وأني سأبقى على اتصال معها. في

الخارج، فتح غوردون باب سيارته الشيفي نوفا البنية، فوضعت أغراضي في المقعد الخلفي قبل أن يسمح لي بالدخول إلى سيارته. وفيما كان يرجع سيارته في الممر، استطعت مشاهدة خطوط الماسكرا السوداء تسيل على وجه ليليان. وقفت أمام نافذة غرفة الجلوس نفسها حيث كنت أقضي ساعاتي للاستهانة في انتظار الاحتمال البعيد لزيارة والدي. وفيما لوحت الوداع ليليان للمرة الأخيرة، أدركت فجأة أنها كانت ورودي يهتمان بي ويعاملانني أفضل من أهلي الحقيقيين.

لم أنطق أنا وغوردون بأية كلمة طوال دقائق عدة. تتحج غوردون أخيراً. "هاي، دايه. أعرف أن الأمور تجري بسرعة كبيرة، لكن آه.."  
"لكن ماذا؟"، قلت منتحياً.

أصبح وجه غوردون مشدوداً نتيجة الخيبة. "إسمع"، قال بصوت عالٍ. "من النادر، النادر جداً، أن يبقى ولد في منزل بغير ما ببيت أنت. أنت تعرف هذا، أليس كذلك؟ وأنت ببيت هناك لكم من الوقت؟ لأكثر من سنة؟ حسناً هذا رقم قياسي".

غرقت في المقعد وأنا مدرك بأن كل ما يقوله صحيح. لقد استخففت بالأمور طويلاً. أدركت رأيي إلى النافذة لأشاهد الأتقاء المألوفة من مدينة الماضي.

أفسد غوردون تركيزي. "هاي، دافيد، أنا أسف. لم يكن بجدر بي معاملتك هكذا. لكن المشكلة أنني لنسى أحياناً ماذا تكون حال ولد في موقعك. سوف نرى. لقد اخترت لك منزلاً آخر البارحة، لكنني تأخرت في المحكمة قبل أن آتي لأصطحبك. حسناً... يضم ذلك



المنزل ولداً ربيباً آخر... يا الهي، لا أعرف ماذا أفعل بك.

يمكنك إعانتني إلى آل كاتتزي، اقترحت عليه بصوت لطيف.

"لا أستطيع فعل ذلك. فكما قلت لك قبلاً، لقد عينتك البارحة خارج منزل آل كاتتزي، ما يعني أنهم لم يعودوا المسؤولين للقانونيين عنك. من الصعب جداً شرح هذا. والاساس هو أن أعثر لك على منزل".

فيما كان غوردون يبحث عن الكلمات، سيطر الخوف على قلبي. انركت فجأة لني نسيت دراجتي، والأهم من ذلك، سلحتاتي الصغيرة. ضحكك غوردون حين أخبرته، ولذلك سحبت ذراعه ممازحاً. لقد عرف كم تعني لي مشاعري، لكننا عرفنا معاً أن العثور على مكان لأمكت فيه هو أكثر أهمية.

توقف غوردون قرب منزله. أصبح لهاتف ملتصقاً فجأة بأنذه فيما كان ينوسل الأهل بالورعية في الطرف الآخر من الهاتف لاستقبالي، حتى لو لبضعة أيام. وبعد ساعات عدة، أغلق الهاتف وهو خائب الأمل. "اللجنة"، قال. "لا يوجد أبداً ما يكفي من المنازل! وكل المنازل التي لدينا مليئة!" راقبته مجدداً وهو يهجم على الهاتف. تغيرت نبرته بعد لحظات. ورغم أنه أدار ظهره لي، استطعت سماعه يسأل بهدوء "ما هو العدد في الجناح أ؟ نعم؟ حسناً، حضر سريراً ليليزر. لا، لا، إنه شريف! لا أحكام. أنا أحاول فقط إيجاد مأوى له ولا أعثر على منزل. حسناً، شكراً. سأصل بك قبل أن تأتي".

ألفي غوردون نظرة خاطفة عليّ وأدرك أنني فهمت ما كان يجري. "أسف، دافيد، لم أعرف ماذا أفعل".

شعرت بلهلق عظمي كبير لدرجة أنني لم أعد أهتم. لا بل إنني تطلعت بأمل ولهفة إلى روتين الإصلاحية ومشاهدة مستشارين مثل كارل ميغيل مجدداً. وقبل أن أطلب من غوردون أخذي إلى الإصلاحية، لطبق أصابعه وأمسك بسترته وخرج من الباب طالباً مني اللحاق به إلى السيارة. أبتسم لي ابتسامة متكئة داخل سيارة الشيفي نونفا. كان يجتر بي للتذكير في هذا قبلاً. يستحيل على بعض هؤلاء الأهل القول لا حين يضطرون إلى الاعتناء بك أيها الأولاد. أعرف أنها مهمة صعبة، لكن الأوقات العصيبة تستلزم إجراءات مفرطة.

أغمضت عينيّ نصف إغماضة فيما أنا أحاول فهم ما تعنيه كلمات غوردون. وقبل أن أتمكن من طرح السؤال، لنحني صدري إلى الأمام فيما عمداً إلى تغيير مبدل السرعة ووقف السيارة. "حسناً، أعلن بفخر، ما قد وصلنا. أرني أفضل صورة لك"، قال غوردون بفخر فيما كان ينقر بأصابعه على نافذة الباب قبل برهة من خروجه.

شعرت أنني لنصّ بدخل إلى منزل شخص آخر من دون إنذه. برز فجأة رأسان من مطبخ مجاور. "حافظ على هدوئك واجلس". أشار إليّ غوردون للجلوس على أريكة قبل أن يغمضني بعينه. استدار بسرعة وفتح ذراعيه. "هالولد! أليس! من الرفيع فعلاً نقاؤكما! كيف حالكما؟" دخل إلى المطبخ.

هزأت رأسي وضحكت في قرارة نفسي على شخصية غوردون المتبدلة مثل الحرياء. عرفت أنه إذا أراد أمراً ما، يمكنه إقناع أي كان بأي شيء. ذكرني بأولئك الشباب المجانين في التلفزيون الذين حاولوا يائسين إقناع الناس بشراء السيارات.

فيل أن بسحب غوردون كرسياً من أمام طاولة المطبخ، عرفت أننا في مشكلة. فالرجل، هارولد، كان يرتدي قبعة من القش وهز رأسه. "لا، لا يمكننا أخذ المزيد. ليس لدينا غرف"، نعمت فيما أخذ مجة من سيجارته.

أمسكت بكبسي المتجدد إذ كان على وشك الوقوف للرحيل حين قالت السيدة أليس: "إهدأ الآن يا ليو. يبدو مثل ولد جيد". انحنفت أليس إلى الأمام وانضمت لي. رفعت حاجبي وانضمت لها.

"لا نملك رخصة لرعاية الصبيان. أنت تعرف ذلك"، قال هارولد.

تدخل غوردون. "سبكون ذلك لبضعة أيام فقط، إلى أن أتمكن من العثور له على منزل آخر. بجدر بي العثور على مكان له، لنقل، بحلول الاثنين... أو الأربعاء على أبعد تقدير. أنتما تسديان لي ولدافيد خدمة كبيرة فعلاً".

"والأوراق؟"، سألت أليس.

رفع غوردون إصبعه. "أوه... أنا لا أحملها معي، لكنني... سأحضرها في الأسبوع المقبل... وسوف... نتحدث عن التواريخ... هاي، انظروا إلى الوقت! علي الذهاب! شكرًا مجددًا أراكما في الأسبوع القادم!"; قال وخرج بسرعة من المنزل قبل أن يتمكن هارولد وأليس من تغيير رأيهما.

بقيت ملتصقةً بالأريكة، ممسكةً بكبسي قرب صدري. أبقيت رأسي منحنيًا إلى الأسفل فيما نظر هارولد وأليس إلي بحذر قبل دخولهما إلى غرفة الجلوس. "حسنًا، أين سينام؟"، سأل هارولد بنبرة صارمة. بعد شجار بسيط، قررت أليس أنني أسطيع مشاركة الغرفة

مع ميشيل، فتأذ ربيبة في السابعة عشر من عمرها، تعمل خلال الليل. تابع هارولد في الاحتجاج زاعماً أن مشاركة الغرفة مع أخته شابة ليس ملائماً. حاولت إحداث أول انطباع جيد عني، فتوجهت نحوه ونظرت مباشرة في عينه وقالت له: "أوه، لا بأس! أنا لا أمانع!"

فيما خرجت الكلمات من فمي. أدركت أنني وقعت في مشكلة. خلال أنيالي الأربع التالية، نمت تحت مجموعة من البطانيات الصوفية القديمة على أريكة في غرفة الجلوس.

لم أفهم السبب الذي جعل هارولد غاضباً جداً، لكنني وجدت على الأقل مكاناً لأمكث فيه. شكرت الله على هذا الأمر.

في الأسبوع التالي، وبعد إجراء فحص سريع لمحتويات كبسي والفول وداعاً لأليس - السيدة تورنبوغ - صعدت إلى سيارة غوردون للتوجه إلى منزل رعاية آخر. طمأنني بأنه اكتشف المنزل المثالي، رغم أن أهلي الجدد بالرعاية لم يستقبلوا قِلاً أي أولاد أرباب لأتهم حصلوا على الرخصة في الأمس فقط. بدأت العواطف تغزو رأسي. وكلما حاول غوردون إقناعي بأهلي الجدد، أدركت أكثر فأكثر مدى حاجته إلى تأمين ماوي لي.

بعد اجتياز نصف ميل تقريباً، ركن غوردون سيارته أمام منزل بني صغير. خرجت من السيارة وتنهت بعنق ووجهت ابتسامة زائفة للسيدة الواقفة على الشرفة. وقبل أن يتمكن غوردون من تعريفنا إلى بعضنا، نزلت المرأة السلم بسرعة وضمتني إلى صدرها. تكلمت ذراعاي بجنتي فيما كانت يدا المرأة تتفحصان وجهي. لم أكن واقفاً مما بجدر بي فعله. ظننت أن المرأة أخطأت بي واعتنيتي ولداً آخر. وبعد

سبل من العناقات والقبل، أمسكتني الميدة على مسافة ذراع منها. "أوه، أنظر إلى نفسك"، قالت المرأة فيما راحت تهنئ كفتي بسرعة لدرجة أن راسي بدأ يتمايل صعوداً ونزولاً. "أوه، أستطيع للتهامك حياً! غوردون، إنه ظريف جداً! ديفيد"، صرخت المرأة فرحة فيما أخذتني إلى دخل المنزل. لقد انتظرت طويلاً ولداً مثلك!

دخلت إلى غرفة جلوس صغيرة وأنا أسعى جاهداً إلى عدم فقدان توازني. ولحظة تحرر راسي، دفعتني المرأة بقوة على أربكتها. حاول غوردون بذل ما يوسعه لتهدئة المرأة من خلال إجبارها على قراءة عدد لا متناه من الأوراق قبل القبول برعايتي. وأخيراً، أجلسها وشرح لها كل شيء ممكن عن شخصيتي، مراراً وتكراراً، وشدد على أنها إذا أرادت طرح الأسئلة، عليها الاتصال به. "أوه، لا تقلق"، قالت السيدة فيما ابسمت لي وأمسكت بيدي. "يفترض بولد صغير مثل هذا ألا يسبب المشاكل أبداً".

نظرنا أنا وغوردون إلى بعضنا البعض بدهشة في اللحظة نفسها. "حسناً، قال وهو يضحك في مزه، "سوف أذهب الآن وأترككما تتعرفان على بعضكما".

مشيت مع غوردون حتى الباب. ومن دون أن نعرف السيدة، انطى وقال لي: "مصرف الآن كولد جيد". انحنيت مذلولاً لأنه عرف أنني سأكون كذلك.

بعد رحيل غوردون، ارتمت السيدة على الأريكة. أغلقت عينيها وهزت رأسها من جانب إلى آخر لعدة دقائق. ظننت أنها متبكي. "حسناً... أنظر إلى نفسك!"

ليستمت لها، ومن دون تفكير منحت يدي قاتلاً: "أنا دافيد بيلزر". غطت المرأة فيها ببدها. "أوه، بالغبائي. أنا جوان نالز ويممكنك مناداتي السيدة نالز. كيف يبدو لك ذلك؟"

أومات براسي وأنا مدرك تماماً بأن جوان نعتبرني ولداً صغيراً وليس مراهقاً في الثالثة عشرة مثلاً أردت اعتباري. "هذا لطف منك... سيدة نالز"، أجبته.

بلمح لايصر، نهضت السيدة نالز عن الأريكة وأرتتي بفخر صورة لزوجها. "إنه مايكل"، قالت بتردد وحجب. "للسيد نالز. إنه يعمل في مكتب البريد، أضافت وهي تضع الصورة قرب صدرها وترتبها كما لو أنها تحمل ولداً. لكنني شعرت بتحسن بعد اللقاء أخبراً بالسيد نالز، لاذي أصغر لكي لأدنيه مايكل". عرفت من وجه جوان أنها لم تحب الطبيعة المتساهلة لمايكل أو تحنيه لقواعدها.

كانت تبدو دوماً أنها تكبت شعورها أمام مايكل، لكن لحظة مغادرته إلى العمل، كانت تعود لتعاملني كأني دمية صغيرة. أصرت جوان على غسل شعري، ومنعتني من الركوب على درجتي أبعد من زاوية المعنى. وبدل المصروف البالغ 2.50 دولار الذي كنت ألتفاه من آل كاتتزي، وضعت بكل فخر ربعي دولار في راحة يدي. "والآن، لا تنفق كل هذا في مكان واحد"، حذرتني.

"أوه، لا تقلقي. إن أفعَل ذلك"، طمأنتها وأنا أتساءل عما أستطيع فعله بهذين الربعين.

ويسبب فيود جوان، كنت أقضي معظم وقتي وأنا أتجول في منزلها. كانت غرفة الجلوس مكسوة بكل الأغراض المتوافرة في

كتالوج آيفون، أمضيت ساعات وأنا أصدق في آلاف الأشياء. وفي بداية بعد الظهر، كنت أشعر بضجر كبير فأجلس أمام التلفزيون وأشاهد الرسوم المتحركة. وحين أصبح عاجزاً عن تحمل حلقة جديدة من الرسوم المتحركة، كنت أجزّ نفسي إلى غرفتي وأقضي الوقت بالتلوين في دفتر تلوين أعطتني إياه.

تماماً مثل المرحلة التي عشت فيها مع أمي، بدا لي أنني أعرف فور حدوث خطب ما. وحتى لو كان باب غرفة نومي مغلقاً، كنت أسمع الخلافات الساكنة تتحول إلى معارك صاخبة. وفي مرات عدة، سمعت مايكل يشتم حضوري في منزله. أدركت أن رعايتي كوك ربيب كانت فكرة جون، لأنها كما قالت لي، كانت تشعر بالوحدة وهي عاجزة عن إنجاب الأولاد. وكلما تشاجر مايكل وجوان، كانت صور أمي وأبي تتصارع إلى ذهني. أدركت تماماً أنني لست في خطر جسدي، لكنني بغيت رليضاً في الزاوية البعيدة لغرفتي مع بطانية فوق رأسي. وفي إحدى المرات، بعد مرور أيام قليلة على بداية المدرسة، أصبح صراخهما عالياً جداً لدرجة أن النوافذ في غرفة نومي بدلت نهتز.

في صباح اليوم التالي، حاولت النحدث إلى جوان التي بدت على وشك الانهيار. بقيت بجانب الأريكة طوال اليوم، أشاهدها تعانق صورة زفافها فرب صدرها فيما تتأرجح في كرسيها الهزاز. دخلت إلى غرفتي على رزوس أصابعي بأكبر هدوء ممكن ووضعت ثيابي في كيس الورق البني. أدركت في تلك اللحظة أنها مسألة وقت فقط قبل أن يحين موعد رحلي.

تبحرت مشاكلتي مع آل نالز في أول يوم لي في ثانوية باركسايد.

جلست فخوراً أمام الطاولة الدائرية الكبيرة في صفي. ابستمت للولاد الآخرين الذين راحوا يمازحوني. وقام أحدهم، ستيفن، بدفعي برفق زاعماً أن فتاة من الطاولة الأخرى تنتظر إلي. "إذا؟"، سألته. "أين هي المشكلة؟"

"إذا أعجبك فتاة، عليك منادائها بـ 'الرعب'، شرح ستيفن. أحببت رأسي إلى جانب واحد. وفيما كنت أفكر في الكلمة التي أرادني ستيفن أن أقولها، أوما إليّ بغية الصبيان علامة الموافقة. وبعد تشجيع مسهب من رفاقي الجدد، حاولت أن أبدو هادئاً وأتحدث فوق الفتاة لأهمس لها: "أنت أفضل رعب شاهدته في حياتي".

فجأة، أصبحت الغرفة كلها، التي كانت تضمّ بالجلبة، صامتة مثل الكنيسة. التفتت كل الرؤوس إليّ. وضعت الفتيات الجالسات على الطاولة أيديهن على أفواههن. ابتلعت بصعوبة متركاً أنني ارتكبت خطأ مجدداً.

بعد انتهاء الصف، هرعت الغرفة كلها المليئة بالأولاد إلى الباب. لحظة خروجي من الصف، شعرت أن الشمس اختفت. حدثت مباشرة في وجه أكبر تلميذ من الصف الثامن شاهدته في حياتي. "ماذا قلت لأختي؟"، قال بازدرأ.

ابتلعت بصعوبة مجدداً. فكرت في شيء ذكي لأقوله. لكني قلت له الحقيقة بدل ذلك. "رعب"، قلت هامساً. وبعد برهة، تدفق الدم الساخن من أنفي. كانت قبضة تلميذ الصف الثامن سريعة جداً لدرجة أنني لم ألاحظها قائمة نحوي.

"ماذا قلت لها؟"، كرّر

أغلقت عيني قبل أن أعطيه الجواب نفسه.

نحطيم.

بعد توجيه مت ضربات إلى وجهي، أدركت أنه لا يجدر بي لفظ كلمة "رعب" لأنها تعني شيئاً سيئاً جداً. اعتذرت إلى الوالد بحجم الغوريلا الذي ضربني مجدداً وهدد قلائد: "لا تقادي أختي أبداً مومساً" مجدداً!

بعد ظهر ذلك اليوم، بقيت في منزل جوان داخل غرفتي فيما أحاول إصلاح إطار نظاراتي. لم ألاحظ أن جوان بقيت داخل غرفتها أيضاً. ومع مرور الأيام، أردت أن أسألها ومايكل عن معنى كلمة "مومس"، لكنني أدركت من طريقة تصرفهما تجاه بعضهما أنه يستحسن إبقاء مشاكلي لي وحدي.

بعد أسبوعين، وعند العودة من المدرسة، وجدت جوان تدفن رأسها بين يديها. هزعت إليها. أخبرتني أنها ومايكل على وشك الطلاق. بدأ رأسي ينبض. جعلت بفزها حين راحت تخبرني أن مايكل يقيم علاقة مع امرأة أخرى. أومات برأسي فيما كانت جوان تبكي، لكنني لم أعرف ما تعنيه فعلاً. لكنني فضلت عدم السؤال.

بقيت بجانبها إلى أن ظلت تبكي حتى النوم. شعرت بالفخر. فأول مرة في حياتي، نجحت في مساعدة أحدهم. أطفأت مصباح غرفة الجلوس وغطيت جوان ببطانية قبل أن أنحلق من محتوياتي في الكيس الورقي البني للمرة الأخيرة. استلقيت على سريرتي، وأنا أعرف في أعماق قلبي أنني كنت نوعاً ما السبب في طلاق آل نالز. بعد يومين، أدت رأسي بعيداً عن جوان التي كانت تبكي على

الشرفة فيما انطلق غوردون بسيارته الشيلي نوا.

وضعت يدي في جيب سروالي وسحبت ورقة تحتوي على عناوين وأرقام هاتف كل منازل الثرية التي زرتها قبلاً. اقتصدت قلماً من غوردون ووضعت خطأ فوق اسم جوان ومايكل نالز. لم أشعر بأي ندم. أدركت أنه إذا فكرت بمشاعري تجاه جوان نالز أو أليس توربوغ أو لبلان كالتزي، سأنهار حتماً وأبدأ بالبكاء. شعرت أنني تخطيت ذلك. أعدت ورقة العناوين بعناية إلى جيبتي.

حررت رأسي من كل المشاعر التي لدي تجاه آل نالز - أو أي شخص آخر - فيما ألفتيت نظرة خائفة خارج نافذة السيارة. ومضت عينا، ظننت أنني أن غوردون يأخذني إلى مدينة دالي. هل نحن ذاهبون في الاتجاه الصحيح؟، سألت بصوت ضعيف.

تنته غوردون. "دافيد، آه... لقد نفتت منازل الرعاية البديلة. والشئ الوحيد الباقي موجود قرب منزل أمك".

شعرت بانفياض في حنجرتي. "ما مدى القرب؟"، قلت بتذمر. "أقل من ميل"، أجاب غوردون بصوت جاف. أومات برأسي فيما ظهرت أمامي مدرسة توماس إديسون الابتدائية. حسبت أن المسافة التي تفصل بين مدرستي القديمة ومنزل أمي هي أقل من ميل. شعرت أن صدري بدأ يضيق. ففكرة العيش بالقرب من أمي جعلت قلبي يخفق بقوة، لكن ثمة شيء غير. أنصقت وجهي تقريباً بحافة النافذة. بدت المدرسة مختلفة تماماً. "ماذا حدث؟"، سألت وأنا أهز رأسي من جانب إلى آخر.

"أوه، إنها مدرسة ثانوية الآن. سوف تأتي إلى هنا".

تذهنت بعمق، ألا يعني ذلك أنها لا تزال هي نفسها؟ سألت نفسي بصوت تهكمي. اكتفى سريعاً بصيص الإثارة لفكرة رؤية أسلحتي النقيق أنقذوني. وحين ابتعد غوردون عن المدرسة، في الاتجاه المعاكس لشارع أمي، تنقست قليلاً بصورة أسهل. شعرت أنني دخلت في دوامة زمنية فيما كانت سيارة الشيفي نوقاً تعبر المشوار المليئة بالبيوت الشبيهة كلها بمنزل أمي في جادة كريستالين. لم أصدق كم بدت تلك البيوت صغيرة. لكن الغريب أنني شعرت بالأمان. لبستعت لقاء تألمي لشجار التخييل الطويلة الموجودة أمام الحفول الأمامية للمنازل الأحادية الطابق التي بدت صغيرة الآن. لم أصدق أنه مر عامين الآن على إنفاذي. لُزمت النافذة، وأغلقت عيني وتنفست الهواء البارد والرطب.

لوقفت غوردون سيارته في أعلى هضبة متحدرة تبعته نحو سلم أحمر مؤد إلى منزل بدا شبيهاً بمنزل أمي. وحين فُتح الباب الأمامي، كانت عيناى نخرجان من رأسي. انحنى غوردون صوبى. "سوف نكون على ما يرام؟ أنت لست من النوع المتحامل، أليس كذلك؟"

هزرت رأسي فيما بقي فمي مفتوحاً. "متحامل؟"، سألته. لم أحظ قليلاً بأهل رعاية من للعرق الأسود. صاغت سيدة سوداء يدي وعزفت عن نفسها بأنها فيرا. أخذت فوراً موقعي على أريكة في غرفة الجلوس فيما كان غوردون وفيرا يتحدثان في المطبخ. حدثت عيناى في كل اتجاه، للتشويق في كل زاوية، وكل ركن في منزل فيرا. بدت الأرضية كلها متشابهة. تذكرت أن جدران منزل أمي كانت مشبعة برائحة دخان السجائر الكثيف والخلق والرائحة النتنة لبول الحبوبلات. لكن منزل فيرا امتاز بللمسة نظيفة. وكلما حدثت أكثر في منزل فيرا، لبستعت أكثر.

بعد دقائق قليلة، جلس غوردون بقربي على الأريكة. وضع يده على ركبتي، وقال لي إن منزل أمي بعيد جداً، إذ يقع على مسافة ميل تقريباً. أومات برأسي وفهمت معنى أمر غوردون. لكنني خفت من أن نعرش على أمي. "هل سنقول لها أين أسكن؟"

"نصناً"، بدأ غوردون، فيما هو يسعى جاهداً للعثور على الكلمات الصحيحة، يتوجب علي حسب القانون إطلاع أمك فقط على لك تقيم ضمن حدود المدينة. ولا أرى حاجة لإخبارها شيئاً آخر غير ذلك. فكما تلاحظه لنا لست مولعاً كثيراً بها". تميز بعدها بغير وجهه. "وَبِحَقِّ الله، إحرص على البقاء بعيداً عنها! هل أنا واضح في ذلك؟"

"مثل البلور"، أجبته وأنا أؤدي له النحية العسكرية

رنت غوردون يعلانية على ركبتي عند تهوضه عن الأريكة. سرت معه إلى الباب وصاغت يده. والواقع أن الانفصال عن غوردون في منزل غريب كان الجزء الأكثر صعوبة، وإما الأكثر تكراراً، في علاقتنا. شعرت دوماً ببعض الخوف. وبدأ لي أنه أحسن به على الدوام. "سوف نكون على ما يرام. إن آل جوتز أشخاص طيبون. سوف أوزورك بعد بضعة أسابيع".

أغلقت فيرا الباب بلطف شديد وراء غوردون، ثم أخذتني إلى ممر ضيق. "أنا آسفة، لكننا لم نكن نتوقعك"، شرحت لي بصوت لطيف فيما هي تفتح باب غرفة النوم في نهاية الممر. دخلت إلى غرفة خالية، لها جدران بيضاء، ومحتوية على فراش ضخم قرب أحد الجدران وممرير قابل للطي في الجانب الآخر. شرحت لي فيرا على مضمض بأنني سأشارك الغرفة مع ليزا الأصغر. لبستعت إستماعة رافقة لفيرا فيما

تركنتي وحيداً في الغرفة. أخرجت ثيابي بحذر شديد من الكيس الورقي وكنمتها في كومات صغيرة ومرتبّة عند أعلى سريري للقيام للطي. رحت أقضي على الوقت من خلال ترتيب ثيابي مراراً وتكراراً كما لو أنها في درج حقيقي. فجأة، أغلقت عيني ورحت لبكي في داخلي لفكرة لئي لن أكون مع آل كاتتزي بعد اليوم.

في فترة لاحقة من بعد الظهر، تعرّفت إلى سبعة مرافقين لرباب آخرين يعيشون في غرفة مستعملة كبديل مؤقت في الكراج. كانت القروش محتشدة في كل زاوية وكل مساحة أخرى متوافرة. ثمة مصباحان قديمان منحا للفرقة توهجاً ناعماً، فيما استعملت خزانات الكتب لحفظ كل ممتلكات المرافقين. نبذ كل قلقي بعد لغائي جودي، زوج فيرا، والذي ضحك مثل بابا تويل فيما كان يرقعني عالياً لترجة أن رأسي ارتطم تقريباً بالسقف. تعلمت بسرعة أنه مهما كانت الحال، يتوقف كل شيء وكل واحد عن عمله ويتنلس للحصول على انتباه جودي كلما أتى هذا الأخير إلى المنزل. وعلى رغم ضيق الأمور، برز رليط عاتلي حقيقي. املت فقط أن أبقى لفترة كافية حتى أحفظ رقم هاتفيهم.

كان يومي الأول في ثانوية فرناندو ريفيرا أفضل كثيراً من يومي الأول في ثانوية باركسايد في سان برونو. أيقنت فسي مغلفاً ورأسي متخضمّاً إلى الأسفل. ولثناء الفرصة، حاولت بائساً معرفة ما حل بأساتذتي السابقين واكتشفت أنه تم نقلهم إلى مدارس أخرى في المقاطعة. شعرت بالفراغ والأسى على نفسي، إلى أن تصادقت يوماً مع كارلوس، ولد إسباني خجول. كنا نتشارك معظم الصفوف،

وتجوب أرجاء المدرسة أثناء الفرصة. بدا أن لدينا الكثير من الأمور المشتركة، لكن على عكس "صديقي" جون في مدرسة مونتي كريستو الابتدائية، لم يكن كارلوس يعرف الشر أو الأذى. وبما أن كارلوس لا يستطيع تحدث الانكليزية بطلاقة، لم نشعر بحاجة كبيرة للتحدث إلى بعضنا. والغريب أننا كنا نملك أنا وكارلوس طريقة لمعرفة ما يفكر به الآخر، بمجرد تعلبينا. وخلال فترة وجيزة، أصبحنا غير منفصلين. وفي نهاية اليوم المدرسي، كنا نلتقي عند حجرائنا المقلدة بحيث نتمكن من العودة إلى المنزل معاً.

في أحد الأيام، وبسبب الضجر، ألقعت كارلوس بأجنيتار الشارع للوصول إلى مدرسة توماس إينيسون الابتدائية الجديدة. وفيما كنا نمشي أنا وكارلوس في الأروقة، لم أصدق مدى نفاهة الأولاد. فقد كانت مجموعات الأولاد تتفجر ضحكاً فيما هي تتسابق للوصول إلى الملعب. كان رأسي محتباً إلى الجانب حين انعطفت حول زاوية وارتطمت بولد كبير. تسببت الاعتذار لبرهة قبل أن أدرك أن ذلك الولد هو شقيقي راسل. تراجع رأسه إلى الخلف لبرهة. تمكنت عيناوي في كل ناحية من جسمه. أدركت بلمح البصر أن راسل أولاد الصراخ بكل قوته لكنني لم أستطع منع نفسي من الضحك فيه. ارتجفت عيناوي شعرت أن جسمي أصبح مشدوداً تماماً متلماً يكون في اللحظة التي تسبق ركضتي بأقصى سرعة. انحنى رأسي إلى الأمام حين بدأت شفتا راسل تفتحان. أخذت تنقأ عجباً وقلت لنفسني، حسناً، دافيد، هذه هي.

"يالصدقة! أوه يالهي! دافيد! أين.. كيف حالك؟"، سأل راسل بصوت منغل.

نسارعت كل الخيارات في رأسي. هل كان هذا راسل فعلاً؟ هل سيضربني أو يركض لإخبار أمي أنه رأي؟ التفتت إلى كارلوس، الذي رفع كتفيه وأرنت معاناة راسل بكل جوارحه. لكن فمي أصبح جافاً فجأة. "أنا... أنا بخير"، تضمنت وأنا أهز رأسي. "هل كنت بخير؟ أعني... كيف حاله؟ كيف هي الأمور في المنزل؟ كيف أمي؟"

انخفض رأس راسل في اتجاه حذائه البالي. أدركت كم يبدو منطوياً على نفسه. كنت قميصه رقيقة مثل الورقة وذراعه مليونين بالبقع الأرجوانية الداكنة. التفت رأسي نحو وجهه فهتت. هزرت رأسي من دون أن أعرف ماذا أقول. شعرت بالأسى حياله. قطاول سنوات، كنت الهدف الوحيد لغضب أمي. واليوم، يقف أمامي بديلي.

"هل لديك أية فكرة عما ستفعله إذا عرفت أنني تحدثت إليك؟" قال راسل، فيما صوته يرتجف. "الأمور سيئة. أعني سيئة فعلاً. فكل ما تفعله هو اللوم بقسوة والمهاجمة بعنف. إنها تشرب أكثر من قبل، قال راسل وهو ينظر مجدداً إلى حذائه.

"أستطيع المساعدة"، قلت بصراحة. "فعلاً، أستطيع ذلك؟"

"علي... علي الذهاب". انطلق راسل بعيداً، ثم توقف والتفت قائلاً: "أنتظرنني هنا غداً بعد المدرسة". وجهي إلى من ثم ابتسامة عريضة. "هاي، يارجل... أنا مسرور حقاً لرؤيتك".

مشيت إلى الأمام. شعرت بحاجة ماسة إلى التواجد قربه. مددت يدي. "شكراً لك. سوف أنتظرك".

ابتسمت بعد ذلك لكارلوس. "إنه أخي". أوما كارلوس برأسه "نعم يا صديقي نعم".

فكرت في راسل طوال فترة بعد الظهر. لم أستطع الانتظار حتى أراه في اليوم التالي. لكن ما الذي أستطيع فعله؟ قلت لنفسمي. هل يأتي راسل إلى منزل جودي وقيراً معي بحيث ينصل جودي بالشرطة وبستطيع ربما إنقاذه مثلما حصل معي؟ أو ربما أنا أشخيل العلامات على ذراعي راسل بأنها سوء معاملة فيما هي في الحقيقة جروح ورضوض من اللعب. كان يحاول راسل ربما خداعي مثلما فعل قبل أعوام حين وضع ألواح السكوتر في علبتي البالية، ثم ركض لإخبار أمي بأنه شاهدني وأنا أسرق. وكان يحظى بعدها بامتياز مشاهدتي وأنا ألتقي عابتي على جريمتي. لقد دريت أمي راسل ليكون جاسوسها، لكنه كان مجرد ولد صغير آنذاك.

في تلك الليلة، تغلبت مراراً وتكراراً في سريرتي، منسائلاً عما يجب فعله. وفي وقت ما من الصباح الباكر، كنت أخيراً للتوم. رجعت نفسي في الحلم وأنا أنتظرها. انحتي رأسي إلى جانب واحد حين سمعت تنفس أمي. نظرت مباشرة في عينيها لبرهة. وشاهدت نفسي أسير في أنجاسها. أرنت النحدث إليها وسؤالها لماذا أنا؟ لماذا راسل؟ تحركت فمي، لكن الكلمات لم تخرج منه. وبلغم الفصير، تحول وجه أمي إلى اللون الأحمر الداكن. لا! صرخت لنفسمي. لا يمكنك الاستمرار في ذلك! لقد فتني الأمر! فجأة، ظهرت السكين الالامعة والمننفة فوق رأس أمي. حاولت برم جسمي والهرب بعيداً، لكن قدمي لم تستجيبا. حاولت إبعادها بالصراخ. تبعث عيناها السكين فيما هي تغت من يديها. عرفت أنني ساموت. صرخت بكل قوتي لكنني لم أستطع سماع خوفاي.



ارتطم رأسي بالأرض. وجدت نفسي وأنا أحاول التيهوض. وقت  
 وحيداً في الغرفة المظلمة، غير واثق ما إذا كنت مستيقظاً أو أنني لا  
 أزال أحلم. حدثت جيداً بعيني، وأنا أبحث في الظلام. بدا لي أن  
 قلبي علق في حنجرتي. **يا إلهي! قلت لنفسي. ماذا لو أنني ما زلت  
 هناك معها؟** أفرغت رتتي من الهواء حين سمعت صوت ابن جودي  
 وهو يشخر في سريره. أمسكت بقطعة من ثيابي، ووضعتها قرب  
 صدري فيما أنا أنتظر شروق الشمس.

في اليوم التالي بعد انتهاء المعركة، جررت كارلوس فعلياً إلى  
 مدرسة نولس إتيسون الابتدائية. ليست هذه فكرة جيدة، قال  
 كارلوس. **أمك مجنونة** قال وهو يوجه إصبعه إلى جانب رأسه.  
 لو مات برلسي علامة الموافقة. لقد قررت بعد كابوسي أنه ما من شيء  
 سيمنعني من مشاهدة راسل. ثوقنا أنا وكارلوس في المكان نفسه كما  
 في اليوم السابق. شاهدنا عدداً من الأولاد بصرخون ويضحكون فيما  
 يدا أنهم يركضون بين أرجلنا. وفيما ازداد حجم الأولاد تدريجياً، بدلت  
 البحث عن راسل. عثرت عليه عينا في الطرف البعيد للملعب وكان  
 رأسه مغطياً إلى الأسفل. **راسل، صرخت له. "هذا؟"** هز راسل رأسه  
 لكنه لم ينظر إلي مباشرة مثلما فعل في الأمل.

شعرت بشيء يخزني في ذراعي. نظرت إلى كارلوس الذي حدثت  
 عنده في كل اتجاه. ليست هذه فكرة جيدة، **أمك مجنونة**، قال محذراً.  
**ليس الآن!** أجبت. وأنا لا أزال أبحث في رأس راسل. إنه  
 أخي... يا صديقي. إنه يحتاج إلى المساعدة مثلي، أذكر؟، قلت وأنا  
 أؤشر نحو راسل الذي أبطأ وتيرة.

انحبت إلى الأمام حين أمسك كارلوس بذراعي. **"لا"، صرخ  
 كارلوس. "انتظر هنا!"**

أبعدت يد كارلوس عني، وشققت طريقي بين مجموعات الأولاد  
 متوجهاً نحو راسل. كنت لا أزال أُمشي حين مددت يدي. رأني  
 راسل، لكنه أبقى رأسه مغطياً إلى الأسفل لسبب ما. توقفت في  
 منتصف الطريق.

ارتعدت ساقاي. بدت ذراعي معلقة أمامي. وقيل أن بصرخ  
 كارلوس، أدركت أن ثمة خطأ قاطع. **"اركض، دافيد"، صرخ  
 كارلوس. "اركض".**

نظرت مباشرة فوق شعر راسل وشاهدت أمي تسير خلفه فيما  
 رأسها مغطى إلى الأسفل. حدثت عينا أمي الباردين والشريرتين في  
 حين أتبح لها مشاهدي بالكامل. بدا وكان الأولاد يرفصون حولها  
 فيما هم يتبعثرون في كل اتجاه. وقف راسل على مسافة إثبات  
 متي، ثم انفتحت نحو أمي التي ابسمت. اخنت يدها في محفظتها فيما  
 راحت تقترب مني أكثر فأكثر. ولبرهة، بدا وجه أمي متردداً، فيما  
 كانت تسحب قطعة لامعة من الحديد..

فدنت توازني حين جر أحد ذراعي إلى الخلف. وقعت على  
 ظهري، وبقيت عينا في شخصتي في أمي. بدا كارلوس الواقف  
 فوقي بسحبي إلى الخلف. أدركت أن هذا كابوس بلا ريب، لكن  
 صراخ كارلوس جعل كل شيء حقيقياً. كافحت للوقوف، وشعرت  
 بيدي كارلوس ترفعان قدمي.

أغمضت عيني لبرهة وشاهدت أصابع أمي تمتد نحو عني. كتبت

قريبة جداً لدرجة أنني استنطعت شم رائحة جسمها الكريمة. وبلغ للبصر، شققنا أنا وكارلوس طريقنا عبر مجموعة الأولاد الأصغر سناً. وفيما كنا نهرب، نظرت خلفي. أمسكت أسي بزراع رامل فيما جعلت مشيتها أكثر سرعة. أمسك كارلوس بيدي وأخذني إلى موقف السيارات. شعرت بالضييق في صدري نتيجة الخوف المطلق والافتقار إلى الأوكسجين. تارحت زراعي بعنف. ركضت إلى موقف السيارات ونظرت مجدداً خلفي. بحثت عني عن أي دليل لأمي أو راسل. ومن دون إنذار، تعذرت قلبي. افقتت ساقاي إلى أي إحساس وتوجب عليّ محبتي عبر الهضبة الصغيرة التي ركضتها قبل أعوام وصولاً إلى زراعي أسي قبل أن نغادر نحو التهر. بدت لي الآن الهضبة نفسها بمثابة قيري. شعرت بالوخز في ساقاي، وأرجبت ركبتي الحك من الجانب وأصبحت أسناني مطبقة من شدة الخوف.

استنطعت أنا وكارلوس من أعلى الهضبة مشاهدة مجموعات صغيرة من الأولاد والكبار وهم يؤمرون في اتجاهنا. نفخضت عني مجموعة المياريات التي تغادر الموقف. لم أعرف في أي اتجاه يجدر بي الهرب إلى أن شاهدت أسي. وبعد لحظات، هزرت رأسي. لقد رحلت. لئمت هنا؟

أمسك كارلوس بزراعي. هناك؟ قال مؤشراً بإصبعه. لقد سعدت مباراة أسي إلى أعلى الهضبة في غضون لحظات. استنطعت مشاهدة الغيط في وجهها فيما كانت تضغط بقوة على الزمور. أومأنا أنا وكارلوس إلى بعضنا البعض قبل عبور الشارع وصعود هضبة أخرى وصولاً إلى منزله. بدا لي أن طاقتي ناني من حيث لا أدري،

وراحت أذناي تلغظان كل أصوات المحرك القديم لسيارة أسي. صنعنا أنا وكارلوس التدرج المؤدي إلى منزله. أقدم أصابعه في جيوبه بحثاً عن مفاتيح الباب. هيا! قلت له مؤسلاً. أمسكت أصابع كارلوس المرتعشة بالمفاتيح. ورغم أنني استنطعت سماع سيارة أسي تصعد إلى أعلى الهضبة، وفنت وراقبت الانعكاس اللامع للمفاتيح لثني سقطت على التدرج. المفاتيح! قلت لنفسي. لم تكن أسي تخرج سكباً من حقيبتها! كانت مجموعة من المفاتيح!

أبظنتي صراخ كارلوس من حلمي. نزلت إلى أسفل التدرج وسلمت المفاتيح إلى كارلوس الذي انحل مفتاحاً منها في القفل قبل فتح الباب. تسلفت التدرج على يدي وركبتي، ودخلت إلى منزل كارلوس وأغلقت الباب بقوة خلفي. لا أحد في المنزل. جلسنا أمام النافذة الأمامية وفيما منتصفين بالأرض، مختبئين وراء الستائر فيما كانت أسي تسير بسرعة في الشارع. بدأنا أنا وكارلوس بالضحك - إلى أن سمعت الصوت التقليدي لسيارة أسي وهي تعبر الشارع، وتكوس على الفرامل كل بضعة أقدام، فيما تحقّق عيناها داخل كل منزل. إنها تبحث عنا! قلت هامساً.

أجل؟! أجاب كارلوس. أمك محبونة.

بعد الاثناء خلف متارة غرفة الجلوس لأكثر من ساعة، توجهنا أنا وكارلوس إلى منزل جودي. ابسعننا لبعضنا البعض. كانت عيناها البينتان تبسمان. تماماً مثل جيمس بوند!

نعم، ضحككت. جيمس بوند. هزرت يده وأومات له بأني سأراه في الغد. شاهدت كارلوس وهو ينزل الشارع، ثم يخفي حول

المتعطف. لم أشاهده قط بعد ذلك.

عبرت مجموعة من الهضاب ولم أتوقف إلا بعد إغلاق الباب الرئيسي لمنزل جودي. اتكأت على الباب لعدة ثوانٍ إلى أن أدركت أن فيرا وجودي بصرخانٍ على بعضهما البعض في المطبخ. لعنت نفسي، لأن أُمِّي اتصلت بهما بلا شك. مررت أمام المطبخ متوجهاً إلى غرفتي وأنا على يقين بأن جودي سبناديني قريباً. وحين جلست على سريرِي، عرفت أنني خرفت واحدة من أهم فواعد غوردون هاتشمنسون - البقاء بعثاً عن أُمِّي. بدأت أفكار غوردون وهو يقودني إلى الإصلاحية تملأ رأسي.

وبعد دقائق قليلة، انحنيت على باب غرفة النوم لسماع ما يجري بصورة أوضح. اكتشفت أن جودي وفيرا لا يتشاجران بسببي وإنما بسبب فتاة ما. فتحت الباب ونزلت السلم وصولاً إلى غرفة الصبيان الأكبر سناً. التفتت كل الرؤوس دفعة واحدة نحوي. كانت وجوههم طويلة وحزينة. بدوا جميعهم مشغولين، وأجسامهم منحنية إلى الأسفل فيما هم يوضئون ثيابهم وأغراضهم الأخرى في أكياس بنينة. عرفت، لكن توجب عليّ السؤال: "ما الخطب؟ ماذا يجري؟"

قال بوبي، الولد الأكبر سناً: "إنهم يغلّقون المنزل من الأفضل أن توضّيب أغراضك إذ يجدر بنا الرحيل غداً."

فتحت فمي على الملأ. "ماذا؟ ما الخطب؟"

لم يجيني أحد. ركضت إلى أسفل السلم وأمسكت بقميص بوبي. وحين نظر إليّ أدركت من عنيبه أنه كان ينيكي. لم أعلم أن الأولاد للكبار يفعلون ذلك أيضاً. هز بوبي رأسه. ثم اتهم جودي باغتنصاب معاقب عليه قانوناً.

"معاقب... ماذا؟"، سألته.

"هاي، أيتها الولد الصغير، الحقيقة أن آل جونز استقبلوا هذه الفتاة قبل بضعة أشهر، ونقول هذه المبتوتة الآن إنه تم اغتصابها، علماً أن جودي لم يكن أيداً لوحده في المنزل معها. إذا سألتني، أعرف أن هذا كذب. تلك الفتاة مجنونة"، قال بوبي. "هاي، وضّيب أغراضك ولا تنس التحقق من سلة الغسيل. ها، بسرعة!"

احتجت إلى دقيقة واحدة فقط لتوضيب أمتيالي. وفيما كنت أملاً كبسي الورقي، أبعدت كل مشاعر الأسى تجاه آل جونز. كانوا أشخاصاً طيبين، وشعرت بالحزن تجاه جودي وفيرا، لكن مستلكاتي الأرضية تأتي أولاً. كان الأمر بالنسبة إليّ مسألة بقاء.

في صباح اليوم التالي، وصلت مجموعة من السيارات، وقال الأولاد الأرباب الواحد تلو الآخر، بمن فيهم أنا، كلمات الوداع. قُبلت فيرا على خذها وعانقت بطن جودي. وفيما كان المساعد الاجتماعي يقود بي عبر الهضاب، مروراً بمدرستي، أخرجت ورقة عناويني وشطبته اسم آل جونز من لائحتي. مكثت عندهم أكثر من شهرين تقريباً - وكان ذلك منزلي الثالث خلال نصف عام.

ابلغني المساعد الاجتماعي أن بعض الأولاد الأرباب الذين عشت معهم سيذهبون إلى الإصلاحية نظراً لعدم توافر منازل كافية. وتابع يشرح لي أن غوردون لم يستطع المجيء لأخذني لأنه مريض. لكن غوردون ملحه عنوان منزل قد يستطيع استقبالي لبضعة أيام.

انزلت في مفندي وأومأت برأسي. نعم، نعم، قلت لنفسي. كم مرة سمعت هذه العبارات قبلاً؟

## بداية جديدة

بعد ساعتين تقريباً، خرجت مسرعاً من السيارة ودخلت إلى غرفة جلوس أليس نورنبوغ. علقت أليس من كل قلبي. وبعد لحظات، طرق المساعد الاجتماعي على الباب الرئيسي قبل أن يدخل. "لنما تعرفان بعضكما؟" سأل بصوت متعجب. أومأت برأسي صعوداً ونزولاً مثل الكلب المدلل. "مبداً نورنبوغ، أنا... أعرف أنه نوع من البلاغ... لكننا واجهنا حالة... هل نستطيع وضع دافيد هنا... لبرهة؟" قال منوئلاً.

"حسناً، أنا لا أملك في الحقيقة غرفة، ولا أستطيع السماح له بمشاركة غرفة مع الفتيات. هل يوجد أي حل...."

شعرت بالأمس في قلبي. أردت البقاء مع أليس. بدأت عيناها تدعنان فيما نظرت إلى المساعد الاجتماعي الذي تردد لبرهة. التفتت من ثم نحو أليس التي تصرفت بالطريقة نفسها.

هزأت أليس رأسها. "لا أظن أنه من الصلائم لدافيد، أعني..."

تبع ذلك مرحلة صمت طويلة. أفلتت أليس ورحلت أحثق في السجادة. "حسناً"، قالت أليس بصوت مهزوم، "هلا قلت لي على الأقل المدة التي يتوقع بقاؤه خلالها عندي؟ أظن أنني أستطيع إعادته إلى الأريكة. هذا، إن كنت لا تمانع كثيراً بدافيد".

أغلقت عيني لأطول وقت ممكن. لقد امتلأ رأسي بسيل من الأفكار التي لا تنتهي. لا ألبالي. لا ألبالي إن كنت سأنام على الأريكة أو على سرير من المسامير. أردت فقط البقاء في مكان أستطيع تسميته منزلاً.

كانت إقامتي مع آل ثورنبوغ يوماً بيوم. تحولت الأيام إلى أسابيع، من دون أن أعرف أين سأنتهي. وبعدها ففنت الأمل، أعادنتي أليس إلى ثانوية باركسايد. كنت سعيداً جداً بالعودة إلى المدرسة لمقابلة أساتذتي مجدداً، لكنني بفيت أشعر بوجود صحابة داكنة فوقي. كنت أخشى العودة مائتياً إلى منزل أليس بعد المدرسة. كنت أختلس النظر حول المنعطف وأبحث عن سيارة قديمة، وأنا مدرك بأنه سيتم اكتشاف أمري سريعاً. في كل يوم، كنت لزعج أليس وأنا أحاول يائساً معرفة أية أخبار جديدة من غوردون هاتشمنسون. أردت فقط أن أعلم.

وفيما تحولت الأسابيع إلى أشهر، وجدت نفسي وأنا لا أزال أنام على الأريكة معتمداً على كيس الورقي. أصبحت ثيابي بالية وعفنة لأنني كنت أعملها فقط بعد ظهر يوم السبت بعد الساعة الثالثة أو يوم الأحد - فكنت أعلم أنها الفترات الوحيدة التي أستطيع فيها التحرك بأمان. وبعد نسبائي ملحقاتي الصغيرة عند آل كانتري، لم أرغب في فقدان أي شيء آخر مجدداً. ففي كل ليلة، وبعد خلود الجميع إلى النوم، كنت أصلي على الأريكة حتى يقرّر غوردون غداً مصيري. في أحد الأيام، عند العودة إلى منزل أليس بعد المدرسة، طلبت مني الجلوس. ابتلعت بصعوبة فيما أنا أسند لتلفي الخبر السيء.

لكن شيئاً من هذا لم يأت. أبلغتني أليس شيئاً آخر. سوف أذهب للقاء طبيب نفسي غداً. هزئت رأسي للقول لا. لكن أليس نابتت لتشرح لي أنها فهمت المشاكل التي واجهتها مع طبيبي السابق. ذهلت لأنها تعرف الكثير عن ماضي، فيما لم أخبرها أنا بأي شيء. "إذاً كنت تتحدثين إلى المسؤول عن مراقبة سلوكي، ولم يأت بعد إلى زيارتي؟" سألتها وأنا أشعر بالخجل والخزي.

شرحت لي أليس أنها تعمل على برنامج لإبغائي معها، لكنها تحتاج إلى الوقت للحصول على رخصة تتيج لها إبقاء صبيان في منزلها. لكن لا تقلقي، نابتت. لقد قررنا أنا وهارولد أننا نودّ إيقاعك معنا لبعض الوقت".

قبلت أليس من دون أي تردد. فكرت من ثم في عبارتها الأخيرة ونظرت إليها بتجهم. تفصدين أن هارولد يريدني أن أبقى أيضاً؟. ضحككت أليس. "إذا كان هارولد لا يتحدث كثيراً، لا يعني ذلك أنه لا يحبك. لقد أمضى وقتاً طويلاً في فهمك. وأظن صعوبة أن الكثير من الأشخاص سيفعلون ذلك أيضاً. لكن صدقتي، لو لم يكن هارولد يربدك لما بقيت هنا". التفت يداها للكبيرتان حول أصابعي الضعيفة. "إن ليو يحبك أكثر مما نظن".

كان حديث أليس عن هارولد مهماً جداً بالنسبة إلي. فعدت أن كلمته عن مشاركة غرفة مع فتاة، شعرت أن هارولد يخبرني بمثلثة ولد غريب. ولم يكن ينحنت معي أبداً. وإذا صاف أن تمت بضعة كلمات في اتجاهي، كان يحاول دفعي إلى المطالعة بدل مشاهدة التلفزيون. وبعد تناول للعشاء في كل ليلة، كان هارولد يحمل كتاباً قديماً عن الغرب

ويخزن سجنه قبل الخلود إلى النوم في تمام الساعة التاسعة مساءً.

لقد احترمت هارولد كثيراً، رغم أنه لم يعرف ذلك أبداً. كان نجاراً ومولعاً جداً بمهنته. تمكنت لو فني لتطبيع البقاء فترة كافية مع آل نورنبوغ حتى يعلمني هارولد بضعة أمور. فعدت أن كنت ولداً صغيراً، كنت أحلم ببناء كوخ خشبي بمحاذاة النهر الروسي، ولذلك كنت أتخيل في بعض الأحيان أننا نعمل أنا وهارولد على تنفيذ المشروع معاً، على أمل أن يقرنا من بعضنا البعض. ظننت أنني أستطيع ربما إثبات نفسي له.

في اليوم التالي، وبعد تشجيع كبير من أليس، ركبت الباص وتوجهت للقاء الطبيب النفسي الجديد، الدكتور روبرتسون، الذي تبين لي أنه النقيض الكامل للطبيب "العظيم" الذي قابلته قبلاً. حباتي وصافحتني. وطلب مني مناداته باسمه الأول، دونالد. كان مكتبه مغموراً بالكامل بأشعة الشمس الدافئة، لكن الشيء الأكثر أهمية بالنسبة إلي كان تصرف الدكتور روبرتسون معي مثل إنسان.

وفي زيارتي الأسبوعية للدكتور روبرتسون، لم أشعر أبداً لي ملزم بالتحدث عن أي شيء، لكنني وجدت نفسي سريعاً وأنا أستهل المحادثة عن ماضي. سألت الدكتور روبرتسون عن كل شيء، بما في ذلك ما إذا كنت علي تتبع خطي أمي. حاول الدكتور روبرتسون دوماً توجيهي نحو موضوع آخر، لكنني ناضلت للحفاظ على مسيرتي الطويلة المتجانية في العثور على أجوبتي. تعلّمت الوثوق به فيما كان يفوندي عبر مائة الأجزاء الحساسة من ماضي.

وبسبب مثابرتي، اقترح علي الدكتور روبرتسون قراءة بعض الكتب حول علم النفس الأسامي. وبعد فترة وجيزة، أصبحنا أنا

وهارولد ينتشجر نوعاً ما للجلوس قرب المصباح عند طرف الأريكة، فيما أنا أحاول قراءة كتب حول احترام الذات كتبها نورمان فينسانت بيل أو آخرين حول الجانب الغربي، مثل *مناطقك الخاطئة*. وجدت نفسي مذهباً أمام النظريات الأساسية للصمود، كما كتبها الدكتور أبراهام ماسلو. وفي بعض الأوقات، كنت أشعر بالإحباط نتيجة الكلمات المعقدة، لكنني صمدت واكتشفت سريعاً أنني احتجت إلى الكثير من الوقت للوصول إلى ما أنا عليه. ورغم أن أجزاءاً في داخلي كانت لا تزال تشعر بالتقوية، أدركت أنني أقوى من معظم الأولاد في المدرسة الذين بدوا أنهم يعيشون في عالم "عادي".

وجئت نفسي في منزل أليس وأنا أصرحها بكل شيء تقريباً، طوال الوقت. وفي بعض الأحيان، كنا تستمر في الزئير حتى ساعات الصباح الأولى. لم ألق أبداً بشأن طريقة حديثي أو مضمونه. وحين أصبح عصبياً وأبدأ بالتمتمة، تعلمتني أليس كيفية إبطاء حبل أفكارتي وتصوير نفسي وأنا ألتقط بالكلمات قيل لفظها. وفي غضون أسابيع قليلة، اختلكت مشاكل النطق لدي.

وبعد ظهر كل سبت، يعد فتهاء أليس من أداء رقصتها المريعة المفعمة بالحياة، كنا نجوب الطريق المحاذية للسكة الحديدية وصولاً إلى المتجر نفسه الذي اصطحبتي إليه الميعة كاتزني لشراء ثيابي. كنا نشاهد فيلماً على الدوام، وكانت هذه الطريقة الوحيدة التي تستطيع أليس خلالها إجباري على الجلوس ساكناً لفترة من الوقت. وفيما كنت أجلس يهدوء قربها، كنت أشبك يدي فيما أنا أتمن في كل مشهد كان عقلي يسعى لاكتشاف الخطوة التالية في الرواية الغريبة أحياناً. أصبحت

مذهباً بالميتاريوهات المعقدة وكيفية جمع المخرج لكل المشاهد معاً. وبعد انتهاء كل عرض، كنا نبدل أنا وأليس أراغنا وانتقدنا.

وفي أحيان أخرى، ومن دون أي سبب وجيه، كانت تشتري لي الألعاب. شعرت في البداية أنني لا أستحقها، ربما لأنني لست معتاداً على تلقي الهدايا ولأنني كنت أعلم ربما كم يعمل هارولد بجدي لاجني كل قرش. لكنني تعلمت مع الوقت قبول الهدايا. كان ذلك بالنسبة إليّ درساً صعباً جداً على الفهم.

لكن الهدية الأكثر أهمية التي منحني إياها آل تورنبوغ كانت فرصتي الأخيرة في التصرف كوك فيما أنا أحضر نفسي لحياتي كراشد. وفي محاولة لأظهر لأليس وهارولد مدى أهميتهما بالنسبة إليّ، أخرجت من جيبتي بعد ظهر أحد الأيام فيما كنا جالسين أمام طاولة المطبخ - "طاولة النفاث" الشهيرة - ورقة صغيرة وسخة ومزقتها إرباً. "والآن، ما كل هذا؟"، سأل هارولد فيما الدموع انهمرت على خدي أليس.

"لا أحتاجها بعد الآن"، قلت بفخر. "وأنا أعرف رقم هاتفكم. هل تريدان سماعه؟". أومأت أليس برأسها إيجابياً. "إنه 5552647"، قلت بفخر فيما أنا أنظر مباشرة في عيني هارولد الزرقاوين، "حسناً، لقد حان الوقت ربما لحفظ ذلك الرقم غير المدون بعد"، قال فيما غمرتني بطرف عينه.

كلما تحدثنا أنا وأليس لفترة من الوقت، كان موضوع مستقبلي يبرز دوماً إلى الواجهة. وحتى السؤال البسيط "ماذا تريد أن تفعل بإيدي حين تكبر" كان يجعلني أشعر بالذعر في أعماق روحي. كنت أتصور دوماً

كريس، ذلك الولد الريبب في منزل آل كلتري، ومدى الخوف الذي شعر به مع اقترابه من عمر 18 عاماً. لم أفكر يوماً في المستقبل. فالصمود ومواجهة عذاب أمي، كنت أخطط فقط ساعة بساعة، أو يوماً بيوم على الأكثر. والواقع أن فكرة وجودي لوحدي في العالم المفتوح الكبير كان الشيء الأكثر رعباً الذي أستطيع تصوّره. كنت أشعر بخوف وتوتر شديدتين لدرجة أنني أعود للهنّاء مجدداً. كانت أليس تسعى دوماً إلى تهدئتي، لكن في الليل، حين أصبح لي أخيراً غرفة خاصة بي للنوم فيها، كنت أرتعد خوفاً لمجرد التفكير في كيفية شرائي الطعام أو العثور على مكان للعيش. كنت أفكر كثيراً لدرجة أنني أخلد إلى النوم وأنا مصاب بصداق قوي. فيالنسبة إليّ، بدأ العد العكسي فيما لنا لا أزال في الخامسة عشرة.

بعد فترة وجيزة من تبديد الصدمة الأساسية، قررت العثور على سبل لجني المال. بدأت بتلميع الأحذية، وجنيت في يومي الأول 21 دولاراً نتيجة تلميع عشرات الأحذية خلال أقل من ست ساعات. شعرت بفخر كبير لدرجة أنني أمسكت بعلبة مسح الأحذية وعلبة من الكعك المتالي المالح في يد، وياقة من الأزهار الأبيض وبعض الكتب الورقية لهارولد في اليد الأخرى. انخرطت سريماً في مهنة إضافية في متجر لتصليح الساعات، حيث كنت أعمل 20 ساعة أسبوعياً مقابل 10.25 دولار. لم يكن المبلغ المالي مهماً بالنسبة إليّ. ففي نهاية الأسبوع، كنت أنام وأنا أشعر أنني حققت شيئاً. وهذا هو المهم بالنسبة إليّ. فيما كان بقية الأولاد يلعبون بالكرة في الشارع أو يستكعون في المتاجر، كنت أكفي ذاتي.

وجئت صعوبة كبيرة في العثور على شيء مشترك بيني وبين بقية الأولاد في المدرسة فقد ناضل معظمهم للتأثير في الآخرين من خلال النصرف ببرود. أما أنا فعرفت أنني لا أصلح في المظهر الخارجي، ولذلك توقفت ببساطة عن المحاولة. في بعض الأحيان، كنت أؤدي دور مهرج الصف، لكنني لم أكرث أبداً برأي رفاقي بي. وكلما تحدثوا عن مشاريعهم للتزلج على الثلج في نهاية الأسبوع، كنت أفكر في كيفية الحصول على ساعة إضافية من العمل.

في يوم جمعة، وقبل بضعة أسابيع من تخرجي من ثانوية ياركمسايد، كان عدد من الأولاد الأغنياء يتحدثون عن تخرجهم المقبل وعن مشاريع ذهابهم إلى ديزني لاند أو السفر إلى هاواي في مقاعد الدرجة الأولى. لكن بدل الشعور بالأمس على نفسي، هرعت بعد ظهر ذلك اليوم من محطة اليافس في اتجاه منزل أليس وطرقت بقوة على الباب الرئيسي. "ما الأمر؟"، قالت أليس.

شربت كوباً من الماء قبل الإجابة. كنت على وشك إتمام العاشرة عشرة وأنا لا أعرف كيفية تحضير الطعام لنفسي. أكرّت لي أليس أنها ستعلمني عندما يحين الوقت. لكنني أصريت. أردت تعلم الطهي الآن. نظرت إليها بطريقة جتية، علماً أنني تعلمت ذلك من السيدة كلتري، التي كانت تضع يديها دوماً على وركيها تجع الأمر. ورغم أن أليس نظفت منزلها للتر استعداداً لحفلة لعب الورق، التي كان يفترض أن تبدأ بعد ساعات قليلة، قررت تعليمي كيفية صنع القطيرة المحلاة.

كان قرار أليس سبباً للغوضى. قلبي غصّون دقات، فتحت علبتين من خليط الفطائر، وأربعين بيضة وغالوتين من الحليب. أصبح كل



إنش مربع من القرن مغطى بالمزيج الأبيض الكثيف، فيما تلطخ السقف ببعض القطائر المنتثرة. بدت الأرضية مثل ساحة معركة، وكلما حاولنا أنا وأليس عبورها، كنا نختق تقريباً من غيوم المسحوق الأبيض. كان الإجهاد واضحاً تماماً على وجهها، لكنها ضحكت معي - ولم أسنم قبل إعداد القطيرة المتألية.

بدا كل يوم أنه يخبي مغامرة جديدة. فبعد انتهاء المدرسة، كنت ألعب أحياناً في أرضية غرفة الجلوس بمكعبات "الليغو" أو مجموعة "إربكنور"، فيما أنصرف أحياناً أخرى مثل الرجل الصغير الكبير، إذ أعود إلى منزل أليس بعد المدرسة لمجرد تبديل ثيابي قبل الانطلاق للعمل في إحدى وظائفتي. كنت أعيش للمرة الأولى حياة حقيقية.

في تموز (يوليو) 1976، أخذت حياتي منحى آخر. تمعت من الركوب على دراجتي للذهاب إلى العمل في كل صباح فيما الجميع لا يزال نائماً. وبعد ظهر أحد الأيام، بعد قضاء يوم منك في العمل، عدت إلى المنزل لأجد أن ولدين ريببين، وليس ولداً واحداً، جاءا للعبش معنا. شعرت بنفور فوري تجاه أحد الولدين، بروم، إذ توجب عليّ مشاركة الغرفة معه ولأنني علمت أنه نجح في استمالة أليس. رغم أن الولدين كانا في السابعة عشرة، لم يكشفوا عن أي اهتمام في كيفية إعالة نفسيهما. بدأت أشعر بالاستياء منهما، فكلما ذهبت إلى العمل على دراجتي، كانا يقضيان النهار مع أليس في المتجر. شعرت نوعاً ما بالخطر والخط نتيجة وجودهما. عرفت أن أوقات طفولتي مع أليس انتهت لكنني أردت التثبيت بها لبعض الوقت الإضافي قبل أن أكبر.

وبعد أسابيع قليلة، اكتشفت أن أموالي المنخرة وبعض الأشياء التي اشتريتها من تعبتي اختفت فجأة. ظننت في البداية أنني أخطأت في ترتيب أشتيائي، لكنني لم أستطع التحمل في أحد الأيام، من دون أي سبب خاص. ذهبت إلى أليس وطلبت منها أن يرسل الولدان وإلا أرسل أنا. عرفت أنني بدوت مثل طفل مدلل، لكنني لم أعد أستطيع تحمل فكرة تخينة أشتيائي على الدوام، متسانلاً في العمل كيفية التعويض عن المال المسمروق. فكل ما عملت له بجد وبطء اختفى فجأة. أملت أن تستجيب أليس لطفتي، لكنني وجدت نفسي سريعاً أوضب أشتيائي. شعرت أنني أحقق كبير لأنني أغادر آل تورنبوغ. لكنها كانت مسألة شرف بالنسبة إليّ. فإذا قلت شيئاً ما، يجب أن أكون مسؤولاً عن كلمتي.

بقيت في الإصلاحية لبضعة أسابيع إلى أن وضعتي المسؤولة الجديدة عن مراقبتي، السيدة أوريان، مع جون وأيندا والش، وهما شقيقي شاب في العشرينات، لهما ثلاثة أولاد. لمتل جون بشعره الأسود الطويل وكان يعزف على البيانو في فرقة روك إند رول. أما ليندا فكانت مستشارة تجميل في متجر والغرينيز المحلي. كانا طبيين جداً، وتفاعلت كثيراً بموقفهما السعيد والخالٍ من الهم. سمحا لي بالتصرف حسب مشيئتي. وحين أردت شراء دراجة صغيرة، قال جون نعم. وفي أحد الأيام، حين سألت جون بخجل ما إذا كان يستطيع اصطحابي إلى متجر اللوازم الرياضية المحلي لأشتري معديس "بي بي"، أجاب: "هيا بنا". كنت مذهولاً. لم أفكر يوماً في طرح مثل هذا السؤال على السيد أو السيدة تورنبوغ، لكن جون لم يتردد لبرهة. كان شرطه الوحيد أن

يعلمني استعمال المدمس بأمان، وأني أستطيع التصويب فقط على أهداف ورقية تحت إشرافه. سميت بسرعة أمر البحث عن وظيفة أخرى واتخذت موقف آل والش للمشاهل.

بعد أسابيع قليلة من بداية سنتي الأولى في المرحلة الثانوية، أخبرني جون وليندا أنهما على وشك تغيير المنزل. من دون تفكير، ركضت إلى الغرفة التي تشاركها مع ابنيما البالغ من العمر سنتين ووضعت كل ما أملكه في كيس وسادة. كنت شاكياً. بدا لي أنه كلما تكيفت مع بيئة جديدة، يحدث شيء ما. أدركت أن جون وليندا يتشاجران طوال الوقت، لكنني اعتدت على ذلك وكذلك على الاعتناء بأولادهم المثلثين. حملت ألباتي فوق كتفي ودخلت إلى غرفة الجلوس. "صناً"، سألتهم. "فلماذا كنتي إلى الإصلاحية؟"

نظر جون وليندا إلى بعضهما البعض وضحكا. "لا، يارجل"، قال جون فيما لوح بيده أمام وجهه. "قلت إننا سننتقل وسوف نأتي معنا. هذا، إن لم يكن لديك مائع؟"

شعرت بالغضب من نفسي. وقتت أمامهما لتصيب عرقاً لبضعة دقائق، إلى أن أيسمت وقلت: "لا أعرف لماذا تضحكان، لكنني وضعت ألباتي! ماذا عنكما؟"

وخزت ليندا جون في بطنه. "ولد ذكي".

في اليوم التالي، وقتت في الجهة الخلفية لمسيارة فان كبيرة فيما أخذني جون إلى حدود المقاطعة. وحين توقف أخيراً، نزلت من العربية. لم أصدق ما رأيته. بدا وكأننا انتقلنا أنا وآل والش إلى منطقة بالغة الثراء. حدقت في كامل المحيط. كان العشب مجزوراً

بطريقة مثالية، وبدت المنازل النظيفة أشبه بفنادق مصفوفة أكثر من منازل عادية. وكانت كل سيارة متوقفة في كراجها، وتتألق بلمعاتها، كما لو جرى صقلها للتو. في نزلت إلى أسفل دويسمور درايف، تشقت الراحة الحلوة للأزهار واستطعت سماع صوت الهواء وهو يعبر شجرة صفصاف عملاقة.

هزرت رأسي وابتسمت في داخلي. "نعم"، صرخت. "أستطيع العيش هنا!"

عقدت صداقات يلمح البصر مع بول برازيل ودافيد هوارد، وهما مرافقان من الجوار أعجبا كثيراً بدراجتي السوداء وممسنسي الصغير. بدت عيونهم توافة إلى المغامرة. وكنت سعيداً جداً بأشباع رغباتهما. اكتشفت أن بول يملك دراجة أيضاً وأصبحنا نحن الثلاثة تجري سباقات وسط الشارع المفتقد إلى الحياة. كان بول يقفز على الدوام لثلاثة أميابه. كانت دراجته أقوى من دراجتي، ووزنه أقل من وزني، وعنده فرامل تتيح له إعطاء سرعته بعد فترة مني.

ربحت سباقاً واحداً فقط بين مئات السباقات التي أجريتها. في ذلك اليوم، تعطل الصمام الخانق. لم أفلح لأني كنت أملك مفتاح توقف. لكنني اكتشفت فوراً أنه لا يوقف عمل المحرك. وبما أنني لم أكن أملك أية مكابح، حاولت إعطاء الدراجة بجرّ قدمي. حين فعلت ذلك، انزلقت قسماي وعلق أسفل قميصي في العجلة الخلفية المسننة. وخلال برهة، أصبحت يدي على الصمام الخانق فيما بقية جسمي على الأرض بحيث أصبحت في النهاية مجزوراً وسط الشارع. شعرت بخوف كبير. أفلتت أخيراً قبضتي، وبعد أقل من ثانية، قفّرت

دراجتي إلى جانب الطريق وحُفِنَت في الهواء لتتحط فوق أجمه.

مباشرة أمامي، لرونظم دليف بالأرض وهو يضحك بكل قواء. وبعد لحظات، ظهر بول، كانت عيانه كبيرين بغر النقود المعدنية، ثبارجل، كان هذا رائعاً فعلاً! هل تستطيع فعل ذلك مجدداً؟. وفيما كنت أحاول النهوض، شاهدت بعض الجيران يحقون في اتجاهنا. بنوا مهتمين بالضرر الذي لحق بالأجمة أكثر من حالتي الطبية. حاولت نسيان نظرتهم غير الودود، وكبحت الألم ومنحت بول أفضل لبسلة ندي. منذ تلك اللحظة، أصبحت سيد الألعاب البولوفانية في دويسمور.

في ذلك المساء، خططنا نحن الثلاثة لمغامرتنا التالية. كان أهل بول يملكون كاميرا بعيار 16 مم، ولذلك قرر بول إعداد فيلم على طريقة جابيس بوند على أن أكون أنا البطل الرئيسي. ونمكنت ذروة الفيلم في جعل الدكتور سترانج، الذي يؤدي دور داف، بطارد بوند صعوداً ونزولاً في الشارع فيما يتولى بول التصوير من كل الزوايا. أخبرت بول أنني غير واثق من العمل المثير، فيما تجمع داف كثيراً للفكرة، مدعياً أنه لا يبالي إذا شاهد ركبتي تتحلان إلى همبرغر. عمل داف أيضاً بمثابة منسق أعمال، إذ حرص على إبقاء الشارع خالياً ممن هم دون العشرة أعوام وجهاز مجموعة من اللصائق الطبية في حال الحاجة إليها. شكرت الله في اليوم التالي حين تغدت كاميرا بول من الفيلم - قبل ذروة تحدي الموت.

في أحد الأيام، ساعني بول على اللقاء بفناء من الجوار. لم أتحدث إلى ليه قاتاً قبلاً، لكن بول أقرضني أفضل قميص عنده وعلمني ما يجدر بي قوله. في تلك المرحلة من حياتي، لم أكن أنظر كثيراً إلى

نفسي في المرآة، فماذا بالتالي عن الثقة للحدث إلى فتاة. بعد تمشيط شعري، وسماح المزبد من اللصائح، ونفاد كل الأعذار مني، سمحت لبول بإخراجي من منزله لأسير في دويسمور. وحين انعطفت حول الزاوية، شعرت أنني إنسان عادي. كنت أعيش في محبط مثالي، ويسمح لي أهلي بالتزنية فعل ما أريده، ولم أكن بحاجة إلى العمل، والأهم من ذلك أن حياتي كانت متمركزة حول أفضل الأصنقاء في العالم أجمع.

بعد دقائق قليلة، طرقت على الباب الأمامي وانتظرت. رتعت بدائي وشعرت ببعض التوتر، فيما بدأ العرق بخرج من كل مسام جسي. شعرت بثأرة كبيرة للحدث عن خوف بسيط. كنت في الواقع مذعوراً. بدلت أفرك يدي حين فتح الباب. ظننت أن في سبغ على الأرض. شعرت بالخوف في كل أنحاء جسي فيما أنا أحنق في أجل فتاة شافنها في حياتي. ومن دون أن تعرف الفتاة، استعدت رباطة جأشي فيما بدأت تتكلم. وكلما تحدثت الفتاة أكثر، شعرت بثقة أكبر في نفسي. لم أصدق كما كان سهلاً عليّ جعل الفتاة تضحك. كنت أستمع بنفسي - إلى أن جاءت أم الفتاة وبغتها جانباً.

احتاجت عيناى إلى لحظة لتعتيل الرؤية. وحين فعلنا ذلك، شاهدت امرأة تبدو شبيهة بالسيدة المتعجرفة وليس بالأم. وضعت المرأة بمرعة إصبعها أمام وجهي. قلت ليها الولد... ليها الولد الريب، أليس كذلك؟، صرخت بصوت عال فيما لبسة السكافة تملو وجهها.

كنت مذهولاً جداً للإجابة عليها.  
ألا نحترم الكبار؟ أجيني أيها الولد!  
مبيدي؟، قلت وأنا أهز برأسي.

"اصغ إليّ"، قالت المرأة بعنف، "أعرف كل شيء عنك وعن... تلك الدراجات التي تصدر ذلك الضجيج المزعج وتكسر قصداً ملكية الآخرين. كيف توافق الجمعية على.... عيش هذا النوع من الأشخاص في جوارنا. أعرف كل شيء عن جنسكم. أنت سقّاح وسارق صغير! أنظر إلى ملابسك- إنها مكسوة بغيار الطريق. لا أعرف ماذا تفعلون ليها الأولاد حتى تصبحوا.... أولاداً أريباً"، قالت وهي تغطي فيها كما لو أنها لفظت لثو شتية. "تكني متأكدة أنك فعلت شيئاً معيماً، أليس كذلك؟". أصبح وجه المرأة أحمر جداً لدرجة ظننت أنه سينفجر. "لا تجرّز وتقترب من منزلي أو تتحدث مع أولادي، لبدأً!"

وقلت مسرّاً فيما ظفر المرأة المعطي بالأحمر موجه نحو وجهي.

"وليك هذه النصيحة"، تابعت المرأة. "لا تمنيع وقتك في المحاولة. أنت لا تملك المقومات اللازمة. أنا أعلم! صدفتي. أنا لسدي لك خدمة في الحقيبة!" ابتسمت فيما كانت تقبّل شعرها إلى الجانب الآخر من وجهها. "سوف نرى! أنا إنسانة منفتحة جداً تعرف أمراً أو امرين. وكلما تعلمت بسرعة أنك ولد ريبب، كان ذلك أفضل بالنسبة إليك! لذا، إكتفِ بأبناء جنسك!"

وقبل أن أستطيع الإجابة، أغلقت الباب الرئيسي بغضب شديد لدرجة أنني شعرت بنفحة هواء ترتطم بوجهي. ووقت مصعوقاً أمام الباب، لم أعرف ما الذي يجدر بي فعله. شعرت أن طولي إثني واحد فقط. حدثت في أكمال القميص القطني الأحمر والأسود الذي أعطاني إياه بول. كانا فصيحين نوعاً ما، لكنني ظننت أن القميص جميل. مررت بدي في شعري الزيتي. أنظن أنني أستطيع استعمال

الحمام، تمتعت نفسي. عرفت أنني كنت من حيث المظهر الخارجي وحشاً متفلاً، لكنني شعرت في داخلي بتحسن أكثر من أي وقت مضى. حاولت بشدة إنجاز الأمور التي يستخف بها الأولاد المعانيون. أردت فقط أن أكون مثل ولد عادي.

بعد دقائق، فيما بقي رأسي محتبياً إلى الأسفل، مررت أمام بول الذي رقص حولي وراح يطرح عليّ أسئلة بشأن لغائي مع الفتاة. لوحت بيدي تصديفي واختبأت في غرفتي لبقية اليوم.

بعد ظهر اليوم التالي، فيما كنت أصلح بغير براعة دراجتي الصغيرة، جاء إليّ رجل طويل وهو يحمل عبة بيضاء يد وعربة أطفال في اليد الأخرى. "إيّا، أنت الخطر المحقّ بالجوار؟" قال بابتسامة متكئة. أبغيت رأسي محتبياً نحو الأسفل فيما شعرت أن حرارة جسمي بدأت ترتفع. وقبل أن أستطيع فتح فمي، كان الرجل قد اختفى.

بعد نصف ساعة تقريباً، عاد الرجل للظهور في الاتجاه المعاكس. انتظرت مساع تحفيز آخر، لكنني كنت مستعداً هذه المرة للإجابة بعنف.

وجّه إليّ ابتسامة عريضة قبل القول: "احصنت أيها الصبي! تابع!" هزّزت رأسي، ظناً مني أن أدني مسدودتان. أحسنت فعلاً! تابع! تابع ماذا؟ سألت نفسي.

نهضت ومسحت بقعة زيت سوداء عن قميصي الأبيض اللوسخ فيما راقبت الرجل وهو يتابع طريقه نحو الباب التالي. أوماً إليّ مرة أخرى قبل أن يختفي في الكراج. كنت مذهولاً جداً لدرجة أنني جلست على العشب مفكراً في ما قصده ذلك الرجل المجنون. بدا معتوهاً، لكنه بملك طريقته مع الكلمات.

يعد ظهر اليوم التالي، وفي الوقت نفسه، عاد الرجل للظهور في الثياب نفسها: سروال قصير أبيض يكشف عن ركبتيين عظيمتين بلون الرماد الأبيض وفم بص قطني ضيق كنب عليه "الباكركز: نحن نظير منذ أن أصبح العالم مربعاً، وقبة بابسيول مع ريش فضي مدبب في وسطها، ومجارة متدلية من شفة السفلية كان يحمل أيضاً قنينة بيضاء في يد وعرة ألقاها في يده الأخرى. توقف أمامي وغمزني بعينه. "كنت لست مجوقلاً، لكن لا تقلق. أصبر، فكل كلب يومه"، ثم تابع طريقه.

كررت هذه الرسالة مراراً وتكراراً للعثور على معنى لكل كلب يومه. ومثل عقارب الساعة، عاد الرجل بعد 30 دقيقة. نهضت وانتظرت سماع كلماته الفصيح. "علم هذا"، قال الرجل بالحناء، "ثمة ربح على الدوام في فوضى المجموعة".

"هاي، سيدي..."، قلت قبل أن أستطيع التفكير.

أدار الرجل رأسه بسرعة مثل البلب. "هل نأيتي؟"

يقي قمي مفتوحاً. لم أعرف بماذا أجيب. شعرت أنني مخنوق. أحتى رأسه. "إذا استطعت غسل يديك وتغيير ملابسك، يمكنك الانضمام إلى ممكني المتواضع".

بلمح البصر، ركضت إلى منزل آل والش، وفركت يدي وذراعي، قانتشرت الأوساخ في مغسلة الحمام، ثم غيخت قميصي قبل التدخول بسرعة عبر باب منزل الرجل. وقيل أن أستطيع إبلاغه بحضوري، أمسكت يد عملاقة بصدري. ففدت أنفاسي وظننت أن صدري سينهار. تنظر إلي الرجل وأبتسم. "لنجرّب مجدداً، أليس

كذلك؟"، قال وهو يفودلي خارج الباب الرئيسي ويغلقه في وجهي. عسبت في قرارة نفسي. "للتفطاة" قلت بصوت عالٍ، ظننت لبرهة أنني طرقت مثلما فعلت بي تلك السيدة المتعرجة. كنت على وشك الرحيل حين سمعت صوتاً مكتوباً خلف الباب يقول: "طرق على الباب".

أغلقت عيني فيما طرقت أصابعي على الباب الرئيسي. وبعد برهة، فتح الباب وانحنى الرجل عند الخصر ملوحاً بذراعه سامحاً لي بالدخول. ابتسم لي وهو يعرفني عن نفسه: "مايكل مارش، القيم على الإيمان، جندي الثروة وحش جادة دويتسمور".

هكذا، بدأت أول زيارة من زياراتي العديدة إلى "مزرعة مارش". وبعد أيام قليلة، التقيت بزوجة مارش، ساندرا، التي كثت هادئة وكجولة مقارنة مع زوجها. أحببت بسرعة ولديهما، وليام وإريك. فمشاهدة الصغير إريك وهو يذب على الأرض ويزحف في أرجاء المنزل تذكرني بأخي كيتي حين كان في هذا العمر.

عاملي آل مارش مثل إنسان حفيظ. ورغم أن آل مارش كانوا يتجادلون كثيراً، بقي منزلهم ملائياً الآمن. وفي الأوقات التي كنت لا أعبث فيها مع بول ودليف، كنت أمضي مئات الساعات جالساً في زاوية "قاعة المعارف" الشهيرة في منزل مايكل وأنا أقرأ كتباً عن الأفلام، وسيارات السباق والطائرات. فعدت أن كنت سجيناً في منزل أمي، أصبحت مفتوناً بالطائرات. وفي العرات العديدة التي جلست خلالها على متن يدي في أسفل الكاراج البارد، كنت أهرب من خلال تصور نفسي أنني سوبرمان. أردت يوماً الطيران.

ورغم أنه لم يُسمح لي بأخذ أي من كتب آل مارش إلى منزل آل والش، كنت أختلس كنيئاً في بعض الأحيان، وأضني الليل بأكمله وأنا أقرأ للمغامرات الحقيقية لطيارتي الحرب العالمية الثانية أو كيفية تطوير طائرة متخصصة مثل لوكهيد إس إر 71 بلاكيبرد. فتحت لي مكتبة مايكل عالماً جديداً بالكامل. وللمرة الأولى في حياتي، بدأت لتعامل عن معنى التحديق في طائرة حقيقية. ربما، في أحد هذه الأيام....

كان والد بول، السيد دون برازيل، للمصلح الطبيب. كان تأثيره فيّ مماثلاً لتأثير السيد مارش. في البداية، كان السيد برازيل حذراً جداً مني، لكنه اعتاد في النهاية على وقوفي بقربه أراقب كل حركة من حركاته. في بعض الأحيان، كنا أنا وبول ودافيد ندخل إلى كراج السيد برازيل ونحرق في المشاريع التي يبتكرها من لاشيء. فكلمنا غادر الكراج لبضعة دقائق، كان بول يدخل متهاياً فيما نتبعه أنا ودافيد حزينين خشية للدوس على قطعة معدنية أو أداة مهمة. لكن ما إن يفتح الباب، كنا نحن الثلاثة نهرب من الكراج قبل أن يكتشف أمرنا. دان. علمنا أن الكراج هو ميدان خاص حيث يجتمع دان ومايكل وعدد من الرجال الآخرين لإجراء اجتماعاتهم اليومية.

في بعض الأحيان، وأثناء الاجتماعات اليومية، كان بعض رجال الجوار يفطبون وجوههم نحوي ويتكلمون خشية تفهقر قيمة المفارقات في المنطقة المحلية. كان السيد مارش يهيب دوماً لإنفاذ. تراجعوا إليها الشباب، حذرهم مايكل في أحد الأيام. "لدي مشاريع لحارسي الشباب. أتوقع أن يصبح السيد بيلكر تشاك يغر أو تشارلز مانسون التالي. وكما نلاحظون، ما زلت أعمل على التفاصيل".

ابتسمت عند سماع الإطراء. "نعم"، أومأت برأسي متحدثاً، "تشارلز مانسون! شعرت في أخرق لأني لم أنكر أن تشارلز مانسون كان طياراً حربيّاً شهيراً".

كانت أولاتي في دويسمور الأفضل في مرحلة المرافقة. وفي الليل، بعد قراءة أحد كتب السيد مارش "المستعارة"، كنت أخلد إلى النوم وأنا أتنشق رائحة الأزهار الآتية مع نسيم خارجي عليل. وقد حمل كل يوم بعد المدرسة مغامرة جديدة، تنتظرننا أنا وصديقي لاكتشافها. لم تكن إقامتي عند آل والش جيدة جداً. فالتقاشات للحادة كانت تحدث يومياً، وفي بعض الأحيان، كنا يخرجان كلاهما من المنزل تاركين لي أولادهما حتى أراهم. كنت أحاول أحياناً تحديد وقت الشجارات، بحيث ما إن يباشر جون وليندا يضرب بعضهما البعض، أمسك بالولك الصغير وأطلب من الولتين الآخرين اللحاق بي إلى الخارج حتى تهدأ الأمور.

وبقدر ما أحببت دويسمور، أذكرتني لا أستطيع الاستمرار في الجيش على هذا النحو. شعرت أنه يجدر بي فعل شيء ما. وأخيراً، بعد نفاش حاد، اتصلت بالسيدة أوريان، المسؤولة عن مرافقتي، وتوسلت إليها نظلي، حتى لو اضطرت لإعادتي إلى الإصلاحية. بدت السيدة أوريان راضية عن قراري وظننت أنها تستطيع إقناع آل نورتيوغ بعودتي إليهم.

كان الرحيل عن دويسمور أحد أصعب القرارات التي توجب عليّ اتخاذها. ففي غضون أشهر، منحتني دويسمور الكثير من الأمور.

## الانفصال

أصرّيت ألا أقول وداعاً، كنا أنا ويول وداف شعور بالاختناق، لكن أخفينا مشاعرنا وراء عمزنا. وفي اللحظة الأخيرة، عانقتني دليف بقوة، حيائي السيد برازيل فيما هو يمسك بعفتاح ربط، فيما أهداني السيد مارش كتاباً عن الطائرات - الكتاب نفسه الذي أخذته من منزله عشرات المرات. "بهذه الطريقة، لن تضطر إلى التمسك إلى منزلي... أيها الشقي"، أعطاني أيضاً بطاقة بريدية تحمل توقيع خطوط دلتا للطيران، دون على هذه البطاقة عنوانه ورقم هاتفه. "قلني على اتصال أيها الصديق"، قال مايكل فيما شعرت أنني على وشك تفجير عواطفي، "في الليل أو في النهار، أنا وساندار مستعدان لمساعدتك، كن قوياً أيها المحوّل! تابع!"

قبل الصعود إلى سيارة هارولد تورنبوغ القنبعة، تلك الشبهي الزرقاء والبيضاء، نظفت حنجرتي بالنتننج وقلت من ثم بصوت شبيه بصوت مايكل مارش، "التموع ممنوعة، لا تخف.... لأنني... سأعود". وفيما ابتعدنا أنا والسيد تورنبوغ عن جادة دوينسمور، شاهدت تلك السيدة المتعجرفة تقف على شرفتها الأنيقة فيما تسبك ذراعها فوق صدرها، وجهت لي ابتسامة ساخرة. ابتسمت لها أيضاً قبل الصراخ: "أحبك أنا أيضاً!"

بعد ساعة تقريباً، دخلت عبر الباب الرئيسي لمنزل أليس تورنبوغ، وبعد عناق طويل، دفعتني بعيداً. "إنها المرة الأخيرة"، حذرتني. "أنطق الآن أو أحتفظ بصمتك إلى الأبد".

لومأت برأسي قبل الإجابة: "أعرف إلى أين أنتمي: 15552647"

في منتصف سنتي الأولى من المرحلة الثانوية، شعرت بالحرمان والضجر. فبما أنني تنقلت كثيراً ولم أمكث في مدرسة واحدة أكثر من بضعة أشهر متتالية، نم وصعي في صف النلامذة البطينيين. رفضت الفكرة في البداية إلى أن اكتشفت فعلاً أنه يمكن توقع الغلب مني. تخلّيت حينها عن كل دراساتي الأكاديمية وأدركت أن مستقبلتي يكمن خارج جدران المدرسة. كنت أعمل أكثر من 48 ساعة أسبوعياً في مهن مختلفة، وأدركت جيداً أنه ما من شيء تعلمته في الثانوية يمكن استعماله في العالم الحقيقي.

كان توقي للعمل مدعوماً بكوني بلغت السابعة عشر ولا يزال أمامي أقل من عام في التربية البدنية. لذا، كنت أهرب في الساعة السادسة من المدرسة إلى منزل أليس، فأغير ملابسني، وأركض مجدداً للوصول إلى إحدى وظائفني في مطعم للوجبات المريعة أو في معمل البلاستيك، حيث كنت أعمل حتى الواحدة أو الثانية فجراً. أدركت أن ساعات العمل الزائدة ونقص النوم يلقيان بعبئهما عليّ. ففي للمدرسة، توجب على الأساتذة نخسي للاستيقاظ حين كنت أبدأ الشخير في الصف. كنت أكره الأولاد الذين يضحكون عليّ. وكان بعضهم يتصرف بتعجرف وتعال حين يشاهدونني أعمل في المطاعم، فيبدلون بعرض ثيابهم الواضحة أو صديقاتهم الجميلات، وهم يعرفون تماماً أنهم ليعسوا



مضطربين لبدأ للعمل مثلي للبقاء على قيد الحياة.

في بعض الأحيان كنت أذهب لزيارة أستاذي في اللغة الانكليزية، السيد تيلي، خلال أوقات الفراغ. وبما أنه لم يكن يملك أي صف في ذلك الوقت، كان السيد تيلي يستفيد من وقته لتصحيح الأوراق. كنت ألصق مرفقي بمكتبه وأوجه إليه ميلاً لامتناهياً من الأسئلة بشأن مستقبل. أترك السيد تيلي مدى كفاحي الصعاب، لكنني كنت أخجل جداً من إخباره عن سبب تسمي الدائم. كان السيد تيلي يرفع رأسه فوق كومة عمله، ويمرر يده في شعره الرقيق ويصطلي ما يكفيني من النصائح لنهاية الأسبوع- أي دفن نفسي في واجباتي المنسية.

ويعتد ما كنت أعمل بجد خلال الأسبوع، كنت أحاول أخذ فرصة في نهاية الأسبوع، مرة كل أسبوعين، لاستفيد من ذلك وأزور والدي في سان فرانسيسكو. وعلى مر السنوات، تركت مئات الرسائل في كل مراكز الإطفائية في المدينة. لكن والدي لم يتصل بي أبداً. وبعد ظهر أحد الأيام، أضغته فيما كان أحد رجال الإطفاء يحاول التهريب مني. "هل هذا هو المركز الصحيح؟" سأله. "فقط أخبرني، في أي ساعة يعمل؟" قلت له متوسلاً ورافعاً صوتي.

"أوه... يعمل ستيفن في مراكز مختلفة وفي أوقات مختلفة. سوف نوصل إليه الرسالة"، قال رجل الإطفاء قبل أن يغفل الخط. عرفت أن خطباً ما بجري. حاولت أليس منعي من الهروب من منزلها. "والدي في ورطة"، صرخت بصوت عالٍ.

"كيف، أنت لا تعرف ذلك؟"، صرخت أليس بدورها. "هذا تماماً ما أعنيه"، أجبتها وأنا أؤشر بإصبعي نحوها. لقد

سئمت من العيش في الظلام... بين الأسرار المخفية... من العيش في كذبة. ما هو الخطب المحتمل؟ إذا كان والدي في ورطة...، توقفت لبرهة فيما بدأ خيالي يأخذ استراحة. "علي فقط أن أعلم"، قلت وأنا أقبل أليس على جبينها.

ركبت على دراجتي النارية وتوجهت مسرعاً إلى سان فرانسيسكو. وعلى الطريق، رحت أتمثل بين زحمة المير ولم أبطئ سرعتي إلا حين أبحرحت دراجتي إلى العمر المودى إلى الشارع 1067- أي إلى مركز الإطفاء نفسه الذي غين والدي فيه منذ كنت طفلاً.

ركنت دراجتي عند المدخل الخلفي للمركز. وفيما كنت أتمثل المعشى المنحدر، شاهدت وجهاً مألوفاً. ظننت في البداية أن هذا الوجه يخص والدي، لكنني أدركت أنه ليس هو حين ابتسم. فوالدي لا يبتسم أبداً. "يا إلهي، بني! كم مضى على ذلك؟ لم أشاهدك أيها الفتى منذ.... لا أعرف كم".

صاغت العم لي، شريك والدي وأفضل صديق له. "أين والدي؟"، سأله بصوت حازم. استدار لي بعيداً. "حسناً... لقد غادر للتو. لقد أنهى للتو ساعات عمله".

"لا سيدي؟"، قلت له. عرفت أن العم لي يكتب- فرجال الإطفاء ينهون ساعات عملهم في الصباح، وليس في منتصف بعد الظهر. أخفضت صوتي. "أيها العم لي، لم أشاهد والدي منذ سنوات. أريد أن أعرف".

بدأ لي مخوفاً. مسح دموعه عن زاوية عينه. "لقد بدأنا أنا والذك

العمل معاً، أنت تعرف ذلك. أريد أن أقول لك إن والدك كان رجل  
إطفاء مميزاً.... كانت هناك أوقات ظننت أننا لن ننجح أبداً..."

شعرت بالمصيبة قاسمة. بدأت أحشائي تنقبض. بحثت عني عن  
شيء أتثبت به لمنعي من السقوط. ضيقت أعصابي. أومأت  
برأسي كما لو أنني أقول للعم لي إنه يمكن المناوبة وإخباري الحفيدة.  
ومضت عينا لي للإشارة إلى أنه فهم. "والدك... لم يعد يعمل في  
النفسم. لقد طلب من ستيفين-والدك- التقاعد باكراً."

تهدأت بارتباج فيما أنا أحاول السيطرة على مشاعري. "إنه حي  
إذاً، إنه على ما يرام! أين هو؟" قلت صارخاً.

أخبرني العم لي أن والدي لم يعمل منذ أكثر من عام. وحين نفذ  
منه المال، راح يتنقل من مكان إلى آخر، وخشي العم لي أن يكون  
والدي نام أحياناً على الطريق. "دافيد، إنه يسرف في الشراب. وهذا  
بقتله"، قال بصوت ناعم وإلما حازم.

"إذاً، أين هو الآن؟" قلت له متوسلاً.

"لا أعرف، بني. أراه فقط حين يحتاج إلى بعض النفود". توقفت  
العم لي لبرهة لتنظيف حذوته بالمتنح. نظر إلي بטרيرة لم  
أعدها قبلاً. "دافيد، لا تكن قاسياً على الرجل العجوز. لم يحظ أبداً  
بعائلة حقيقية. كان شاباً يافعاً حين جاء للمرة الأولى إلى هذه  
المدينة. لقد أحبكم أيها الأولاد، لكن الزواج دمزه. كانت مهنته مهمة  
بالنسبة إليه. وهي ما دفعه إلى الاستمرار. لقد عاش من أجل  
المركز. لكن شربه... إنه كل ما يعرفه."

"شكراً لك أيها العم لي، قلت فيما أنا أصابح بده. شكراً لعدم

نهبتي. أعرف الآن على الأقل ما يجري".

مار معي للعم لي وصولاً إلى دراجتي. يفترض أن أقبل والدك  
بعد بضعة أيام. يمكنك مساعدته ربما على الخروج من هذه القوضى."

"نعم"، أجبت. "ربما"

بعد أسبوعين، ركبت في باص غرايوند وصولاً إلى مقاطعة  
"ميشون" في مان فرانسيسكو. انتظرت ولدي في محطة الباص أكثر  
من ساعة. شاهدت في الخارج حانة قديمة. عبرت الشارع ووجدت  
والدي فيها منحنياً فوق طاولة. نميل رأسي يميناً وشمالاً بحثاً عن  
المساعدة. لم أصدق كيف يمر الناس قرب طاولة والدي من دون أي  
اهتمام، أو يجلسون عند الحانة ويسرفون في الشرب كما لو أن والدي  
غير موجود.

أخرجت بطل الطفولة من سباته. بدا أن سعال ولدي يوقظه.  
كانت رائحته ننتة جداً لدرجة أنني حبست أنفاسي إلى أن تمكنت من  
مساعدته للخروج من الحانة. بدا أن الهواء الخارجي نظف رأسه.  
لكن والدي بدا أسوأ مما تصورت تحت أشعة الشمس. لم أنظر عمداً  
إلى وجهه. أردت تذكر والدي مثلما كان قبلاً- رجل الإطفاء الطويل  
والقوي المميز بأسنانه البيضاء اللامعة، الذي يعرض نفسه للخطر  
لمساعدة رفاقه في الإطفاء أو إنقاذ ولد من منزل محترق.

مشينا أنا والوالدي أمام عدة أبنية من دون لفظ أية كلمة. عرفت  
أنه من الأفضل ألا أسأله عن شربه أو عن أسلوب عيشه. لكن  
تحذير العم لي بشأن القيام بشيء ما، بأي شيء، لمساعدة والدي بغني  
حياً في عقلي. من دون تفكير، أغلقت عيني واستدردت ورفعت يدي

عالباً لإبقائه. ماذا حدث يا والدي؟

توقف والدي وسعل بقوة. كانت يداي ترتعشان فيما هو يحاول إشغال سيجارة. من الأفضل لك أن تتسنى ذلك، أن تتسنى كل شيء - أمك، المنزل، كل شيء. لم يحدث ذلك أبداً. مع والدي سيجارته بقوة. حاولت النظر في عينيه، لكنه استمر في نقادي نظراتي. إنها أمك، إنها مجنونة... من الأفضل لك أن تتسنى كل الأمر، قال فيما لوح ببده كما لو أنه يخفي سر العائلة تحت السجادة للمرة الأخيرة.

لا، أبي. إنه أنت! أنا قلق بشأنك! لفح للهواء البارد وجهي. ارتعش جسمي وأطلقت عيني. أردت الصراخ على والدي، لكنني لم أملك الجراءة لإخياره كم كنت خائفاً عليه. تتنازع عقلي بين ما هو صحيح وما هو ملائم. عرفت من نظرات والدي أن حيلته كانت تغنيه ولفه ما من أحد أبداً بشك في سلطة والدي، لكنه كانت جثة نمشي. كانت بداه ترتعشان كل بضعة ثوانٍ وأصبح جفناه مترهلين جداً لدرجة أنه بالكاد يرى. شعرت أنني أحمق. لم أرد أبداً أن أجعل والدي مجنوناً، لكنني شعرت سريعاً بالفضض. لماذا لم تكن موجوداً من أجلي؟ ألم يكن باستطاعتك الاتصال بي على الأقل؟ ألا تستطيع أن تكون مثل والد عادي، له وظيفة وعائلة، بحيث أستطيع التواجد معك لو الذهاب لصيد السمك؟ لماذا لا يمكن أن تكون طبيعياً؟ راح نماغى بصرخ.

أخذت نفساً عميقاً قبل أن أفتح عيني. أنا أسف. أنت تبغى والدي ولما أحبك.

تنفس والدي بجهد فيما استدار بعيداً. عرفت أنه سمعني لكنه لم يستطع الإجابة. فقد نجح الإيمان على الشرب والحياة العقلية

المدمنة في سلبه مشاعره العميقة. انركت أن والدي كان ميتاً فعلاً. بعد لحظات، تأيننا رحلتنا نحو لا مكان، ونحن نحني رأسنا نحو الأسفل، لا ننظر إلى أحد، ولا حتى إلى أنفسنا.

بعد ساعات، وقبل أن يدفعني والدي إلى الباص، أخذني جانباً. أريد أن أريك شيئاً، قال بغفر فيما بحث خلفه وأخرج غطاء جلدنياً أسود عليه شعار درع رجل الإطفاء. لبستم والدي فيما فتح الغطاء وكشف عن شارة فضية لامعة لرجل الإطفاء. إليك، أمك بها، قال فيما يضع الشارة بعناية بين يدي المفتوحتين.

م-1522، قرأت بصوت عالٍ، وأنا اعرف أن الحرف م يعنى أن والدي كان متقاعداً فعلاً وليس مطروداً مثلاً قلنت. أما الأرقام فقد كانت تلك التي منحت لوالدي عند تعيينه للمرة الأولى.

هذا كل ما أملكه الآن. إنها أجد الأشياء القليلة في حياتي التي أنشبت فيها كثيراً. ما من أحد قادر على إيعادي عنها، قال باقتناع، وهو يشير إلى جاترته. سوف تفهم ذلك يوماً ما.

أومات براسي. لقد فهمت. لطالما فعلت ذلك. في الماضي، تخيلت والدي مرتدياً بزته الكحلية الخاصة برجال الإطفاء، متوجهاً إلى المنصة لاسلام شارة الشرف خاصته أمام حشد من الناس الذين يهتفون اسمه، فيما امرانه الجميلة وعائلته تقفان بغريمه حين كنت ولداً، حلمت باليوم الكبير لوالدي.

نظرت الآن إلى عينيه وقلت له: أنا فعلاً فخور بك يا والدي. فيما أنا أحتق في الشارة. أنا فعلاً كذلك. ومضت عينا والدي لبرمه. واختفى ألمه للحظة من الوقت.

وبعد دقائق قليلة، أوقفني والذي أمام سلم الباص، تردد، نظرت  
عيناه إلى الأسفل. "إذهب من هنا، نتمتع، نادفد، إنيعد قدر ما  
تستطيع عن هنا. لقد التحق أخوك رونالد بالجيش، وقد أوشكت على  
بلوغ هذا العمر. إذهب"، قال والذي فيما ريت على كتفي، وفيما  
استدار، كانت كلماته الأخيرة: "تفد ما يجدر بك فعله. لا تنته مثلي".

ضغلت بوجهي على نافذة الباص وشاهدت والدي يخفي في  
المجموعة. أردت القفز ومعاكته، الإمساك بيده أو الجلوس بقربه مثلاً  
كنت لأفعل وأنا صغير حين كان يقرأ جريدة المساء - مثل الولد الذي  
عرفته قبل عدة سنوات. أردته أن يكون جزءاً من حياتي. أردت والدأ.  
فيما خرج الباص من سان فرانسيسكو، ففدت السيطرة على عواطفني  
ورحت أكي في داخلي. أحكمت قبضة معصمي فيما بدأ الضمط الهلقل  
المتراكم في داخلي طوال سنوات بالانفجار. أدركت مدى الحياة المريعة  
التي عاشها والذي. صليت من كل قلبي أن يحميه الله ويغبه دلفاً في  
الليل، وبعيداً عن الأدنى. شعرت بجبل من الذنب ينقل كتفي شعرت  
بالأسى على كل شيء في حياة والدي.

بعد زيارة العم لي، تخيلت أنني أستطيع ربما شراء منزل في  
غيرنيل وجعل والذي يعيش فيه. بهذه الطريقة فقط، أستطيع تخفيف  
ألمه أو نستطيع إهماء بعض الوقت معاً مثل والد وابنه. لكنني  
عرفت يوماً أن تخيلاتي هي أوهام وأن الحقيقة هي الحياة. بكيت  
طوال الطريق في الباص حتى وصلت إلى منزل أليس. عرفت أن  
والدي كان يموت، وخشيت ألا أراه مجدداً.

بعد أشهر عدة، وخلال صيف العام 1978، بعد عشرات المقابلات،

عثرت على وظيفة في بيع السيارات. لكن بيع السيارات كان مرهقاً  
عقلياً. فكبار المدراء يهدون موظفي المبيعات يوماً، ويفرونهم بالحوافز  
العالية يوماً آخر. كانت المناقصة شرسة، لكنني نجحت نوعاً ما في النجاة  
بنفسي. وإذا حظيت بعطلة في نهاية الأسبوع، كنت أسرع إلى  
دوينسمور وأتسلى له بجتر بي التصرف مثل إسمان راشد، فأبحت أنا  
ويول ودافيد عن مغامرة جديدة في السيارة - التي كان يفرضني إياها  
وكيل السيارات. في إحدى المرات، وبعد مشاهدة فيلم سيلماني، جلسنا  
نحن الثلاثة في السيارة ووجهنا إلى الأمام، فيما رحت أقود السيارة إلى  
الخلف في خط مستقيم تماماً من دون النظر خلفي. لكن جرأتنا سببت  
بعض الفوضى لدى السائقين المرتبكين وتعرضنا نحن الثلاثة لبعض  
العقاب القتوني. لكنني كنت أدرك تماماً أن مغامراتي بانث على وشك  
الانتهاء حين نضج بول ودافيد وبدأ يبحثن عن وظيفة لائقة أيضاً.

سمعت أكثر من أي وقت مضى للحصول على الإرشاد والتوجيه  
من جاده دوينسمور. في إحدى المرات، ذهب دان إلى منزل أليس  
لإقناعي بالحلول عن حلمي في التحول إلى ممثل بديل في هوليوود.  
كان السيد برازيل يعضي ساعات من وقته، فيما ابنه بول بقربه،  
وهو يخبرني عن مدى جنوني. لطالما كنت معجباً بالسيد دان، وفيما  
كنت أرافقه هو ويول إلى الخارج بعد التخلي عن فكري المعنوهة،  
أدركت أنني كنت أقرب إلى دان مما أنا إلى والدي.

كلن آل مارش شديد الغناية. ففي مرات عدة، ساعدت مائتدرا في  
أعمالها المنزلية وتعلمت في المقابل طرقاً أخرى لأكل على ذاتي.  
أوصاني السيد مارش بالالتحاق بالجيش. فكرت فوراً في الفوة الجوية،

لكن نظراً لكوني طالباً في النصف الأول من المرحلة الثانوية توجب عليّ الخضوع لفحص الأهلية ورسبت. أقنعت نفسي أنني أستطيع النجاح في العالم الخارجي من دون أية مساعدة مدرسية.

انتهى الصيف وقررت الخروج من الثانوية، لأنني كنت على وشك بلوغ الثامنة عشر ويتوجب عليّ جني المال للبقاء على قيد الحياة. كانت أليس شاحبة، لكن مهنتي كمندوب مبيعات وصلت إلى أوجها. فمن أصل 40 موظفاً أو أكثر في قسم المبيعات، كنت أحتل دوماً إحدى المراتب الخمس الأولى في البيع. لكن بعد مرور أشهر على عيد ميلادي الثامن عشر، جاء الزكود وارتفعت الأسعار وتضاعفت مخزائتي واصطدمت فجأة بحقيقة توجهي إلى لا مكان.

لنفرار من مشاكلي، ركبت يوم أحد في سيارتي الماستنغ البرتقالية موديل 65، وتوجهت شمالاً للعثور على النهر الروسي. لم تكن أعرف تماماً كيف أذهب إلى هناك، لكنني تبعته حتمي وتكثت على ذاكرتي كولد. وحين أحسست بوصولي إلى المخرج الصحيح، استكرت. عرفت أنني أصبحت قريباً حين غطت الأشجار للشاهدة الزجاج الأمامي للسيارة. بدا وكأن قلبي يخرج من مكانه حين ركبت سيارتي أمام المتجر القديم. حثقت عينا في الأجنحة نفسها التي نجولت بينها حين كنت ولداً. وعند صندوق المحاسبة، أخرجت من جيب سروالي آخر ما أملك من ملق التبنير لشراء قطعة سلامي ورغيف من الخبز الفرنسي. جلست على امتداد رملي خال في شاطئ جونسمون ورحلت لأتتهم طعامي ببطة، ولما لسمع إلى أصوات للنهر الروسي وكشط المعنن النالج عن سيارة كبيرة تعبر للجسر الضيق للذقم الاخضرار. وجبت نفسي في سلام.

ولكني ألتي رغبتني في العيش عند النهر الروسي، عرفت أنه يجدر بي أولاً العثور على نفسي. لم أستطع فعل ذلك وأنا لا أزال متشبهاً بماضي. توجب عليك الانفصال عنه. فيما كنت أجمع نفاياتي وأمشي بعيداً عن الشاطئ، مطعت الشمس على كتفي. شعرت بالدفء في داخلي. لقد اتخذت قراراً. استدرت نحو النهر للمرة الأخيرة، وشعرت أنني أبكي. لو أردت ذلك، لاستطعت الانتقال للعيش قرب النهر، لكنني عرفت أن هذا ليس صواباً. أخذت نفساً عميقاً وتحدثت بصوت خافت لتجديد وعدي القديم. سوف أعود.

بعد أشهر عدة، وبعد حصولي على شهادتي الثانوية وإتمامي سلسلة من الاختبارات والفحوصات، تطوَّعت بكل فخر في القوة الجوية الأميركية. وصل الخبر إلى أمي بطريقة ما، واتصلت بي قبل يوم واحد من توجهي إلى التدريبات الأساسية. لم يكن صوتها صوت تلك الأم الشريرة، وإنما صوت أمي التي عرفتها قبل سنوات. استطعت مشاهدة وجه أمي في الطارف الآخر من الهاتف وهي تبكي. قالت إنها كانت تفكر بي طوال الوقت وأنها لم ترد يوماً سوى الأفضل لي. تحدثنا لأكثر من ساعة، ومنذت لأنتي جيداً على أمل سماع الكلمات الثلاث الأكثر أهمية التي أردت أن تقولها لي أمي طوال حياتي.

وقفت أليس بجانبني فيما رحت لبكي على الهاتف. أردت أن أكون مع أمي. أردت مشاهدة وجهها على أمل سماع تلك الكلمات الثلاث. أنركبت أنني غيبي، لكنني شعرت أنه يجدر بي المحاولة على الأقل. استجمعت كل قوى أليس لإقناعي بعدم زيارة أمي. لكنني عرفت في قرارة نفسي أن أمي كانت تتلاعب بعواطفني. فطوال

فيما كنت على متن أول رحلة جوية لي، فتحت عيني للمرة الأولى كرجل اسمه دابنبد ايتسمت في قرارة نفسي. لقد بدأت الآن المغامرة!!

أكثر من 18 عاماً، أردت شيئاً عرفت أنني لن ألتفاه أيداً— ألا وهو حبّ أمي. من دون لفظ أية كلمة، فتحت أليس ذراعيها. وفيما هي تعانقني، أدركت فجأة أن بحثي للطويل عن الحب والقبول وجد سبيله أخيراً بين ذراعيّ لم بالرعاية.

في اليوم التالي، وقفت منتصباً فيما أنظر في عيني هارولد الزرقاوين. "كن جيداً بابتي"، قال.

"سوف أفعل ذلك سيدي. إنتبه جيداً. سأجعلك فخوراً بي".

وقفت أليس بالقرب من زوجها. "أنت تعرف من أنت. لطالما عرفت ذلك"، قالت فيما منحت يدها وأعطتني مفتاحاً أصغر لأمماً. "إنه منزلك. لطالما كان كذلك وسوف يبقى دوماً منزلك".

وضعت في جيبي مفتاح منزلي. وبعد تقبيل أليس، أمي، ومصافحة هارولد، والذي، فتحت فمي لأقول شيئاً ملائماً لكن هذه اللحظة لم تكن بحاجة إلى أية كلمات، لأننا علمنا جميعاً ما نشعر به— إنه حب العائلة.

بعد ساعات، فيما كانت طائرة البويتغ 727 تتبعد عن كاليفورنيا، أغلقت عيني للمرة الأخيرة كولد ناته. تخيلت الرقيب مايكل مارش، واثقاً بكل قخر، وعينه تحديقان في السماء فيما يقول: "حسناً، أيها الطيار بيلزر، هل من آراء؟"

"حسناً، أجيته. أنا خائف قليلاً، لكنني أستطيع تحويل ذلك لصالحي. لدي خطة ممتازة. أنا أركز عليها وسوف أحققها".

ألقي مرشدي نظرة خاطفة عليّ وابشمت. "أحسننت أيها الرجل. تابع طريقك".

## خاتمة

ديسمبر 1993، مقاطعة سونوما، كاليفورنيا- أنا وحيد. أشعر في الخارج ببرد شديد لدرجة أن جسمي يرتعش بأكمله. أصيبت أطراف أصابعي بالخدر لبعض الوقت. وفيما أنا أفر، خرجت غشاوة باردة عبر أنفي. استطعت سماع الأصوات الهادرة للغيوم الرمادية وهي ترتطم ببعضها. وبعد لحظات، دوى الرعد من الهضاب المجاورة. استطعت مشاهدة نبل المطر قادماً.

لا أبالي. أنا أجلس على جذع خشبي قديم متعفن أمام شاطئ طويل وخالٍ. أحب التحديق في جمال الأمواج الخضراء الداكنة والغوية التي تلتف حول نفسها قبل الارتطام بالشاطئ. أصبحت نظاراتي مكموة بغلاف من الرذاذ المالح. أشعر بالذفء في داخلي. لم أعد خائفاً من أن أكون وحيداً. أحب قضاء بعض الوقت لوحدي.

في الأعلى، تطلق طيور النورس أصواتاً حادة وعالية على بعضها فيما هي تقترب من الشاطئ بحثاً عن أي فتات طعام. وبعد لحظات، شاهدت طائر نورس وحيداً وهو يكافح للحفاظ على تحليقه. ورغم أن الطائر صفق كثيراً بجناحيه، بقي عاجزاً عن اللحاق بالسرب أو الحفاظ على علوه. ومن دون أي إنذار، ارتطم طائر

النورس بالرمل. تقلب الطائر ثم بدا العرج على ساق واحدة برتقالية. وبعد بحث قصير، عثر طائر النورس على فئاة طعام. فجأة، ومن حيث لا أدري، عاد سرب النورس للتحليق فوق الشاطئ ومن ثم الهبوط لمسلب الطائر الضعيف طعامه. بدا النورس مدركاً لعجزه عن الطيران، ولذلك وقف على أرضه وراح ينقر بقبة الطيور بغضب شديد. بلغم البصر، انتهى الصراع وتوجه سرب الطيور بعيداً بحثاً عن ضحية أسهل.

صاح طائر النورس للسرب المحلق كما لو أنه يخبرها بانتصاره، ثم عاد والنفت إلي وأطلق صرخة إنذار. وفيما كنت أدرس حركات النورس، تذكرت كيف أن معركة تعكس تحدياتي التي عشتها أثناء نربيتي البديلة. ففي تلك المرحلة، كان أهم شيء بالنسبة إلي هو أن أكون مقبولاً وأعثر على إجابات لماضي. لكن كلما نضجت من الداخل، أفركت أكثر فأكثر أنه مجرد بي شئ طريقي بنفسى. نطمت أيضاً أن أكتفي بعدم العثور على كل الأجوبة لأسئلتى. لكن كما هي حال معظم الأشياء في حياتى، بدا لي أن أجوبتي أنت من دون عناء بعد انضمامى إلى القوة الجوية الأميركية، حيث حققت حلمى بالطيران. فحين بلغت سن الرشد، أصبحت مكتملاً. ومن الأشياء التي حققتها كانت زيارة أمى وموالها أهم سؤال في كل حياتى: لماذا؟

لقد جعلتني مرأى أمى أحب الحياة التي أعيشها أكثر فأكثر.

جاء الصوت الثاقب لطار النورس ليفسد نشوتي. كانت بداى ترتعشان لأمى، ولكن ليس نتيجة البرد، ممسحت سيل الدموع عن

وجنتى. أنا لا أبكى على نفسى بقدر ما أبكى على أمى. بدأت أبكى بقوة لدرجة أن جسمى بدأ بالارتعاش. لم أستطع التوقف. بكيت على الأم والأب اللذين لم أعرفهما قط، وعلى عار مرأى العائلة. أصبحت لامبالياً لأني كنت أشك أحياناً في قدرتي على إحداث فرق في حياة الآخرين، وشعرت أنني لا أستحق التقدير الذي حظيت به. بكيت بشدة لإخراج كل شيء من داخلي.

أغلقت عيني وتلوت صلاة سريعة. صليت حتى أصبح شخصاً أفضل وأقوى. وفيما بدأت النهوض، امام المحيط الأخضر الداكن، شعرت بالانطفأة في داخلي. لقد حان الوقت للانتقال.

بعد القيام بجولة استرخاء في السيارة، فيما نوافذها مفتوحة، والاستماع إلى قصة مرأى بات مبتشى، ركنت سيارتي أمام منزلي الثاني - فيلارو في موني ريو. لوح لي المالكان، ريك ودون، فيما كانا يمتدحان لاستقبال الضيوف اللقامين، لا يزال الجمال الهادئ لفيلارو بحبس أنفاسى. فطوال أعوام، نجح ريك ودون في جعلى أنا وابنتى، ستيفن، نشعر بأننا جزء من عائلتهما. فالحصول على الزحاح يعني الكثير بالنسبة إلي.

فيما كنت أنصارع مع ستيفن مع الأرض، لفأ ذراعى حول عنقى وسألنى: "هل أنت على ما يرام؟". رغم أن ستيفن لا يزال مجرد ولد، فإن حساسيته أكبر كثيراً من عمره. كنت أصاب بالذهول أحياناً لأنه قادر على الإحساس بمشاعري العميقة والداخلية. ويقدر ما هو ولدى، فإن ستيفن هو أحد أقرب الأصدقاء بالنسبة إلي.

أضربنا نحن الاثنين بقبة النهار ونحن نلهو بالعباب بلاستيكية



متعددة الألوان، ونلعب "المونوبولي" مراراً وتكراراً. اكتشفت بسرعة أن سنوات تدريبي في الاستراتيجيات العسكرية لا تتطابق أبداً مع تفكير ولد في السابعة من عمره.

بعد تكبد الخسارة المريرة مرات عدة في ألعابنا المشتركة، كنا نتوجه أنا وستيفين إلى النهر الروسي. كانت رائحة الخشب المحترق تمزج مع العطر الذكي للشجر الأحمر. أصبح النهر الأخضر الضحل شفافاً، لدرجة أن صوت الأمواج الخفيفة وحده كفيلاً بجعل المياه حقيقية. فيما اختفت الشمس وراء الهضبة، ظهر انعكاس لشجرة الميلاد الواضحة عبر النهر. شاهدنا مجموعة من الضفادع تنزل من الهضاب. من دون أية كلمة، شبكنا أنا وستيفين أيدينا. شعرت باختناق في حنجرتي فيما أحكمنا قبضتنا معاً.

ربت ستيفن على ساقي. "أنا أحبك يا والدي. عيد ميلاد سعيد". قبل أعوام عدة، شككت فعلاً ما إذا كنت سأبقى على قيد الحياة. في حياتي السابقة، كان لدي القليل فقط. واليوم، فيما أنا أقف في حياتي الحالية، أملك كل ما يتمناه أي شخص - الحبة وحب ابني. أنا وستيفن نشكل عائلة.